الفرق الإسلامية في المسائل

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
1430 هـ - 2009 م

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا
ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 245 11 963+

www.kotaiba.com
E-mail: info@kotaiba.com

الفرق الإسلامية والمتأسلمة

د. محمد شيخاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لحمده، وجعلنا من أهله، لنكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين والحمد لله الذي حبانا بدينه واختصنا بملته، وسبّلنا في سبل إحسانه لنسلكها بمنِّهِ إلى رضوانه حمداً يتقبله منّا، ويرضى به عنا، ويجعلنا به من عباده الصالحين، ثم الصلاة والسلام على الحبيب محمد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، وجعله من المنذرين والمبشرين ورزقه الشفاعة الكبرى يوم الدين، يسجد تحت العرش فيدعو ربه بما فتح عليه من المحامد التي لم يفتح بها على أحد من العالمين ورضي الله تعالى عن أزواجه أمهات المؤمنين وعن فاطمة الزهراء وعن الحسن والحسين وعن الصحابة والقرابة والتابعين بإحسان إلى يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

أما بعد فاعلم أخي المؤمن أن الاختلاف مذموم من قبل الشارع الحكيم لما يؤدي إليه من النزاع والقتال والفتنة والفساد وقد دعا الله تعالى المؤمنين إلى الوحدة والجماعة والاعتصام بحبله المتين فلقد قالَ ابن عباس ﷺ لسماك الحنفي ﷺ:

ياحنفي! الجماعة الجماعة!! فإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقها؛ أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: 103)، وقوله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً وذكر أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ والرجوع

إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع والاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي تتمُّ به مصالح الدنيا والدين والسلامة من الاختلاف وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل للأمم السالفة[1].

وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع فإن ذلك ليس اختلافاً إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع وإن حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها يسبِّب استخراج الفرائض ودقائق معاني التشريع ومازال الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث وهم في ذلك متآلفون وإنما منع الله تعالى الاختلاف الذي يكون سبباً للفساد[2].

قال عرباض ﷺ: صَلَّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ثم أقبل علينا فوعظنا بموعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فما تعهد فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة[3].

ويؤيد ذلك ما روي عنه ﷺ، أنه قال: «أنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فمن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلى أن يرجع..» قال أبو إدريس

---

(1) تفسير القرطبي: 4/ 172.

(2) تفسير القرطبي: 4/ 170.

(3) التمهيد لابن عبد البر: 21/ 279.

الخولاني عن حذيفة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «الزمْ جماعة المسلمين وإمامهم قلت: إنْ لم يكن جماعة ولا إمام، قال: تعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على شجرة حتى يردعك الموت وأنت كذلك»[1].

ولقد كان بين الأوس والخزرج حرب في الجاهلية كل شهر فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما بينهم حتى غضبوا فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزل قول الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ (آل عمران: 101)... ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ (آل عمران: 103). فسمّى الله تعالى التنازع بينهم كفراً لقوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ وهو تنبيه على عظم وخطر الاختلاف والتباغض. ولذلك جعل الله للمسلمين مخرجاً عند التنازع والتدافع والاختلاف فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (النساء: 59)، أي الكتاب والسنة ثم حذر من خلافه والاعتراض عليه فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (النساء: 65)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (النور: 63)، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ (البقرة: 217)، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ (البقرة: 191).

---

(1) التمهيد لابن عبد البر: 21/ 280.

فكان الواجب على المسلمين اتحاد الكلمة واجتماعها على الأخذ والعمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ويكون ذلك مع الاستمرارية والدوام على هذا المنهج القويم الذي لا تؤثر فيه الاختلافات في الفروع والجزئيات[1]. لأن الله أمرنا بذلك فقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأعراف: 108)، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: 31)، وقال أيضاً: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: 7)، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: 3)، فأخبر سبحانه وتعالى أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف فقال: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: 3)، وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: 153).

قال ابن عطية[2]: أي لا تتبعوا سائر أهل الملل الضالة الخارجة عن منهج الله تعالى وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام هذه كلها عرضة للزلل ومظنّة لسوء المعتقد.

وقال ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطّع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق.

---

(1) عجائب الآثار: 2/ 582.

(2) تفسير القرطبي: 7/ 137.

والحقيقة كما قال ابن بطال[1]: أن لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو سنة رسوله أو في إجماع العلماء ولا يتم ذلك إلا بالجماعة ولا جماعة إلا بإمام لأن كتاب الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ (آل عمران: 105). وقال ابن مسعود في خطبته: أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة.

وذكر ابن عباس أن (رسول الله ﷺ قال: دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ألا أخبركم بما هو خير لكم من الصوم والحج: إصلاح ذات البين)[2].

فإن الله ﷻ رضي لكم الطاعة والجماعة وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف ما قد فعله الذين من قبلكم وتقدم إليكم فيه ليكون له حجة عليكم إن عصيتموه[3].

وقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أن الله ﷻ سيغفر لأصحابه الذين اختلفوا من بعده لقوله عليه الصلاة والسلام: «يكون لأصحابي من بعدي هنات يغفرها الله بسابقتهم معي». كما حذر ﷺ غير أصحابه من المؤمنين على مر التاريخ الإسلامي إلى عصرنا هذا من خطورة العقوبة جزاءً للمختلفين[4]، فقال: فيما تبقى من الحديث الذي تقدم ذكره «... يعمل بها قوم من بعدهم يكبهم الله في النار على وجوههم».

---

(1) التمهيد لابن عبد البر: 21/ 272، وفيض القدير: 1/ 210.

(2) نصب الراية: 4/ 355.

(3) تاريخ الطبري: 2/ 885.

(4) شذرات الذهب: 1/ 42 ـ 43.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطاني وسألتُهُ أن لا يسلط علينا عدوّاً فأعطاني، وسألته أن لا يلبسنا شيعاً فمنعني أي أن يذيق بعضهم بأس بعض، فقال النبي ﷺ فراجع ربه فقال: أي مصيبة أشد من أن أرى أمتي يعذب بعضها بعضاً فأوحي إليه: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت: 1 ـ 3)، فأعلمه أن أمّته لم تخص دون الأمم بالفتن وأنها ستبلى كما ابتليت الأمم ثم أنزل: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المؤمنون: 93 ـ 94)، فتعوذ نبيّ الله فأعاذه الله لم ير من أمته وهو بين ظهرانيها إلا الجماعة والألفة والطاعة.

ثم أنزل عليه آية حذّر فيها أصحابه فأخبره أنه إنما يخص ناساً منهم دون ناس. فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الأنفال: 25)، فخصّ بها أقواماً من أصحاب محمد ﷺ بعده وعصم بها أقواماً وقد قال أبو العالية لما جاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره بما يكون في أمته من الفرقة والاختلاف فشق ذلك عليه ثم دعا فقال اللهم أظهر عليهم أفضلهم تقية.

ولذلك قال رسول الله ﷺ موصياً بالجماعة والسمع والطاعة ومحذراً من الفتنة والتفرق فقال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقاب بعض بالسيوف، فقالوا (أي الصحابة): ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول

الله؟ قال نعم. فقال بعض الناس لا يكون هذا أبداً[1]. فأنزل الله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 65 – 67).

سبب وقعة الجمل ومن أشعل نار الفتنة والقتال بين المسلمين:

لما قتل عثمان صبراً توجّع المسلمون وسقط في أيدي جماعة وعنوا بكيفية المخرج من تقصيرهم فيه فسار طلحة والزبير وعائشة نحو البصرة، وكانت عائشة قد لقيها الخبر وهي مقبلة من عمرتها فرجعت إلى مكة وطلبوا من عبد الله بن عمر أن يسير معهم فأبى، وقال مروان لطلحة والزبير على أيكما أسلم بالإمارة وأنادي بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير على أبي، وقال محمد بن طلحة على أبي فكرهت عائشة قوله وأمرت ابن أختها عبد الله بن الزبير فصلى بالناس، ولما علم علي كرم الله وجهه بمخرجهم من المدينة اعترضهم ليردّهم إلى الطاعة وينهاهم عن شقّ عصا المسلمين ففاتوه فمضى لوجهه وأرسل ابنه الحسن وعماراً يستنفران أهل المدينة وأهل الكوفة فخطب عمار وقال في خطبته: إني لأعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم ليعلم أتطيعونه أم تطيعونها، ولما قدمت عائشة وطلحة والزبير البصرة استعانوا بأهلها وبيت مالها، ووصل عليّ خلفها واجتمع عليه أهل البصرة فحاول صلحهم واجتماع الكلمة وسعى الساعون بذلك فثار الأشرار والأعداء المندسون بالتحريش ورموا بينهم بالنار حتى اشتعلت الحرب، وكان ما كان وبلغت القتلى يومئذ سبعة عشر وقتل من أصحاب الجمل ومن عسكر علي نحو ألف وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى صلاة العصر.

---

(1) تفسير الطبري: 7/ 225، وتفسير ابن كثير: 2/ 144.

ولما ظهر علي جاء إلى عائشة فقال غفر الله لك، قالت: ولك ما أردت إلا الإصلاح ثم أنزلها في دار البصرة وأكرمها واحترمها وجهزها إلى المدينة في عشرين أو أربعين امرأة ذوات الشرف وجهز معها أخاها محمداً وشيعها هو وأولاده وودعها ﷺ وقتل يومئذ طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي وولده محمد بن طلحة السجاد وروى ابن عبد البر عن علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من أهل هذه الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ ولا ينكر ذلك إلا جاهلٌ بفضلهم وسابقتهم عند الله تعالى[1].

مواقف الصحابة مع بعضهم:

قال علي ﷺ يوم الجمل: قبُض رسول الله ﷺ فلم يعهد إلينا في إمارة عهداً نأخذ به ولكن رَأَيْنَا رَأْيَنَا فَاسْتُخلف أبو بكر رضوان الله عليه فأقام واستقام ثم استُخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بِجِرانِهِ ثم إنّ قوماً طلبوا الدنيا يعفو الله عمن شاء ويعذب من يشاء[2].

وعن أنس ﷺ قال: جاء رجل من قريش إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: يا أمير المؤمنين سمعتك آنفاً تقول على المنبر: اللهم أصلحني بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين. فمن هم؟ قال: فاغرورقت عيناه وأهملها، ثم قال: أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ من اقتدى بهما عصم، ومن اتبع آثارهما هُدِيَ إلى

---

(1) تاريخ واسط: 1/ 178.

(2) تاريخ واسط: 1/ 178 ـ 179.

صراط مستقيم من تمسّك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون[1].

وكان قد انصرف الزبير يوم الجمل عن عليّ فلقيه ابنه عبد الله، فقال: جَبُنًا جَبُنًا. قال: يا بني قد علم الناس أنّي لست بجبان، ولكن ذكّرني عليّ شيئاً سمعته من رسول الله فحلفت أن لا أقاتله.. ثم ولّى الزبير يقول:

ترْك الأمور التي أخشى عواقبها في الله أحسَنُ في الدنيا وفي الدينِ[2]

ولما قتل الزبير استأذن قاتله على عليّ: فقال عليٌّ كرم الله وجهه. والله ليدخلن قاتل ابن صفية النار، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ لكل نبيّ حواريّاً وحواريَّ الزبير وقد قتله ابن جرموز غَدْراً بوادي السباع ولما جاء إلى علي ليبشره بذلك بشّره بالنار[3].

---

(1) الرياض النضرة: 1/ 378.

(2) حلة الأولياء: 1/ 91.

(3) تاريخ واسط: 1/ 178.

أسباب نشوء وظهور
الفرق الكلامية

بعد عصر التابعين دخل في الإسلام أناس كثيرون عندهم أفكار وآراء ومعتقدات قديمة. وبدؤوا يسألون عن أمور لم يسألها من كان قبلهم، فالفكر اليوناني والهندي والفارسي كلها بدأت بالترجمة ودخلت علوم جديدة أدت إلى علم الكلام. (الفلسفة والمنطق والمناظرات) فظهرت الفرق المختلفة، والفيلسوف نظراً لحساسيته العقلية المرهفة يمثل قمة الصراع بين العقائد والأفكار والمذاهب).

كما ظهر علم الأصول والفقه ومصطلح الحديث وظهرت الفلسفة وعلوم المنطق وعلم الكلام وبحثوا في العقائد والأديان. وبذلك نشأت الفرق معتمدةً على علم الكلام كالأشعرية والماتريديَّة والشيعة والخوارج والمعتزلة والجهمية والقدريةو الجبرية والمرجئة والإسماعيْليّة والقرامطة والسلفية.

ونستطيع القول: إنَّ علم الكلام ظهر للرد على الزنادقة واللاأدريّين والملحدين والدهريين وآراء بعض الفرق التي اعتمدت على الفلاسفة السابقين كأرسطو والمانوية وأفلاطون وفيثاغورث، فصار علم الكلام من الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب المسلمين التي تثار أمامهم بعضُ التخيلات المبتدعة فعلم الكلام ضروري لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته.

والى التحريم لهذا العلم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف في بداية الأمر ثم عدَّلوا أفكارهم.

وأما الذين توصلوا إلى الاستدلالات المنطقية فهناك غايات متعددة فمنهم امتثالاً لأمر الله ﷻ: (وجادلهم بالتي هي أحسن) والمجادلة بالتي هي

أحسن تحتاج إلى معرفة آليات التفكير والدلالات الفلسفية والمنطقية التي يناظر بها فصار هذا العلم علم كفاية، ووضع الغزالي له شروطاً:

1 ـ التفرغ للعلم والحرص عليه.

2 ـ الذكاء والفطنة والفصاحة.

3 ـ أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى، ولا تكون الشهوة غالبة عليه وحب الظهور وأن يكون مقصوده رد الضلالات والبدع وإزالة الشبهات لحراسة الدين والعقيدة.

وإن بعض علماء الكلام كفَّروا عوام المسلمين وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد بأدلتنا التي حررناها كافر فقال الغزالي: هذا تضييق لرحمة الله الواسعة على عباده وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة المتكلمين ولذلك ألف تهافت الفلاسفة ثم ألف كتاباً بإلجام العوام عن علم الكلام وفي كتابه المنقذ من الضلال: (إنَّ علم الكلام وجدته علماً وافياً بمقصوده غير واف بمقصودي وإنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة... إلى أن يقول: فأنشأ الله طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام قريب يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة.

وفي المستصفى (جعل علم الكلام من العلوم الدينية كالفقه والأصول والحديث)[1]، فالكلام هو العلم الأعلى لأن العلماء اختلفوا في مسألة الاعتقاد يقول الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام: (اختلفوا في جواز التقليد في المسائل الأصولية المتعلقة بالاعتقاد في وجود الله فذهب بعضهم إلى جوازه بل

---

(1) المستصفى، ص51.

قال بعضهم بالوجوب على المكلف فحكى عن الرازي في المحصول عن كثير من الفقهاء أنه يجوز والجمهور لا يجوز وابن القطان لا نعلم الخلاف في أهل الحق امتناع التقليد في التوحيد وقال إمام الحرمين في الشامل لم يقل بالتقليد في الأصول إلا الحنابلة وكذلك الإمام الشوكاني.

ولذلك قال عن عوام الناس: إذا ورد لهم الحديث يجب عليهم فيه سبعة أمور: التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة.

إن السبب الكبير لنشوء علم الكلام هو الاختلاف السياسي الذي بدأ منذ مقتل عثمان ﷺ ثم مقتل علي كرم الله وجهه.

وهكذا بدأت الخلافات تتكون بمواضيع هامة كالإمامة والإرادة والاختيار والمشيئة والجبر وتشكل علم الكلام للمناظرات في هذه المسائل الهامة.

وتعريف علم الكلام عند ابن خلدون: (علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة)[1].

وقيل هو علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة[2].

روي عن الإمام مالك كراهيته لهذا العلم: (علم الكلام).

ثم كتب الشافعي كتاباً في علم الكلام رد فيه على أهل الأهواء.

---

(1) مقدمة ابن خلدون ج3، ص169.

(2) كشاف اصطلاحات الفنون، ص22 ـ 23.

ثم جاء الأشعري بأدلة ومعرفة في الجدل خاصةً في مسائل علم الكلام.

وتقبل المالكيَّة وناب عنهم في هذا العلم أبو بكر الباقلاني وبعد رفض من قبل الحنابلة تم تبني هذا العلم وعلى رأسهم ابن تيمية.

وعلم الكلام في العصر الإسلامي كان قوياً في الدفاع عن الإسلام والتصدي للتيارات الفكرية المادية لو كتب له الاستمرار.

ولاشك أن لعلم الكلام دوراً فاعلاً ومؤثراً في إذكاء روح الحركة العقلية في حقبة تاريخية كانت من أخطر الفترات.

فعلم الكلام وحده كان بصدق أقوى الأدلة على تفوق المسلمين في عرض الأدلة العقلية وفق رؤية فلسفية قرآنية والقرآن بذاته يتضمن منهجاً عقلياً يفسح للنظر والتفكر والتدبر للعقل ليصل إلى الحقائق اليقينية الكبرى وكانت فلسفة القرآن العقلية واقعية نفعية وليست طوبائية خيالية بلا جدوى.

وعلم الكلام منه الجدل والحديث: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدولُه ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).

إذا كانوا يستقون المصطلحات الإسلامية ويتركون المصطلحات الفلسفية اليونانيَّة، والجدل أخذ دوره الكبير في العصر العباسي مع الزنادقة والمعتزلة ومع اليهود والنصارى والزرادشتيَّة والمانوية والمزدكية (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)، سنن أبي داود.

ابن قيم قال: هذا الجدل واجب إذا ظهرت مصلحته واعتبره الشوكاني من أعظم القرب التي تقرب إلى الله زلفى (إذا كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل). قاعدة منطقية جدلية.

في كتاب «الجدل المذهبي في الفكر الإسلامي» وصف الدكتور عبد المجيد بن حمدة الجدل في القرن الثالث فقال عنه في إفريقيا: (إنه كان في حالة مد وجزر بخصوص الحرية والتضييق فكان تعددياً ثم أصبح أحادياً تعسفياً ثم أحادياً معتدلاً فتعدّدياً متحرِّزاً ثم عاد أحادياً عنيفاً)[1].

الخلاصة: علماء الكلام نقدوا المنطق الأرسطي وأرسوا دعائم لحركة عقلية جادة، ورفضوا العلَّة الأولى على ذات الله سبحانه لأن الله منزَّهٌ عن الدخول تحت إطار العلية والمعلولية.

رفض علماء الكلام أزلية المادة، ووجود الجوهر من تلقاء نفسه، وأثبتوا علمياً نفاد الطاقة التدريجي وهو أعظم شاهد على نفي أزليتها، ودحضوا مسائل العلة المنفعلة هي العلة الفاعلة ونفوا التولد الذاتي وتفاعل السديم والصدفة.

ولم يقف علماء الكلام موقفاً مضاداً للعقل بل وضعوا له حدوداً منطقية للاستدلال والاستنباط والاستقراء الكلي والجزئي.

ولم يكن علماء الكلام يحاولون إيجاد محاكم التفتيش التي قتل فيها مئات الألوف وحبس مئات الألوف في أوروبا.

ولابد من متابعة علم الكلام من جديد في ظل ضوابط وموضوعات مستجدة للدفاع عن الإسلام بنظريات وأفكار وجدل ومحاورات عقلانية للرد على المؤامرات على القرآن والسنة والنبي محمد ﷺ، ليَسْتأنِفَ رحلته المعاصرة بفكر ودأب ومراكز فكرية واعدة لتحقيق الغاية التي وجد من أجلها علم الكلام.

---

(1) الجدل المذهبي في الفكر الإسلامي، د. عبد المجيد بن حمدة، ص18.

أسباب اختلاف الفرق

إن الإسلام عقيدة ومنهج حياة، يعتمد في منهجه على مفاهيم كبرى تصلح لكل زمان ومكان وقيل: (تصلح الزمان والمكان إن تحققت شروطه كلها)، وعاش الصحابة الكرام مع الرسول محمد ﷺ على عقيدة واحدة، وقدوة وأسوة عاشت معهم في سلوك وأخلاقيات وأوامر النبي ﷺ ونواهيه واستمروا على ذلك حتى وفاته.

وبدأ الخلاف في بيعة أبي بكر ﷺ في سقيفة بني ساعدة ولكن هذا الخلاف لم يظهر علنياً إلا بعد مقتل عثمان ﷺ ومن ثم بعد موقعة الجمل وحرب صفين.

أسباب الخلاف:

1 ـ الخلافة وهل هي بالنص أو شورى (ديمقراطية أو تيقراطية).

2 ـ الاختلاط بالدول والأقاليم والثقافات المتواجدة في الدول التي فتحت وما فيها من ثقافات يونانية ومسيحية ويهودية وفارسية وهندية.

3 ـ المؤامرات من الزنادقة، والسبئيَّة (عبد الله بن سبأ).

4 ـ فهم النصوص ـ التأويل ـ رفض ـ النصوص ـ اختلاف الدلالات اللغوية.

5 ـ الجهل بمقاصد الشريعة ـ سعة العلم وضيقه، اختلاف النوايا والأهواء.

6 ـ الترجمة للفلسفة اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية واليهودية.

نشأة الفرق (معنى الفرق) لغوياً:

الفُرقة بالضم: مصدر الافتراق، وهو اسم يوضع موضع المصدر الحقيقي من الافتراق، وفارق الشيء مفارقةً باينه والاسم الفرقة، وتفارق القوم أي فارق بعضهم بعضاً.

وقال: فرّقهُ تفريقاً وتفرقةً: بدده، وقال الأصبهاني التفريق أصله التكثير، قال: (يقال ذلك في تشتيت الشمل والكلمة)، وقال ابن جني في الشواذ في قوله تعالى: (فرقوا دينهم) أي فرقوه وعضوه أعضاء فخالفوا بين بعض وبعض (تفرقاً وتفراقاً) ضد تجمع كافترق وانفرق، والتفرق للأبدان والافتراق في الكلام[1].

الحزب:

لغة: الطائفة من الناس أو الجماعة المؤتلفة من حيث المعتقد أو العمل الذي تشترك فيه.

ورد في القرآن: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (المؤمنون: 53).

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ﴾ (المجادلة: 22).

﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة: 20).

وردت كلمة الأحزاب: (طوائف الكافرين بدعوة الرسل والأنبياء عامة)، قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ (الأحزاب: 22).

الدعوة:

لغة النداء، دعوت فلاناً أي ناديته، الطلب من الأدنى إلى الأعلى بمعنى الدعاء والدعوة تفيد لغوياً: المحاولات القولية والفعليَّة من أجل تحقيق هدف

(1) تاج العروس (الفرقة) المجلد السابع، ص47.

وعمل، عن طريق المناداة والطلب والإلحاح بجهد وعمل فهي طلب الاستجابة والإقبال على المنادي[1]، وعرفها دعاةُ الحق وهي الدعوة الإسلامية[2]، والدعوة اصطلاحاً هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الغنيَّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق[3]، وقيل: (تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام وهدايتهم إليها قولاً وعملاً في كل زمان ومكان بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم)[4].

الجماعة:

الجماعة في اللغة من الجمع، والجمع تأليف المتفرق وضم الشيء بتقريب بعضه من بعض والجماعة عدد من الناس يجمعهم غرض واحد[5]، وفي اصطلاح الفقهاء: (تطلق الجماعة على عدد من الناس)، قد يراد بالجماعة الاتحاد وعدم الفرقة لما ورد في الحديث (الجماعة رحمة، والفرقة عذاب)[6]، (ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم) حديث، قال رسول الله ﷺ: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)[7].

المذهب:

هي مجموعة اجتهادات لمجتهد بلغ مرتبة الاجتهاد وكوّن مذهباً له كالمذهب الشافعي أو الحنفي أو المالكي، وهم الذين (دونت فتاواهم وحفظت

---

(1) الدعوة الإسلامية، أحمد أحمد علوش، ص9، دار الكتاب اللبناني، 1987.

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية: 20/ 322.

(3) الدعوة الإسلامية، أحمد أحمد علوش، ص10.

(4) خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين، ص17.

(5) المعجم الوسيط.

(6) أخرجه أحمد في مسنده، قال المنذري لابأس به.

(7) رواه البخاري.

أقوالهم ونقلت لمن بعدهم)، وبعضهم انقرضت مذاهبهم كالإمام الأوزاعي، والليث بن سعد وأبو ثور وداود الظاهري، والطبري.

والمذهبية (هي أن يقلد العامي أو من لم يبلغ رتبة الاجتهاد مذهب إمام مجتهد، سواء التزم واحداً بعينه أو عاش يتحول من واحد إلى آخر)[1].

قال الخجندي: (تقليد الأئمة الأربعة كفر والتمذهب بمذهب معين ضلال واتّخاذُهُ لإمام المذهب رباًمن دون الله)[2].

واللامذهبيّون يقررون أن المذاهب أمور مبتدعة حدثت بعد القرون الثلاثة فهي ضلالة بدون شك[3].

وقد رد الدكتور سعيد رمضان البوطي على هذا الكلام للخجندي في كتابه الهام «اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة»، كما رد على الألباني والإستانبولي وغيره في هذا الكتاب.

---

(1) اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة، د. محمد سعيد رمضان البوطي.

(2) المصدر السابق نفسه، ص26.

(3) المصدر السابق نفسه، ص32.

أسباب الاختلاف

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: 118 ـ 119).

قال الشيخ صديق الغنوجي في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن)[1]: «لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» أي أهل دين واحد وقيل معناه جعلهم مجتمعين على الحق غير مختلفين فيه.

(ولا يزالون مختلفين) في ذات بينهم على أديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم، فكل هؤلاء قد اختلفوا في أديانهم اختلافاً كثيراً لا ينضبط، وقال ابن عباس: أهل الحق وأهل الباطل.

وجاء بحديث عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى كذلك وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة). أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب 1.

وفي حديث أخرجه أبو داود والترمذي بنحوه عن معاوية ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة).

قال الخطابي: فيه دلالة على أنَّ هذه الفرق غير خارجة عن الملة والدين إذ جعلهم من أمته، وقال غيره: المراد بها أهل الأهواء والبدع الذين تفرقوا واختلفوا

---

(1) المكتبة العصرية.

وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول ﷺ في قوله وفعله ولم يقلدوا أحداً في خلافه[1] (إلا من رحم ربك) إلا أن أهل رحمته لا يختلفون.

قال الحسن: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك فمن رحم ربك غير مختلف.

وعن مجاهد قال: من اختلف أهل الباطل ومن رحم أهل الحق. (ولذلك): قال مجاهد خلقتهم للرحمة، وعن عكرمة نحوه وقال ابن عباس: خلقهم فريقين، فريقاً يرحم فلا يختلف وفريقاً لا يرحم فيختلف فذلك قوله: (فمنهم شقي وسعيد).

وقال الحسن وعطاء: خلقهم للاختلاف.

وقال أشهب: سألت مالك بن أنس عن هذه الآية، فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقال الفراء: خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف.

قال ابن تيمية في كتاب (الرد على المنطقيّن): إن القوم كلما بعدوا عن اتباع الرسل والكتب المنزلة كان أعظم في تفرقهم واختلافهم فإنهم يكونون أضل وقد أمر الله بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: 103)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ (الأنعام: 159)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ (آل عمران: 105).

وقد أُخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون.

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج6، ص273.

وأنَّ الله ﷻ أنزل كتاباً يوضح فيه البينات ليحكموا اختلافهم من خلال آيات الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213).

إن التوصيف القرآني للاختلاف الواقعي فيه دلالة عقلية واضحة لتباين الآراء والعقول والأهواء ولعدم وجود ميزان واحد عند الجميع ليعودوا إليه في حال اختلافهم، فالله لحكمة أرادها خلق الناس بعقول مختلفة، وأهواء متباينة، وخلفيات ثقافية وفلسفية متعددة، وهي مرادة من الله ليعلم الذين حكموا ميزان الشرع على ميزان العقل والأهواء أي لينكشف لهم علمه الأزلي أنهم سيختلفون ويعاقبون إن ابتعدوا عن الحق.

ويردد الرازي ما قاله غيره: المراد بافتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال.

ويقول الرازي: (وفي كل واحد من هذه الطوائف المسلمين واليهود والنصارى والمجوس) اختلافات لا حد لها ولا حصر، والعقول مضطربة، والمطالب غامضة ومنازعات الوهم والخيال غير منقطعة).

وقال الرازي: (ولا يزالون مختلفين) على الاختلاف في الأديان.

ثم قال: (إلا من رحم ربك) احتج أصحابنا على أن الهداية والإيمان لا تحصل إلا بتخليق الله تعالى وذلك لأن هذه الآية تدل على زوال الاختلاف في الدين وحصول العلم والهداية لا يحصل إلاَّ بخلق الله تعالى وهو المطلوب[1].

(1) تفسير الرازي، ج18، ص63.

(ولذلك خلقهم) فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: قال ابن عباس: وللرحمة خلقهم، وهذا اختيار جمهور المعتزلة، وقالوا لا يجوز أن يقال وللاختلاف خلقهم.

القول الثاني: وللاختلاف خلقهم.

القول الثالث: وهو المختار عند الرازي أنه خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف، وروى أبو صالح عن ابن عباس ﷺ أنه قال: خلق الله أهل الرحمة لئلا يختلفوا، وأهل العذاب لأن يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلها وخلق النار وخلق لها أهلاً[1].

إن هذا الموضوع هام جداً وإن ذكر الآية السابقة للاختلاف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: 117)، أي إنَّ الله تعالى لا يهلك القرى وأهلها بسبب الشرك إن كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم (أي في الأمور الاجتماعية) فلا ينزل الله عذابه على قوم بسبب كفرهم وشركهم وإنما إذا ضموا إلى كفرهم وشركهم الفساد في الأرض وإذا أساؤوا في المعاملات، وسعوا في الإيذاء والظلم كما فعل بالأمم السابقة ويؤيده أن الأمم تبقى مع الكفر ولا تبقى مع الظلم.

(ولذلك خلقهم) قال الزمخشري ممثلاً لرأي المعتزلة ولذلك المذكور من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسب اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره.

وذكر أبو حيان أن اللام ليست للتعليل وإنما هي على التحقيق لام الصيرورة في ذلك المحذوف أي ليس الاختلاف والرحمة علة الخلق وإنما خلقهم ليصير أمرهم إلى الاختلاف.

---

(1) نفس المصدر، ص 63.

وأقول: إن الله ﷻ لم يكره أحداً على الاختيار للمعصية لأنه لا يرضاها لهم ولكن أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأنزل الميزان ميزان الحق وأعطى العقول وبين البينات ثم تركهم ليختاروا بأنفسهم ويخلق لهم كسبهم وهذا هو الحق.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: 115).

قال قتادة: أهل رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم.

قال الحسن البصري (ولذلك خلقهم) في رواية للاختلاف خلقهم وقيل للرحمة خلقهم.

إن الاختلاف ناشيء بسبب اختلاف العقول والأهواء والأصل الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولأسباب كثيرة في دلالات النص، والفهم لمقاصد الشريعة، ولأسباب خارجية طرأت على الأمة بعد الترجمة للفلسفة اليونانية والهندية والفارسية، والتأثر بالمانوية والزرادشتيه وبعض أحبار اليهود والنصارى الذين ساهموا في نشوء القدرية والجبرية والمعتزلة وغيرها من الفرق التي وضعت أسساً بنتْ عليها اختلافاتها ولم تعمل لإرساء قواعد قرآنية نبوية ثابتة.

ابن الوزير في كتاب (العواصم والقواصم) يقول إياك أن تغترّ بزيادة (كلها في النار إلا واحدة)، فإنها زيادة فاسدة ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة.

والمحدث الكوثري قال: (اختلف أهل العلم في ثبوت تلك الأحاديث وعدم ثبوتها كلاً أو بعضاً).

الشوكاني في (فتح القدير) 2/ 358 يقول: إن زيادة كلها في النار لم تصح لا مرفوعة ولا موثوقة.

وقال العلامة صالح المقبلي اليماني في كتاب: (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ) ص444.

قال في الزيادة إلا واحدة: بعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة وقال هي زيادة غير ثابتة، وبعضهم تأول الكلام.

وطعن في الحديث الشيخ عبد المتعال الصعيدي والشيخ محمد الغزالي والشيخ حسن السقاف.

والكليني رواه بسنده إلى أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر قالوا عنه: لم تثبت وثاقته وصفه المحلِّي وقال بأنه حسن، ويقول الشيخ حسن الخشن عن الحديث: إن هذا الحديث (الفرقةالناجية) له تأثير سلبي بالغ الخطورة على وحدة المسلمين وتماسكهم، فهو يعمق الهوة ويزيد الشقة ويحول دون التقارب والتلاقي، إذ كيف يتقارب شخص مع آخر وهو بنظرِهِ من أهل النار؟!..

ويقول علامات الوضع والاضطراب في متن الحديث:

1 ـ الاختلاف في عدد فرق أمته ﷺ.

2 ـ الاختلاف في الفرق الناجية أو الهالكة بعضهم يقول (72) وبعضهم يقول (71) وأبو هريرة لا يذكر الهالكة ولا الناجية.

ثم يقول الحديث في ميزان العدل الإلهي يدل على المتصوَّر خلودهم في النار أو مجرد الدخول إليها علماً أن الخلود في النار للكافرين.

والاختلاف المشروع ضمن الحق هو حالة ثراء للأمة وليس حالة ضعف وهو الخلاف في استنباط الأحكام.

وإيجاد القواعد الفقهية المعتمدة، ضمن أصول الفقه والتثبت من النصوص وثوابتها..

والجدير بالاهتمام أن يكون الاختلاف ظاهرة لا تؤدي إلى التكفير والعنف ضد الآخر وإنما علينا أن نحترم الرأي الآخر، ولابد من الحوار العقلاني وبالتي هي أحسن لأن الله أمرنا أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن فكيف لا نجادل الفرق وأصحابها بالتي هي أحسن دون تفسيق أو تكفير أو تشنيع كما يفعل بعض السلفيين.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة في قبول المنافقين في المدينة لم يقتلهم وإنما حاور بعضهم ومنع خالد ﷺ وعمر ﷺ ممن خالف الرسول ﷺ وقال له: بعضهم اعدل وقال له بعضهم اتق الله... فتركهم وحذر من أمثالهم.

وقال حسن الصفار في كتابه (التعددية والحرية في الإسلام)[1]: ولو قمنا بدراسة تفصيلية لتحديد مساحات الاتفاق والافتراق بين المذاهب الإسلامية عقائدياً وفقهياً، لوجدنا أن الاختلاف هو الأضيق مساحة والأقل شأناً، بينما يشمل الاتفاق أغلب المسائل وأهمها، ولكن مشكلة المسلمين تكمن في وجود من يثير ويضخم مسائل الاختلاف لأهداف مفروضة مشبوهة.

قال الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في مجلة رسالة الإسلام مايلي: (إن المسلمين جميعاً مهما اختلفوا في أشياء من الأصول والفروع فإنهم قد اتفقوا على مضمون الأحاديث المقطوع عندهم بصحتها وإن من شهد الشهادتين، واتخذ الإسلام ديناً له، فقد حرم دمه وماله وعرضه، والمسلم أخو المسلم، وإن من صلى على قبلتنا، وأكل من ذبيحتنا، ولم يتدين بغير ديننا فهو منا، له مالنا وعليه ما علينا).

ويقول أيضاً: (وكفى بالقرآن جامعاً لهم مهما بلغ الخلاف بينهم في غيره، فإن رابطة القرآن تجمعهم في كثير من الأصول والفروع، تجمعهم في أشد

(1) التعددية والحرية في الإسلام، ص169.

الروابط من التوحيدوالنبوة، والقبلة وأمثالها من الأركان والدعائم واختلاف الرأي فيما يستنبط أو يفهم من القرآن في بعض النواحي اختلاف اجتهادي لا يوجب التباغض والتعادي).

وكتب العلامة الشيخ محمد جواد مغنية يقول: (المسلم من صدَّق مقتنعاً بكل ما اعتبره الإسلام من الأصول والفروع والأصول الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والمعاد، فمن شك في أصل منها أو ذهل عنه قاصراً أو مقصراً فليس بمسلم، ومن آمن بها جميعاً جازماً فهو مسلم).

ثم يقول: (فالتدين بالأصول أمر لابد له منه للمسلم، ولا يعذر فيها الجاهل، أما إنكار الأحكام الفرعية الضرورية فضلاً عن الجهل بها، فلا يضر بإسلام المسلم إلا مع العلم، بأنها من الدين فالإمامة ليست أصلاً من أصول دين الإسلام وإنما هي أصل لمذهب التشيع، فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد ولكنه ليس شيعياً)[1].

والشيخ الأكبر محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر أصدر فتواه التاريخية بالمساواة بين المذاهب الإسلامية وجواز التعبد بأي منها وقال: (إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلصوا من العصبية بغير حق لمذاهب معينة فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابع لمذهب معين أو مقصورة على مذهب فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى)[2].

---

(1) الشيعة في الميزان، العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، ص267.

(2) تاريخ الفرق الإسلامية، ص7.

ويقول الشيخ محمد خليل الزين: (فالفرق بأسرها متفقة على أصول العقائد الإسلامية وكلها ترمز نحو حقيقة وهدف واحد واختلافها في التطبيق والاتجاه لا يخرجها عن كونها مسلمة تتمسك بالأصول الإسلامية واختلاف الفرق ليس بحديث)[1].

إن فقهاء القطيعة هم البلاء الأعظم لهذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: 94).

وفي صحيح البخاري بسنده قال رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم).

وقال الإمام محمد الباقر ﷺ في صحيح حمدان بن أعين من جملة حديث: (والإسلام ما ظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها وبه حُقِنَتْ الدماء، وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج فخرجوا بذلك عن الكفر وأضيفوا إلى الإيمان)[2].

أول من ابتدع التكفير الخوارج، ثم استمر التعصب والتطرف المذهبي فمثلاً ينقل عن محمد بن موسى الحنفي قاضي دمشق المتوفى سنة 506هـ قوله: (لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزية)[3].

---

(1) السنة والشيعة، د. عز الدين إبراهيم، ص23.

(2) الفصول المهمة في تأليف الأمة، شرف الدين، ص13.

(3) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج1، ص190.

وينقل عن أبي حامد الطوسي المتوفى سنة 567هـ قوله: (لو كان لي أمر لوضعت على الحنابلة الجزية)[1].

والإمام علي ﷺ وصف الخوارج: (هم إخواننا بَغَوْا علينا) وعن الأوزاعي: (والله لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين). وعن ابن سيرين: (أهل القبلة كلهم ناجون)، وعن أبي عيينة: (لأن تأكل السباع لحمي أحب إلي من أنْ ألقى الله تعالى بعداوة من يدين له بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالنبوة).

ولابد لنا من العلم الجاد للوعي والتحرر والانفتاح أمام كل الطوائف والحوار العلمي الجاد وأن نشدد على فقه التآلف والتعاضد والحوار.

(1) نفس المصدر السابق.

الإمامة والخلافة

الخلافة في الإسلام:

النظام الإسلامي يعتمد في أصول الحكم على الشورى، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38)، فهو نظام ديمقراطي يعتمد على الانتخاب وليس نظاماً تيوقراطياً، لأن الوحي انقطع بوفاة الرسول ﷺ.

وعلماء الفقه وضعوا صفات للخليفة وضحتها كتب السياسة الشرعية ولم ينص الرسول عليه الصلاة والسلام على أي خليفة من بعده وإنما ترك الأمر شورى.

وعندما استخلف النبي ﷺ أبا بكر ﷺ في الصلاة شعر المسلمون إشارة إلى أهمية هذا الاستخلاف. فنصبوه خليفة له ومن ثم خلف عمراً ﷺ خوفاً من الفتنة بعد أن أخمد الردة. وكان الصحابة كلهم يستشارون في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ.

بعض الصحابة اجتهدوا ومنهم العباس ﷺ وعلي ﷺ أن الخلافة يجب أن تكون في أقرب الناس إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

وبعض الأحاديث نصت على ذلك: (فقال الرسول ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه)[1]، وإني لألمح من هذا الكلام الإمامة في الشؤون الدينية والخلافة شورى في الأمور السياسية؛ كان عليٌّ ﷺ، إماماً وقاضياً ومستشاراً ويرجع إليه في العديد من الفتاوى من قبل كل الخلفاء السابقين وقد وضحتْ العديد من المقالات والكتب أن علياً ﷺ كان شريكاً رئيسياً في المشروع الإسلامي وحفظه بعد وفاة الرسول ﷺ وهذا يبين في رسالته إلى بعض مؤيديه: (أما بعد فإن الله

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه وقال هذا حديث غريب.

بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأمة.. وأنتم معشر العرب.. يومئذ على غير دين وفي شر دار تسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، أو تقطعون أرحامكم، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل، فمنَّ الله عليكم، فبعث محمداً ﷺ إليكم بلسانكم فعلمكم الكتاب والحكمة، والفرائض والسنة، وأمركم بصلة أرحامكم وحقن الدماء، وإصلاح ذات البين، وأن تؤدوا الأمانات، وتوفوا بالعهد ونهاكم عن الظلم والبغي وشرب الحرام وبخس المكيال والميزان وكل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه، وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل مدته من الدنيا، توفاه الله، مشكوراً سعيه، مرضياً عمله مغفوراً ذنبه، شريفاً عند الله نزله، فلما مضى تنازع المسلمون الأمر بعده فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر عنّي فما راعني إلا إقبال الناس على أبي بكر وإجفالهم إليه فأمسكت يدي ورأيت أني أحق بمقام محمد في الناس، فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد وملّة إبراهيم فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى في الإسلام ثلماً وهدماً، يكون مصيبته أعظم علي من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب، فبايعت أبا بكر عند ذلك، ونهضت في تلك الأحداث، حتى زاغ الباطل وزهق وكانت كلمة الله هي العليا ولو رغم الكافرون، فصحبته مناصحاً، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً وفي رواية (فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحاً..) فلما احتضر بعث إلى عمر، فولاه فسمعنا وأطعنا وبايعنا، وناصحنا..)[1].

---

(1) في كتاب الغارات ج1/ ص201 ـ 202 المؤرخ الشيعي القديم أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي.

فهذا كله يدل على أنه شارك في إتمام المشروع الإسلامي في عهد الخلفاء وبقي إماماً فالإمامة ظهرت في الفتيا التي كانت تصدر منه في عهد الخلفاء وعندما أمسك لجام الفرس لأبي بكر ﷺ عندما أراد القتال في حرب الردة ومنعه من السفر وقال له: كن في المدينة ونحن نجاهد عنك، وعندما منع عمر ﷺ من الذهاب إلى العراق واستخلفه عمر ﷺ في المدينة عندما ذهب إلى الشام لفتح القدس، انظر إذا أردت هذا التفصيل كتاب عمر والتشيع لحسن العلوي.

مظاهر الاختلاف
بين أشهر الفرق الإسلامية

مظاهر الاختلاف بين المعتزلة ومتكلمي أهل السنة من الأشاعرة والماتريديه (حول المعرفة، العالم، الألوهية، خلق أفعال العباد، الإيمان).

إن مظاهر الاختلاف بين الفرق الإسلامية ظهر بعد مقتل عثمان ﷺ وفي أحد الأقوال تكوَّن بعد الصراع على الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ وامتدت جذوره ليكون فرقاً بشكل واضح في اعتزال واصل بن عطاء لمجالس الحسن البصري، وبدأت النزعة الاعتزالية تتوضح كفرقة كبرى بعد أن ضمتها الدولة العباسية وعلى رأسها المأمون ومن بعده وظهرت الفتنة وأجبر الناس على اعتناق المذهب المعتزلي وبخاصة في موضوع خلق القرآن أو أنه قديم أو بعدم القول بأي شيء ونسكت كما سكت النبي ﷺ والصحابة وكبار العلماء.

تعريف المعتزلة:

فرقة من فرق علم الكلام تأثرت بالترجمة عن اليونانية والفارسية واعتمدت على العقل وأنه هو الحكم على النص وليس الوسيلة المساعدة لفهم النص ومن علمائهم: أبو الهذيل، والجعفران، ومحمد عبد الوهاب الجبائي، وهشام الغوطي، إبراهيم النظام، والإسكافي، وابن كُلاَّب، وعباد بن سليمان وبشر بن المعتمر وجعفر بن حرب، وعمرو بن عبيد، وبشر بن سعيد، وأبو بكر بن كيسان.

أبو الحسين الطرائفي قال عنه الشيخ زاهر الكوثري: إنَّ شيعة علي ﷺ لما تخلى الحسن ﷺ عن الخلافة لمعاوية اعتزلوا الناس وانقطعوا لمساجدهم

وعبادتهم، ويقال: إنَّ معبد الجهني هو أصل المعتزلة عندما قال عن القدر ونفاه وقال الأمر أُنف (أي إنَّ الأمر مستأنف، من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وقدر وإنما هو على اختيارك ودخولك فيه)، ويقال: إنَّ واصل بن عطاء هو أول المعتزلة وافترقت على قول البغدادي إلى عشرين فرقة.

اختلف المعتزلة والأشاعرة في المعرفة:

المعرفة عرّفها المعتزلة: أنها مرادفة للعلم والعلم هو (المعنى الذي يقتضي سكون نفس العالم إلى ما تناوله، فليس من العلم في شيء ما لم يطمئن إليه المرء ويعتقده، ولذلك فإن ذلك المعنى لا يختص بهذا الحكم إلا إذا كان اعتقاداً يعتقده على ما هو به واقعاً على وجه مخصوص)[1].

وقال أبو هاشم الجبائي وعلي بأن العلم (هو اعتقاد الشيء على ما هو به).

واعترض القاضي عبد الجبار على تعريف الجبائيين وذلك لأن الجاهل المقلد قد يعتقد الشيء على ما هو به ولا يكون عالماً.

وأما النظّام من المعتزلة فقدْ حد العلم بأنه: (حركة في القلب عند وجود الشيء كما وجد وعرف)[2].

العلم والمعرفة والإدراك عند علماء الكلام معناها واحد إذ هي: (حصول صورة الشيء في العقل)[3].

المعرفة عند أهل السنة: الأشعري عرف العلم بأنه ما يعلم به وربما قال ما تصير به الذات عالماً[4].

---

(1) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، النظر والمعارف ج12، تحقيق د. مدكور ود. طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للنشر، ص13.

(2) القاضي عبد الجبار، المغني، ج12، ص22.

(3) التعريفات للجرجاني، ص135.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، ج1، ص281.

وعرفه الجويني تعريفاً مطولاً عارضه الرازي وانتقده.

الباقلاني قال العلم: (معرفة المعلوم على ما هو عليه أو على ما هو به وربما قال هو المعرفة)[1].

عرف الغزالي المعرفة بأنها: (العلم الذي لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته)[2].

والعلم عند الغزالي (تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المواد، بأعيانها وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها إن كانت مفردة)[3].

والمعرفة عند الغزالي أخص من العلم لأن المعرفة مبناها العقل وليس الحواس والمعرفة عنده درجات وأعلى هذه الدرجات تسمى المعرفة الحقيقية الواصلة إلى اليقين والمعرفة.

والرازي عرفها: (الاعتقاد الجازم سواء أكان اعتقاداً تقليدياً أو كان علماً صادراً عن دليل، ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن دليل)[4].

الأشعرية ويمثلها الغزالي اعتمد على الحدس لأن المشتغل بالعلوم يتوصل عن طريق الحدس إلى معارف كثيرة ولكنه لا يستطيع أن يبرهن عليها وهي تتلاءم مع الفطرة الإنسانية التي أكد عليها ديكارت بأن المعرفة فطرية والعقل المؤسس تأسيساً سليماً وهو بذلك كله يريد صياغة منهج مستقل يعتمد الشرع والعقل معاً والشرع الذي يخاطب العقل والعقل الذي يستند إلى النور

---

(1) القاضي عبد الجبار، المغني، ج2، ص18.

(2) ميزان العمل للغزالي، ص175.

(3) الرسالة اللدنية، ص98.

(4) الرازي، مفتاح الغيب، ج1، ص167.

الرباني فيعيش الحقائق في وجدانه في الوقت الذي يستمتع فيه بالصحوة العقلية المستندة إلى نور الله وعن طريق البصيرة الباطنة.

والقرآن الكريم جعل العقل والحواس أداتين للمعرفة وأنه ليس كمناط للتكليف أو شرطاً من شروط الأهلية للخطاب الرباني المتعلق بالعبد فقط وجعله أداة للتفكر والتذكر والتعقل والقيام بدوره في توجيه الإنسان إلى ربه لعبادته ولا تكون العبادة إلا بمعرفة الله ﷻ والبصيرة التي ذكرها الغزالي هي إحدى وسائل المعرفة بل هي نور من أنواع التعقل الداخلي وهو عقل.

وإن العقل الإنساني النظري من خلال قوانين عالم الشهادة يمكن أن يؤمن بمبدأ وجود عالم الغيب ولكن التجربة الإنسانية الحسية والعقلية تعجز عن معرفة وإدراك وتفصيل عالم الغيب والمصدر الذي نصل إليه لمعرفة عالم الغيب هو الوحي، واستخدم المعتزلة مصادر الفلسفة اليونانية من جهة والدين من جهة أخرى وطريق العقل من جهة وطريق الوحي من جهة أخرى، فخرجوا بحقيقة الدين عن طبيعتها وعقدوا مشكلة الفلسفة بما لا يتناسب ومنهجها وكل هذا كان همهم حراسة الدين والعقيدة والدفاع عن الإسلام ضد التيارات الفكرية الفلسفية الوافدة.

أكد هؤلاء على الوحي والنبوة كمصدر للمعرفة في نظرتهم للوجود والمعرفة والقيم وأخذ المعتزلة عن اليونانيين قدرة العقل على استجلاء حقائق الأشياء، وأن الكون وإن كان يتسم بالحركة والنظام الآلي فإنما هو مسير وفق حكمة عقلية، ونظام أخلاقي والمعرفة عند المعتزلة تحصل بطريق التولد، وبذلك تدعي الضرورة العقلية والعلية الضرورية التي تحكم علاقة الله سبحانه بالأشياء خلقاً وتعليماً.

فنظرية التولد تؤدي إلى أن هذا العلم حاصل بمجرد قدرة العبد فذلك باطل قطعاً عندَ ابن تيمية رداً على المعتزلة وهذا رد عليه القرآن: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: 78)، فالوسائل الحسية توصل إلى العقل (المدركات العقلية) وهذه بدايات التعلم عند الطفل للأشياء المادية فقط.

الحواس لها دورها في المعرفة ذكر السمع في القرآن في مائة وتسعة وثلاثين موضعاً وذكر ما له علاقة بهذه الحاسة في مائة وسبعين موضعاً.

حاسة البصر وآلتها وما يتعلق بها ذكرت في مائتين وأربعة وستين موضعاً، والتذكر ذكر في مائة وثمانية مواضع، والتفكر ثمانية عشر موضعاً والتفقه في عشرين موضعاً، والتدبر في أربعة مواضع والنظر في خمسة وخمسين موضعاً وذكر التعقل في تسعة وأربعين موضعاً.

والحواس هي أبواب المعرفة عند المعتزلة والإدراك عند الأشعري هي العلم بمتعلقات الحواس والخطأ الكبير أن تعتبر المصدر الوحيد للمعرفة.

والعقل طريق من طرق المعرفة مع وجود معلومات متوارثة في الإنسانية مع استعداد العقل للتسليم بها دون أن يشغل نفسه في مصدرها ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: 31)، وهي الضروريات والبديهات.

والقرآن يضع دوراً هاماً للمعرفة ويجعل القرآن الحقيقة التاريخية طريقاً عقلياً للعلم لإثبات الأحدية لله وأن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: 67)، وقالوا بأن العقل يحكم بالوجوب عليه الاتيان بالحسن والأشاعرة يقولون بأن الحسن والقبح شرعيان ومن لم يصل إليه البلاغ معذور عند الأشاعرة خلافاً للمعتزلة في الإيمان والأعمال التي للعقل استقلال في إدراك حسنها وقبحها.

أهم الإشكالات التي اختلف فيها العلماء والفرق:

1 ـ المشيئة الإلهية، والإرادة، والحرية في الأفعال.

2 ـ العقل والنقل (إعمال العقل في النص أم قبول النص بلا تأويل ولا اجتهاد فيه).

3 ـ الحُسن والقُبح عقلّيان أم شرعيان، وجوب الأصلح على الله تعالى أم لا.

4 ـ الإمامة بالنقل أم بالشورى والاختيار.

5 ـ رؤية الله ﷻ في الآخرة.

6 ـ القرآن مخلوق أم قديم.

7 ـ العالم محدث أم قديم أو قدم نوعي كما قال ابن تيمية.

8 ـ الاختلاف في صفات الله ﷻ (إثبات ـ مجاز، النفي).

9 ـ التشابك الخطير بين الجوارح والصفات لله تعالى.

10 ـ العذاب جسدي أم روحي في الآخرة.

11 ـ عذاب القبر ـ المعجزات للنبوة.

12 ـ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

13 ـ المعاصي والكبائر (موجبة للخلود في النار).

14 ـ الكسب من العبد، والخلق من الله واختلافهم فيها.

15 ـ الخلاف في المشيئة والإرادة والمحبة والرضا.

16 ـ العصمة للأئمة أم هي خاصة بالنبوة.

17 ـ الولاء والبراء.

18 ـ في علم الكلام ـ ضرورته ـ فساد القول به ودراسته.

19 ـ التكفير والتفسيق والخروج عن الملة الإسلامية.

الشيعة الإمامية
(الاثنا عشرية)
الجعفرية

ينتسبون إلى الشيعة الجعفرية (الاثنا عشرية) وهم الشيعة الذين اتخذوا مبدأ التشيع للأئمة من أولاد علي ﷺ.

وكان الإمام جعفر بن محمد الصادق عالماً وفقيهاً ومحدثاً وورعاً وهو أول مؤسس لأول مدرسة فكرية وفقهية شيعية في تاريخ الدولة الإسلامية ولذلك نسبت إليه الشيعة وسميت بالجعفريَّة.

وبعضهم ينسب الشيعة إلى أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القميِّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381هـ).

الإمامة انتقلت عند الشيعة من علي كرم الله وجهه إلى الحسن بن علي ﷺ ثم إلى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ ثم إلى الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين السجاد ﷺ، ثم الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر، ثم الإمام جعفر الصادق ﷺ، ثم الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ، ثم إلى علي بن موسى الرضا ﷺ، ثم الإمام أبي جعفر محمد بن علي الجواد ﷺ، ثم الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ، ثم الإمام الحسن العسكري ﷺ، ثم الإمام محمد بن الحسن المهدي الحجة الغائب المنتظر ﷺ.

فهذه الأئمة عند الشيعة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها وهم معصومون كالأنبياء ولا تكون الإمامة إلا بالنص على لسان النبي ﷺ، أو لسان الإمام الذي قبله وليست بالاختيار أو الانتخاب.

مراحل تطور الغلاة:

ظهرت الجارودية (الأمة كفرت وضلت بترك بيعة الإمام علي ﷺ).

ظهرت السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ وهو أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ.

ظهرت الكيسانية: قالوا بإمامة محمد بن علي (ابن الحنفية).

ظهرت الناووسية ـ الإسماعيلية ـ العظمية ـ القطعية ـ المسموية ـ المحدثة، ثم انقرض أكثر هذه الفرق وبقيت الجعفرية والإسماعيلية.

لقد كان الخلاف سياسياً محضاً واستمر حتى موقعة الجمل وصفين ولم يك دينياً أبداً ولم يستدل أحد من الفرقاء بدليل شرعي أو أي نص مدون.

نشوء التشيع والشيعة ومراحلها:

الشيعة هم كل من شايع علياً كرم الله وجهه وبايعوه على الخلافة والإمامة في العصر الأول الهجري وأكثر الناس كانوا مع علي ﷺ إلا بعض الصحابة الذين اعتزلوا الخلاف بينه وبين معاوية.

وبعد حركة صفين خرج عليه قوم بعد التحكيم وسموا بالخوارج.

وتنامت فرق التشيع بعد مقتل الإمام علي ﷺ وازدادت بعد مقتل الحسين ﷺ والحسن ﷺ تنازل عن الخلافة لمعاوية واستمرت الفرق تتنامى بعد ظهور عبد الله بن سبأ وظهرت فِرَقٌ مغالية في علي كرم الله وجهه وفي أولاده والأئمة يطردونهم ويلعنونهم ويردون عليهم حتى ظهرت عند عبد الله بن سبأ مقالات مثل (الرجعة، والبداءة، ولعن الصحابة الذين لم يبايعوا علياً ﷺ في أول الأمر).

وهؤلاء كلهم كانوا مجتمعين على الكتاب والسنة ولا يجد الباحث في عهدهم أي اختلاف حتى ظهرت الزيدية في اليمن بعد مقتل الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (80 ـ 121هـ).

الذي خرج على الدولة الأموية في أيام هشام بن عبد الملك الذي عرف بالتجبر في الأرض والفسق والفجور، بايعه أكثر من خمسة عشر ألفاً من شيعة الكوفة وكان شعاره في خروجه (إني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وإحياء السنن وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل). وكان زيد بن علي يفضل عليّاً بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ولكنه يتولى أبا بكر وعمر ويرى الخروج على أئمة الجور.

وكان زيد تلميذاً لواصل بن عطاء ولذلك سارت عقيدة الزيدية على عقائد المعتزلة في الصفات وخلق القرآن والعدل الإلهي وقضايا الجبر والاختيار، وحكم مرتكب الكبيرة وغيرها. ولا ينكرون خلافة أبي بكر ﷺ وعمر ﷺ لأن علياً ﷺ، قد أجازها وبايعهما.

إن ظهور الشيعة بدأ بعد خلافة أبي بكر ﷺ ولم تظهر أية معارضة وخاصة بعد بيعة علي كرم الله وجهه لأبي بكر.

وبعد أن بويع علي ﷺ ظهرت الشيعة الذين بايعوا علياً كرم الله وجهه وقاتلوا معه في معركة الجمل وفي صفين.

وإن الناس كانوا يحبون آل بيت رسول الله للأحاديث الكثيرة المبثوثة في الصحاح وفي صلاتهم يصلون على النبي وعلى آل بيته الكرام.

قال اليعقوبي في تاريخه: (وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن

العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي بن كعب)[1].

والشهيد الصدر قال: (ومنهم من يرد ظاهرة التشيع إلى عهد خلافة الإمام علي ﷺ وما هيأه ذلك العهد من مقام سياسي واجتماعي على مسرح الأحداث)[2].

وعلي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وفلسفة الحكم) يقول: (ومنهم من يؤرخ هذه الولادة (للتشيع) بزمن الإمام جعفر الصادق حين قام فيه تلميذه هشام بن الحكم بدور واضع قواعد التشيع، ومهندس بنائه الفكري حسب قول الدكتور محمد عمارة على القاعدة الرئيسية التي قام عليها التشيع وهي النص على علي بالخلافة والوصية إليه بهما وهما لم يعرفا إلا في عهد الإمام الصادق وهشام بن الحكم)[3].

وإن كثرة الأحاديث في علي ﷺ: (إن عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي)[4].

وحديث قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[5].

وحديث قال رسول الله ﷺ: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّيْ إلي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج1/ 124.

(2) بحث حول الولاية، ص10.

(3) روح التشيع، عبد الله نعمة، ص22.

(4) صحيح الترمذي، ج5/ 632، حديث 3712.

(5) صحيح الترمذي، ج5، 662، حديث 3786.

والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[1].

وكل هذه الأحاديث دعت كل الأمة لحب آل البيت ولا تدل كلها على الخلافة وإنما تدل على الإمامة في الدين والعلم والتقوى والصلاح وهم خلفاء الرسول ﷺ على المشروع الإسلامي والدليل عندما قال الرسول ﷺ: (يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة قيماً، لا يضرهم من خذلهم، كلهم من قريش).

ولم يكن فيهم من الخلفاء في الإمارة إلا علياً كرم الله وجهه والدليل على الإمامة في الدين: (الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم هم خلفائي وأوصيائي)، ولم يكونوا خلفاء حتى روى راوي الحديث الإمام الصادق لم يكن خليفة إنما كان إماماً.

وإذا حصرت الخلافة بالأحاديث ولم تكن حقيقة فهذا فيه خطأ جسيم أن بشارات النبي ﷺ إن صحت فلم تقع وهذا قدح كبير في الرواية وإذا أردنا إخراج المدلول على الإمامة والعلم والتقوى فهذا هو الصحيح.

وإن هذه النصوص الكثيرة جعلت حب محمد ﷺ وآل بيته عند كل المسلمين وهم كلهم شايعوا علياً كرم الله وجهه فالسنة يحبون آل البيت كلهم وعندهم نصوص كثيرة في فاطمة الزهراء رضي الله عنها، والحسن ﷺ والحسين ﷺ.

ونجد أن الكثير من أهل السنة قد ذكروا مناقب علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء كعبَّاس محمود العقاد والحسن ﷺ والحسين ﷺ.

فالشيعة كانت عقيدة إسلامية ومحبة ووجداناً وعرفاناً وليست مذهباً فقهياً عقائدياً يختلف عن سائر الأمة.

---

(1) حديث مسلم، ج4/ 187، حديث 2408.

حتى جاء عهد الإمام جعفر الصادق فكرس مذهباً خاصاً عقائدياً وفكرياً وفقهياً والذي قعد القواعد للتشيع هو هشام بن الحكم كان الإمام علي كرم الله وجهه مع إجماع الصحابة ولم يقل أي فكرة قيلتْ في المذهب.

وعندما بدأ غلاة الشيعة يظهرون فبدأت الفرق تنتشر باسم أصحابها، فالعصر الأول في عهد الإمام علي كرم الله وجهه، الشيعة والسنة كلهم سواء، العصر الثاني: بعد مقتل الحسين ﷺ بدأ غلاة الشيعة تظهر، العصر الثالث بعد الغيبة الصغرى كان الأئمة المنصوص عليهم عند الشيعة يهاجمون الغلاة ويطردونهم ويلعنونهم بداية من عبد الله بن سبأ وهو الذي قال بالرجعة والبداء ولعن الصحابة الذين لم يبايعوا علياً أوَّلَ الأمر، العصر الرابع بعد الغيبة الكبرى وانقسموا حتى صاروا سبعين فرقة سنبين بعض هذه الفرق.

العصر الخامس عندما ظهر الصفويون وأجبروا الناس على التشيع في إيران والعصر السادس الثورة الخمينية حتى عصرنا الحاضر.

وفي أقوال كثيرة حول الجعفرية أو (الاثني عشرية) يقال: إن من صنف المذهب هو الجعفر القمي وأصل أصولها وله أقوال تخالف الشيعة الأولى وخاصة عند الإمام جعفر الصادق ﷺ.

والشيعة بعد مقتل الحسين ﷺ اتجهت إلى نبذ العنف الثوري واعتماد الأساليب التربوية والثقافية والإعلامية لنشر أفكار أهل البيت.

وجاء في الملل والنحل للشهرستاني: (الإمامية هم القائلون بإمامة علي ﷺ بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل بالإشارة إليه بالعين)[1].

---

(1) الملل والنحل، ص144.

ثم قال: (اختلفت الفرق إلى نيف وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة من هذه الفرق)[1].

ونجد الإمام جعفر الصادق لم يتعرض للإمامة قط ولا نازع أحداً في الخلافة قط وهذا يؤكد ما قلناه سابقاً بأنها الإمامة في الدين والعلم.

أسامي الأئمة الاثني عشر عند الإمامية: المرتضى، والمجتبى، والسند، والسجاد، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضي، والتقي، والزكي والحجة، والقائم، والمنتظر.

الفرق الغالية عند الشهرستاني:

شبهوا بعض الأئمة بالإله، نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية والتناسخية.

السبئيَّة: أصحاب عبد الله بن سبأ قال لعلي أنت أنت يعني أنت الإله فنفاه إلى المدائن زعموا أنه كان يهودياً فأسلم، منه انشعبت أصناف الغلاة أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي ﷺ.

الكاملية: كفّرتْ جميع الصحابة بتركها بيعة علي ﷺ وطعنت بعليٍّ بتركه طلب حقه في الخلافة.

العلبائية: العلباء بن ذراع الدوسي وهو يفضل علياً على النبي محمد ﷺ.

الذمية، والعينية، والميمية: يقولون بألوهية علي ومحمد ﷺ، ومنهم من يقول بأصحاب الكساء، المغيرة بن سعيد العجلي ادعى الإمامة بعد أن طرده وتبرأ منه الباقر ولعنه.

---

(1) المصدر نفسه، ص146.

المنصورية: ادَّعى أبو منصور العجلي أن عليّاً ﷺ هو الكسف الساقط من السماء، وقال: الرسل لا تنقطع وتأول المحرمات وأول ما خلق الله عيسى بن مريم ثم عليّاً ﷺ.

الخطابية: أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ادعى أن جعفر إلهٌ فلعنه وتبرأ منه فادعى الإمامة لنفسه ثم انقسمت الخطابية.

المعمرية ثم البزيقية والمفضلية.

الكيالية: أحمد بن الكيال ثم صرف الدعوى إلى نفسه ادعى الإمامة ثم إنه القائم.

الهشامية: هشام بن الحكم وهو من متكلمي الشيعة.

وأن الله جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء، وهو وهشام بن سالم من المجسمة.

وغلا في حق علي ﷺ حتى قال: إنه إله واجب الطاعة.

النعمانية: محمد بن النعمان أبو جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق.

إن الله على صورة الإنسان (إن الله خلق آدم على صورته) وعلى صورة الرحمن فلابد من تصديق الخبر.

اليونسية: أصحاب يونس بن عبد الرحمن النعمي.

الإسحاقية.

الشيعة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ الأنفال: 46.

قال علي كرم الله وجهه: (ابتليت بقتل أهل القبلة).

قال النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) عبد الله بن سبأ كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن علياً ﷺ أمره بذلك فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله فصاح الناس يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتكم والبراءة من أعدائكم فسيره إلى المدائن عاصمة إيران آنذاك وقيل عن صاحب (روضة الصفا): إنَّ عبد الله بن سبأ توجه إلى مصر وألب الناس على عثمان ﷺ ومدح عليّاً كرم الله وجهه وتأثر المصريون بأقواله وآرائه وخرجوا على الخليفة عثمان فتكونت فئة باسم الإسلام تحت قيادة عبد الله بن سبأ ونشروا عقائد يهودية كافرة ومن هنا بدأت الفتنة والتآمر على الإسلام تحت قيادة عبد الله بن سبأ ليقع الهرج والمرج بين المسلمين ويتوقف الفتح وغرس الحقد والضغينة في قلوب الناس ضد أبي بكر وعمر وباقي الصحابة وما رواه يحيى بن حمزة الزيدي في كتابه (طوق الحمامة في مباحث الإمامة).

مر بقوم ينتقصون أبا بكر ﷺ وعمر ﷺ فأخبر علياً كرم الله وجهه فنهض وقال كلامه الرائع المثبت حتى قال لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل.

وقال زين العابدين علي بن الحسين.. (لقد ادعى أمراً عظيماً لعنَهُ الله) ذكره الكشي وذكر الكشي عن أبي عبد الله جعفر ﷺ (ويفتري على الله الكذب عبد الله بن سبأ) وعن جعفر أن محمد بن أبي بكر بايع علياً ﷺ على البراءة من أبيه، يوم يعض الظالم على يديه قال أبو جعفر الأول يعني به أبا بكر رجال الكشي يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً يا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً يعني (عمر) قال الباقر: (نحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبِّهما والبراءة منهما (رجال الكشي، ص180). وهذه رواية غير صحيحة.

وهؤلاء الغلاة أكثروا من هجومهم على أبي بكر وعمر والصحابة وعلى عبد الله بن العباس وعلى العباس عم النبي ﷺ، ص36.

قصة المؤامرة من عمر وأبي بكر وخالد لقتل علي كرم الله وجهه كذب وافتراء (تفسير القمي)، هذه الرواية فندها الأستاذ الحسن العلوي في كتابه (عمر والتشيع).

الولاية والوصاية هي من أفكار عبد الله بن سبأ.

ومن آراء الغلاة الكثيرة شهر بانو بنت يزدجرد رضي الله عنها زوجوها إلى الحسين بن علي ﷺ.

وفي رواية عن أبي جعفر (بنى الإسلام على خمس الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية (نسوا الصيام).

إن سبب حبس الله يونس عليه السلام لأنه أنكر الولاية لعلي كرم الله وجهه وما أخرجه حتى أقربها (وهذا مخالف لنص القرآن)[1].

رواية عن أبي رافع أن الله ناجى علياً.

وفي (إن الله يناجي علياً)[2].

فضل علي على سائر الأنبياء إلا أولي العزم.

وبعضهم: الأئمة أفضل من سائر الأنبياء نعمة الله الجزائري (الأنوار النعمانية).

القرآن والشيعة:

أنكر الصافي (لطف الله) عندما رد على محب الدين الخطيب قوله بأن الشيعة يقولون بتحريف وتبديل القرآن.

---

(1) بصائر الدرجات، ج2، ص10.

(2) المصدر نفسه، باب 7، ج5.

الكافي في الأصول في كتاب فضل القرآن[1]: عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال: (إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ وآله سبعة عشر ألف آية).

أقر الكافي في الأصول كتاب الحجةباب ذكر الصحيفة والجفر والجامية: (مصحف فاطمة، قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)[2].

وفيما رواه الطبرسي في كتاب الاحتجاج أن عند علي مصحفاً كتمه ولم يظهره وإذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه.

ما رواه الكليني عن أبي عبد الله ﷺ وسمعته يقول: (نحن فرض الله طاعتنا لا يسع الناس إلا معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا من عرفنا كان مؤمناً ومن أنكر كان كافراً ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترضَه الله عليه من طاعته الواجبة[3].

قال الكليني عن أبي جعفر ﷺ قال قلت له لم سمى علي بن أبي طالب أمير المؤمنين قال الله سماه وهكذا أنزل في كتابه: (وإذْ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المؤمنين)[4].

محمد بن علي بن بابويه القمي الملقب بالصدوق عندهم المتوفى سنة 381هـ.

---

(1) باب النوادر، ص634.

(2) الكافي، ص239، 240، 241، ج1، طبعة طهران.

(3) كتاب الحجة من الكافي، ص187، ج1/ طهران.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص412.

مؤلف كتاب (من لا يحضره الفقيه) وهو من القرون الأولى الأربعة أول من قال من الشيعة بعدم التحريف في القرآن.

وقال: (ومن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب)[1].

السيد المرتضى المتوفى سنة 436هـ.

نقل عنه أبو علي الطبرسي وقال: (أما الزيادة فمجمع على بطلانه وأما النقصان فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى).

أبو جعفر الطوسي أنكر الكلام في زيادته ونقصانه[2].

الميرزا حسين تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة 1325 قال بعدم وقوع التغيير والنقصان فيه...

ابن بابويه القمي يقول: (والتقية واجبة من تركها كان خيراً له من ترك الصلاة).

ابن حزم يرد على الإمامية بتحريف وتبديل القرآن[3].

قال مرتضى العسكري في المجلد الثاني (معالم المدرستين): (إن القرآن الذي في أيدي المسلمين اليوم هو الذي أكمل الله إنزاله على خاتم أنبيائه في أخريات حياته وحجة الصحابة بعد وفاته ودوَّنوه واستنسخوه ووزعوه على المسلمين).

وقال مرتضى العسكري:

إن مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن وإنما فيه ما سمعته من أخبار من تحكيم الأمة الإسلامية وجعفر الصادق لما ثار محمد وإبراهيم من

---

(1) الاعتقادات لابن بابويه القمي، باب الاعتقاد في القرآن، ط/ إيران، 1224.

(2) تفسير مجمع البيان، ج1، ص5، ط/ إيران، 1284.

(3) الفصل في الملل والنحل، ج4، ص182.

أبناء الحسن على أبي جعفر المنصور فقال: ليس في كتاب أمهم فاطمة اسم هؤلاء في تملك هذه الأمة"[1].

الشيعة والتصحيح، الدكتور موسى الموسوي:

قال الدكتور موسى بدأت الشيعة تجرح الخلفاء الراشدين وبعض أمهات المؤمنين وذلك بعبارات قاسية وعنيفة لا تليق بأن تصدر من مسلم نحو مسلم ناهيك أن تصدر من فرقة إسلامية نحو صحابة الرسول ﷺ وأزواجه.

وإن الفرق الإسلامية كلها تحب علياً وتكرمه شأنه شأن الخلفاء الذين سبقوه وتحترم آل بيت رسول الله ﷺ وتصلي عليهم في الصلاة في كل صباح ومساء.

وفي ذلك يقول لم نجد أثراً لدى المتشيعين لعلي وأهل بيته للآراء الغريبة التي ظهرت فجأة في المجتمع الإسلامي، بعد الغيبة الكبرى تلك الآراء التي ساهم فيهارواة الشيعة، وقد ظهرت أولاً فكرة التقية ثم ظهرت فكرة عصمة أئمة الشيعة، إلا أن هؤلاء قد أساؤوا للإمام علي وأهل بيته بصورة هي أشد وأنكى مما قالوه ورووه عن الخلفاء والصحابة مع نسبة هذه الروايات إلى أئمة الشيعة، وهناك من أعلام الشيعة الذين حرموا الإساءة إلى الصحابة.

فمنهم مهدي الطباطباني الذي يخاطب السيدة عائشة رضي الله عنها بقوله:

أَيَا حُمَيْرَاءُ سَبُّكِ مُحَرَّمٌ لأَجْلِ عَيْنٍ أَلْفُ عَيْنٍ تُكْرَمُ

---

(1) السنة والشيعة لإحسان إلهي ظهير.

ويقول: إننا لا نجد أثراً لفكرة الخلافة الإلهية في عهد أئمة الشيعة.

وقال الإمام جعفر الصادق أولدني أبو بكر مرتين ينتهي نسبه إلى أبي بكر عن طريق والدته فاطمة بنت قاسم بن أبي بكر وعن طريق جدته أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر التي هي أم فاطمة بنت قاسم بن محمد بن أبي بكر ففي فهمه للتصحيح يجب أن يوضع أمر الخلافة في مكانه الصحيح لقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38).

ولقد صدرت الروايات بشتم الخلفاء، والإمامة كلها بعد غياب الإمام، وفي ذلك يقول الموسوي إنني أعتقد جازماً أنه لا توجد أمة في العالم أذلت نفسها وأهانتها بقدر ما أذلت الشيعة نفسها في قبولها لفكرة التقية والعمل بها وها أنا أدعو مخلصاً وأتطلع إلى ذلك اليوم الذي تبرأ الشيعة فيه من التفكير بالتقية ناهيك عن العمل بها.

وقد ظهرت التقية في أواسط القرن الرابع الهجري بعد الإعلان عن غيبة الإمام الثاني عشر. ويقول الموسوي إن التقية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى التخلف الفكري والاجتماعي والسياسي للمجتمعات الشيعيَّة أينما وجدت. وإن شتم الصحابة أمر يجب إبطاله ومَحْوُ كل الروايات التي وردت في مؤلفات الشيعة.

ويقول: إنّ التقية ديني ودين آبائي نسبوه إلى الإمام الصادق كذباً وزوراً وبهتاناً.

ومن فكرة الإمام المنتظر ظهرت فكرة الخمس ومن ثم ولاية الفقيه، فالخمس فكرة ظهرت بعد الغيبة الكبرى في القرن الهجري الخامس.

ويعد إسماعيل الصفوي العصر الثاني بين الشيعة والتشيع وهو الشاه الذي أعلن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لإيران وأعمل السيف في رقاب

الذين لم يعلنوا تشيعهم ومن المضحك أن أهل مدينة أصفهان كانوا من الخوارج طلبوا من الشاه إمهالهم أربعين يوماً ليكثروا فيها من سب الإمام علي ثم يدخلوا في المذهب الجديد فأمهلهم الشاه كما أرادوا وانضمت أصفهان إلى المدن الشيعيَّة الأخرى.

ويقول الموسوي: إنّ الفقه يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: 122)، لقولهم: إن كل ما حكم به العقل حكم به الشرع.

فالغلو في الأئمة جاوز حده وخاصة في الكتب والروايات الموثوقة عندهم مثل أصول الكافي والوافي والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه ووسائل الشيعة وبحار الأنوار.

وقد غالوا في أمور هي:

1 ـ العصمة.

2 ـ العلم اللدني.

3 ـ الإلهام ـ المعاجز، الأخبار بالغيب، الكرامات، تقبيل الأضرحة، وطلب الحاجات.

وقد أمر الإمام الطبطبائي البروجردي الزعيم الأعلى للطائفة الشيعيَّة أن يخضع الكتاب للتهذيب والتنقيح ويجرد من الروايات والقصص التي فيها تجريح للخلفاء الراشدين ولكن الناشر لم يسمع لذلك وطبع الكتاب. (أي كتاب بحار الأنوار).

وقال في ص97 لم تشوه ثورة مقدسة في التاريخ كما شوهت الشيعة ثورة الحسين بذريعة حب الحسين ويرد قول الشيعي: (من بكى أو تباكى على الحسين وجبت له الجنة).

وأعلن السيد المرتضى في القرن الخامس الهجري أن من قال أشهد أن علياً ولي الله فقد أتى بعمل محرم، وقد أدخلها بعد ذلك إسماعيل الصفوي في إيران وهاجم السيد المتعة فقال: كيف تستطيع أمة تحترم شرف الأمهات اللواتي جعل الله الجنَّةَ تحت أقدامهن بأن تبيح لهم المتعة وتعمل على الأخذ بها.

فقد منعها علي كرم الله وجهه في مدة خلافته لنهي النبي ﷺ عنها وتحريمها.

قال محسن الأمين العاملي إذا كانت المتعة مباحاً فلا يلزم أن يفعل كل أحد فكم من مباح ترك تنزهاً وترفعاً[1].

يهاجم السجدة على التربة الحسينية لأنَّها ظهرت في العصر الثاني من الصراع بين الشيعة والتشيع ثم امتدت نحو آفاق أوسع عمت الشيعة جميعاً أعتقِدُ جازماً أن فقهاءَنا اجتهدوا أمام النص الصريح بسببٍ واحدٍ ألا وهو إيجاد الفرقة في الصف الإسلامي الكبير وحمل الشيعة على عدم التلاحم مع الفرق الإسلامية الأخرى في صلاة يومِ الجمعة.

قالوا: إن شرط الجمعة إنما هو حضور الإمام الذي هو الإمام المهدي ففي عصر الغيبة تسقط الجمعة من الوجوب العيني ويكون للمسلمين الخيار في الإتيان بها أو بصلاة الظهر وقال بعضهم: إنّ صلاة الجمعة حرام في عصر الغيبة ويقوم مقامها صلاة الظهر.

فإنّ الشيخ حر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة) قد أفتى بوجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة[2].

---

(1) الشيعة بين الحقيقة والأوهام، ص357.

(2) النص القرآني، صريح بالوجوب، ص131.

وإنّ الإمام علي كرم الله وجهه قد أقر أيام خلافته بهذا القرآن الموجود بين يدي المسلمين فلو كانت هناك سور أو آيات محرفة لتحدث الإمام علي وأثبتها في القرآن.

وقال الإمام الخوئي ومما ذكرناه قد تبين للقارئ أن الحديث حول تحريف القرآن حديث خرافة لا يقول به إلا من ضعف عقله أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل أو من لجأ إليه يجب القول به والحب يعمي ويصم وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته.

الجمع بين الصلاتين:

ص140 يهاجم الرجعة يقول وعندما تمتزج الأسطورة بالعقيدة والأوهام بالحقائق تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد.

يستهزئ بالدعاء أمام الأضرحة: (مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم)[1].

ص146 يهاجم فكرة البداء المخالفة لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: 60). (السلام عليكما يامن بدا الله في شأنكما)[2].

إن الذين لا يريدون الإصلاح هم الذين وصفهم علي كرم الله وجهه: همج رعاع يميلون مع كل ريح، أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور الله[3].

---

(1) مفتاح الجنان، ص1005.

(2) مفتاح الجنان، ص929.

(3) المصدر نفسه، ص155.

يهاجم أحد خطباء إيران في قوله: (إن جبرائيل كان ينزل على السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة أبيها ويحدثها في قضايا كثيرة).

وهذا يخالف ما قاله علي كرم الله وجهه بعد غسله وتجهيزه للرسول ﷺ بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء[1].

وينهي كتابه للذين لا يريدون التصحيح بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (الحج: 8 ـ 9).

إن المؤلف حاز من المعرفة من علمائه مرتبة الاجتهاد وخاصة من شيخه محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله تعالى.

وتكلم بكل ما وجده من عصور التشيع والشيعة في صراعهم في مراحل متعددة وبحث بجرأة أدبية رائدة كل الذين لا يريدون وحدة هذه الأمة والعودة إلى كتاب الله ﷻ وسنة الرسول محمد ﷺ وإلى أقوال الأئمة من آل البيت رضوان الله عليهم ولم يترك شاردة ولا واردة إلا رد عليها وأراد إعادة تنقيح كتب الشيعة من المقولات المخالفة للقرآن والسنة والعقل كما دافع عن السنة وحضهم على رفع الاتهامات لآل البيت لأنها ليست منهم وإنما حدثت في العصر الثاني والثالث للتشيع وخاصة بعد القرن الخامس الهجري حيث صار فقهاء المذهب الجعفري يبحثون بأمور تخالف العقيدة الإسلامية والقرآن وآراء علي كرم الله وجهه التي وضحها في نهج البلاغة.

---

(1) نهج البلاغة، ج3، ص228.

التقية عرفها ابن حجر العسقلاني: (الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير).

العصمة:

قال محمد جواد مغنية في عقيدة الإمامية: تضاربت الأقوال: المعصوم يفعل الطاعة مع عدم قدرته على المعصية فهو مجبر على فعل الحسن وترك القبيح.

ومن قال: في المعصوم غريزة تردعه عن المعصية.

نصر الدين الطوسي في كتابه التجريد قال: المعصوم قادر على فعل المعصية وإلا لم يستحق المدح على تركها والثواب ولبطل الثواب والعقاب في حقه وهذا باطل بالاسم.

الشيخ المفيد قال: ليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن ولا ملجئة إليه ولكنه لم يترك واجباً ولم يفعل محرماً (الغلو في الأئمة العلامة محمد حسين فضل الله).

نهى عن الاعتقاد بالأشياء التي لا تليق إلاّ بالله تعالى، علم النبي والإمام ليس إلا ما جاء به الوحي وعصمتهم تتعلق بالتشريع.

كل المغالين طردهم الأئمة وأكثر من دس على الشيعة في الغلو هو المغيرة بن سعيد.

قال عنه الشيخ هو من أرجاس البشرية ومن شرار الخلق وكان ملحداً.

صاحب بدعة ومكفرات وتبرأ منه الإمام الصادق ولعنه.

الإمامة واجبة على الله لطفاً في فعل الواجبات والطاعات وتجنب المقبحات وارتفاع الفساد، وانتظام أمر الخلق (قوله حجة كقول الرسول ﷺ) الشافي في الإمامة.

حديث (فمن كنتُ مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه).

وقالت الشيعة: إن النبي كان يخفي من أمر الله تعالى من ولاية علي تقيَّةً وخوفاً من أنفة العرب من ذلك (هل يصح التقية من النبي ﷺ) وإخفاء أي شيء من الوحي الإلهي؟.

وإن الإمامة التي أعرفها وأستنبطُها من كل الروايات والآيات والأحاديث تدل على الإمامة في الدين وليس الخلافة أو الحكم أو السلطان.

الإمام جعفر الصادق ﷺ عندما دعاه أبو جعفر المنصور إلى بغداد:

دعا الله قبل دخوله (اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام واحفظني بقدرتك علي ولا تهلكني وأنت رجائي رب كم من نعمة أنعمت بها علي قلَّ لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قلَّ لك عندها صبري فيا من قل عند نعمتِهِ شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني يا من رآني على المعاصي فلم يفضحني ويا ذا النعماء التي لا تحصى أبداً، وياذا المعروف الذي لا ينقضي أبداً أعني على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرت يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك ياوهاب أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا وشكر العافية.

الإسلام بلا مذاهب، مصطفى الشكعة:

التشيع عقيدة دينية خالصة، وبعضهم يرونها فكرة سياسية خالصة وبعضهم يراها وجداناً عاطفياً خالصاً.

وإن المحن التي حلت بآل البيت قد جلعتْ كثيراً من المسلمين يتشيعون لهم ويتعصبون تشيع عاطفة وتعصب حب لا تشيع عقيدة دينية على أصول عقائد معينة.

قال سيدنا علي كرم الله وجهه: (هلك فيَّ اثنان مغالٍ مفرط، وكاره قالٍ).

وخلاصة القول:

الشيعة فرقة إسلامية تجتمع مع أهل السنة والجماعة في الأصول والأركان (أركان الإسلام، أركان الإيمان).

وفلسفتها متقاربة مع المعتزلة في تحكيم العقل وقبول النص المروي عن الأئمة وتختلف معها في أمور سياسية قديمة كالخلافة لأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ وهذه أمور يجب الابتعاد عنها لجمع كلمة الأمة لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران: 103).

والأهم أن تغربل كتب الشيعة والسنة التي تؤكد على فقه القطيعة والتأكيد على فقه التآلف والتوحد وهذا ما نادى به كبار المخلصين أمثال الشيخ حسين فضل الله حفظه الله، والحسن العلوي في كتابه عمر والتشيع، والشيخ محمد جواد مغنية والموسوي والشيخ محمد مهدي خالصي، والشيخ محسن الأمين، والشيخ محمد علي التسخيري رئيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وعلي الوردي والدكتور علي شريعتي والشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد الحسن شرف الدين له كتاب هام: (الفصول المهمة في تأليف الأمة).

والشهيد الشيخ محمد باقر الصدر قال: (إني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة بذلت هذا الوجود من أجل السني والشيعي على السواء ومن أجل العربي والكردي على السواء، حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعاً وعن العقيدة التي تضمهم جميعاً، ولم أعِشْ بفكري وكياني إلا للإسلام طريق الخلاص وهدف الجميع)[1].

---

(1) مباحث الأصول للحائري، ص151.

عمر والتشيع
ثنائية القطيعة والمشاركة
دراسة وتحليل

ظهر كتاب يثير انتباه كل المتابعين في حالة العراق وما يجري فيها من قطيعة شيعية وسنية أدت إلى التقاتل ضمن خطة مستهدفة إلى استمرار حالة الضياع في كل العالم العربي والإسلامي.

والمؤلف الأستاذ حسن العلوي وهو من شيعة العراق الذي يتعالى عن التعصب والقطيعة بل يزج نفسه في كل إمكاناته للمشاركة بين كل الفرق الإسلامية الشيعة والسنة لنزع فتيل التدمير والاقتتال في العراق، ومن ثم يعيش عبر التاريخ متألقاً فوق الأحداث ليختار الروايات التي تطفىء نيران العداوة، وتضيء مشاعل المحبة والتعاون لإنهاء فقه القطيعة ويأتي بنماذج من كل الذين لا يريدون فقه المشاركة وبدءاً من روايات تاريخية تعود إلى القرن الأول الهجري حيث تؤكد على أن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ قاطع الخليفة الأول والثاني ومكث في بيته خلال فترة تزيد عن ثلاث عشرة سنة.

يحاول أن يبدأ من بغداد ومن المنطقة الخضراء حيث بساتين الكرادة حيث مكامن الأفاعي ومسارب العقارب وهكذاهذا الكتاب سباحة فوق نهر عريض وصعود على جذع طويل ويتحدث في بداية الكتاب عن ثنائية الكتاب ويقول هي قراءة حرة مفتوحة الاتجاهات في عمر بن الخطاب وفي سياسة الخطاب الشيعي إزاءه وما هي إلا كتابة تاريخية في إشكال سياسي راهن نطل منها على الطوفان العراقي حيث يكون الشيعة هم المذهب الحاكم وأهل السنة هم المذهب المحكوم، والكتاب

كما يقول المؤلف: (يروج لنظرية المشاركة في سعيه لرفع الحصار عمن ينحدر الكاتب من أصلابهم.. وجداً بعمر وسيراً على طريق السلم الأهلي الذي يبدأ عندي من لحظة التصالح مع التاريخ حتى يسهل لدعاة المشاركة أن يتصافحوا في الحاضر).

وليس دفاعاً عن عمر ولا يحتاج القارئ أن يكتشف التاريخ المشترك لعلي ﷺ وعمر ﷺ.

ذاكرتي في الطفولة: يرتسم عمر في مخيلتي الصغيرة، إنَّهُ شخص يشتغل في وظيفة مسؤولة عن عذاب الإمام علي كرم الله وجهه وعائلته.

حتى إنَّ في أذهاننا أن عمراً ﷺ هو الذي قتل علياً ﷺ علماً أن عمر ﷺ توفي قبل وفاة علي ﷺ (وفرحة الزهراء) إن فاطمة فرحت بمقتل عمر ﷺ، ولا نعلم عندها أن فاطمة رضي الله عنها ماتت قبل عمر ﷺ.

بدأ المؤلف رحلة التغير من أخيه هادي علوي الذي يثبت له تقييماً لشخصية عمر المتماهية بشخصية علي.

ولا ينسى إيراد بعض الشخصيات العراقية كأمثال مصطفى جواد وعبد العزيز الدوري والدكتور علي الوردي الذين حاولوا الكتابة عن العلاقة الكبيرة بين علي وعمر.

الباب الأول: كونية عمر ـ البرية والدولة ـ والرعية:

يؤكد المؤلف أن الإمام علي كان الشريك الأول وليس المستشار الأول في صياغة مشروع الدولة الناهضة وإدارتها. وأنّ المكون البري حيث عاش فوق برية وليس فيها حواجز وتضاريس فنشأ مخلوقاً سهل النفس، منبسط السريرة بعيد النظر، لقد تعانق عمر والبرية فهو لا يشبه أبا بكر ﷺ، ولم يكن كعثمان ﷺ ولا كان عمر كعلي وارث النبالة الهاشمية ولم يكن عمر في إسلامه آخر عهد له مع البرية وسلوكه مع أخته وزوجها.

وتظهر شخصية الخليفة عمر البرية حيث يلاحق بعيراً ند أي هرب من إبل الصدقة وهو على قتبٍ يعدو ويسأله الإمام علي ولـمَّا عرف سره قال لقد أذللت الخلفاء من بعدك ويحدثنا عن عمر قائلاً:

التقى رجل راعياً فقال له أشعرت أن ذلك الأعسر أسلم؟.

فقال الراعي: إنه الذي كان يصارع في سوق عكاظ، فلما أجابه الرجل إنه هو ذاك، قال الراعي: أما والله ليوسعهم خيراً أو شراً.

والشفاء بنت عبد الله وصفت عمراً (إنه كان إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقاً) ويعترض المؤلف على كلمة (وإذا ضرب أوجع) فهو غير صحيح ولم يستخدم الدرة للإيذاء والإيجاع أو للعقوبات بل كانت عصا الإشارة والتنبيه....

وناقش موضوع إسلامه والروايات الكثيرة وقال: (أجل لقد أسلم عمر بالصوت القرآني عندما أحدثت فيه تلك الصدمة).

يقول المؤلف بعبقرية السقيفة فيقول سقيفة بني ساعدة التي لم يكن للنص الديني رأي فيها فقد كانت من اجتهاد الصحابي سعد بن عبادة وجمع من الأنصار. ويؤكد أن السقيفة كانت المكان الذي غاب عنه المقدس فكانتْ بداية الزمان لحياتنا المقدسة بعد أربعة عشر قرناً، وكان عمر قامع الفرقة في ذلك اليوم وحق له أن يحظى بلقب قفل الأمة..

وقال: (حركة عمر في السقيفة أنجبت حركة حضاريَّة لأمة كانت تتشكل على الأرض) وكانت حركة خلاف مذهبي، ومشكلة دينية تقوم على رفضها عقائد وعلى احترامها عقائد. وينتهي إلى القول: (السقيفة بأعمدتها الأربعة التي أنجبت خلفاء لم يتكرروا في التاريخ، قراراً وليس مؤتمراً بأن لا تموت الدولة الناشئة بموت مؤسسها).

ومن ثم تكلم عن تعيينات عمر ﷺ والمراقبة للولاة بشكل لا سابق له.

إن الاجتهاد في تطبيق الشريعة كان يحدده فيها المقاصد الإسلامية الكبرى فلم يقطع يد الغلمان السارقين لأن حاطباً اضطرهم إلى السرقة لجوعهم وحاجتهم إلى سد رمقهم.

وكذلك اجتهاده في الميراث وفي سواد العراق وإيقاف الحدود عام الرمادة وفي فقه المشاركة من علي كرم الله وجهه عنه يقترح ببدء العمل بالتاريخ الهجري وعلي كرم الله وجهه يقترح للخليفة الذهاب إلى فلسطين وينصحه بعدم الذهاب إلى بلاد فارس.

ويحاول أن يؤكد على العلاقة الطيبة التي كانت قائمة بين عمر والإمام علي حتى إنَّ شرف الدين صاحب المراجعات يؤكد على العلاقة ولقد كان عمر لا يبت برأي في مهمات الأمور قبل أن يستشير علياً الذي كان يشير عليه بغاية من النصح، ودافع من الإخلاص، ولما سافر أمير المؤمنين إلى بيت المقدس استخلفه في جميع شؤون الخلافة على المدينة ويتمثل الانسجام والتضامن بينهما حينما زوجه علي من السيدة أم كلثوم. وسمى أحد أولاده عمراً كما سمى أحدهم أبا بكر وسمى الثالث عثمان ولا يسمي أبناءه إلا بأحب الأسماء عنده ويؤكد المؤلف المودة والمحبة والثقة المتبادلة بينهما ولكن بعض الناس يأبون إلا أن يزوروا التاريخ فكان عمر رحيماً بالأسيرات العربيات فأطلق سراحهن كما أن عبد الله بن الحسن العلوي أبدى سخطه على السياسة التي انتهجها الوالي العباسي داود بن علي في التنكيل بأنصار بني أمية حيث أسرف في سفك دمائهم وبعد وفاته دخل الإمام علي فألفاه مسجى بثوب في ناحية من غرفته فرفع الثوب عن وجهه وقال: يرحمك الله أبا حفص ما أحد أحب إليَّ بعد النبي ﷺ أن ألتقي الله بصحيفته منك.

أكد المؤلف أن العراق العمري قد تنكر لعمر الذي نشر فيه الإسلام ويقول: إن مؤسس حضارة الرافدين هو عمر. وكان يستهدي لتوليد النصوص مع مراجعات ومشاورات مَعَ الإمام علي حتى يتطور وينكر تحريم زواج المتعة من عمر ويدافع عن كرامة المرأة ويرى في المتعة مشهداً لا يتقبله العرف العام، والذوق العام، والشرف العام، والتقليد العام إذ لا يعقل أن أرى رجلاً مع شقيقتي يتغير ثلاث مرات بالسنة إذا كان زواج المتعة بشروطه وعدته ويهاجم منابر القطيعة والتشهير في أمور كثيرة ويدافع عن عمر ﷺ فهو لم يغتلْ سعد بن عبادة الأنصاري، وأنه كان مصيباً بإجلاء اليهود من جزيرة العرب ولم يدخل عبارة (الصلاة خير من النوم) ولم يحرق مكتبة الإسكندرية ولم يكن عمر محسوباً على المفكرين والمبدعين لكنه كان يمتلك حاسة مشبعة بروح العدالة وروحاً شعرية شفيفة وهذا صحيح لأنه أدخل النظام الإداري في الدولة والدواوين.

وفي إيضاح يذكر زعماء النهضة أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي الذين انتقدوا الفهم العثماني ولم تتعرض سياسة الدولة الصفوية إلى نقد مماثل صادر عن المؤسسة الشيعية سوى الفقيه إبراهيم القطيفي وسبقه الشاه الصفوي باستجلاب (120) فقيهاً كبيراً من لبنان والقطيف والعراق والبحرين ويهاجم مشروع تعجيم الشيعة وهجوم فريق القطيعة قد يسب عمر على الشفاه وفي مجلدات الأسفار من العلماء والرد السني لا يتعرض للإمام علي بسوء في رده على من ينال عمر وإنما يسب الشيعة وليس إمام التشيُّع ولا يقتربون من مقام الأئمة حتى إنَّ الصفويين يدمرون أضرحة أئمة السنة. والعثمانيون يأمرون بتجديد أو بناء ضريح للإمام موسى بن جعفر في الكاظمية قبل أن يتوجهوا إلى النجف وكربلاء لزيارة أئمة أهل البيت.

ويهاجم التكفير بين دعاة القطيعة من الطرفين السنة والشيعة ويقرر أن عمر والكتابة في عمر وترويج تيار المشاركة بينه وبين الإمام علي هو الذي سيبني معمارية الوطن الواحد.

ويهاجم فقهاء القطيعة وفقهاء المثالب حيث يؤكدون أن الشيعة عرفت في عهد مبكر منذ عهد الرسول ﷺ.

والفقيه الشيعي عبد الله النعمة في كتابه روح التشيُّع ينكر أن يكون لهذه الجماعة أهداف خاصة أو مذهبية.

وقدم أسماء يؤكدون على فقه المشاركة حيث إن الدكتور علي شريعتي صاحب نظرية التشيع العلوي والتشيع الصفوي وكيف أن الصفويين أدلجوا القطيعة ووضعوا مناهج خاصة بها في البحث التاريخي حيث منح فقيه الدولة الأول الشيخ علي الكركي صلاحيات الشاه فصار حرامه حرامَها وحلاله حلالها فأعادوا التشيع الصفوي والتسنن الأموي.

ويهاجم العلامة كاظم القزويني في كتابه (الإمام علي من المهد إلى اللحد) حيث يؤكد مقاطعة علي منذ وفاة النبي ﷺ حتى وفاة عمر عام 23هـ والتشيع الصفوي يؤكد على مقولة (خذوا ما خالف القوم أو خالفوا ما وافق العامة) ويهاجم القائلين بالمقاطعة حيث سأل عثمان بن عفان ﷺ علياً كرم الله وجهه: إنني لم أخرج عما كان عليه عمر في أمر تعيين الأمراء والولاة والقادة فلماذا رضيتم به، أجابه الإمام علي:

إن عمر كان يتابعهم ويراقبهم ويعاقبهم بالعزل وبغيره إن لم يسيروا سيرة حسنة ولم يترك لهم الأمر.

ويدافع عن الإمام محمد مهدي الخالصي لتركه الشهادة الثالثة المستحبة التي أثيرت حوله وعليه ضجة لم تهدأ.

ويؤكد ميله إلى ما ورد في القرآن من عبارة ﷺ دون زيادة من أهل القرابة والصحابة.

يهاجم مجلدات بحار الأنوار للملا محمد باقر المجلسي الذي يصفه علي شريعتي بأنه داعية السلطنة الصفوية ومروج مشروعها السياسي والروحي يهاجم الشيخ محمد جميل حمود في كل رواياته التي تؤكد فقه القطيعة بالروايات المكذوبة.

وفي لحظة دعوة رائدة يدعو الجمهورية الإسلامية الإيرانية لتكوين مؤسسة هيئة علمية للنظر في صلاحيات الكتب الصادرة بأهل البيت أسوة بالأزهر الشريف لتأكيد وحدة المسلمين.

كما يؤكد على كتاب (أصل الشيعة وأصولها) للإمام كاشف الغطاء ومهزلة العقل البشري لعلي الوردي وفصول من تاريخ الإسلام لهادي العلوي وشيء من هذه المحاولة هي جوازات مرور تخترق جدران القطيعة.

ويهاجم مثالب المستبصرين (رجال دين وكتاب سنة تحولوا إلى التشيع ولقبّوا بالمستبصرين).

هؤلاء ظهروا بعد الثورة الإسلامية في إيران ممن شكلوا ظاهرة إعلامية أكثر منها فقهية أمثال هشام قطيط والتونسي محمد التيجاني السماوي الذي أكد على مثالب عمر التيجانية والمستبصر الأردني أحمد حسين يعقوب (عمر حليف المنافقين) والمستبصر المصري أحمد نفيس الذي تشيع إعجاباً بالإمام الخميني وثورته الإسلامية وموقفها من إسرائيل ويهاجم المؤلف نفيس في كتابه (التشيع ممنوع في مصر) ويؤكد أن المصريين كلهم يحبون علياً وجميع آل البيت ويذكر عباس محمود العقاد عن أبي الشهداء وأبو زهرة في كتابه عن جعفر الصادق وعائشة بنت الشاطئ بكتابها عن السيدة سكينة بنت الحسين.

وعبد الرحمن البدوي وسميرة الليثي وأحمد الشرباصي وطه حسين كما يهاجم المستبصر السوري عامر الكردي الذي يؤكد كراهية وبغض آدم لعمر بن الخطاب.

ويعيد مرويات هؤلاء المستبصرين إلى بحار الأنوار للملا محمد باقر المجلسي وروايته المزورة.

ويهاجم النطف الكسروية بتحليل رائد لعلي شريعتي ويبدد كلمات لمرتضى العسكري ويسلط الضوء على فقهاء المشاركة أمثال محسن الأمين العاملي والسيد محمد حسين فضل الله وعلي شريعتي وعلي الوردي والوائلي وهاشم معروف الحسني ويؤكد المؤلف أن الإمام الخميني عند تأسيس جمهوريته العلوية وجدنا التجربة العمرية شاخصة.

والإمام علي ﷺ يحذر من اغتيال عمر.

وينتهي إلى القول بأن: (الطائفية في العراق شكل من أشكال الصراع على السلطة فهل ينبغي إلغاء السلطة لإلغاء الطائفية أم توزيعها على مستحقيها على قواعد يتفق عليها)، وما زلنا ننتظر لحظة اللقاء بين (ربع عمر وربع علي) ليعودوا إلى الصلاة في المسجد النبوي ويستكملوا ثمانية عشر ألف صلاة مشتركة بين علي وعمر هناك.

وخلاصة الأمر: إنها مساهمة جادة في إعادة اللحمة بين السنة والشيعة بدراسة تحليلية جيدة للعودة إلى الإسلام العظيم الذي كان واحداً ومزقته الأهواء والروايات المكذوبة وكم نحن بحاجة إلى أمثال هذه المحاولات للعودة إلى الصفاء الإسلامي بوحدة عقدية ومذهبية وفكرية.

القرامطة
من سواد الكوفة إلى البحرين

الكوفة كانت منطلق الفتح الإسلامي إلى بلاد فارس وما وراء النهر وارتبطت بحركات المعارضة في التاريخ الإسلامي وارتبطت بالزهاد والمتصوفين وعلى رأسهم (الحسين الأهوازي) وهو متصوف حمل مشعل المعارضة ضد الدولة العباسية.

وكتب عمرو بن العاص من فلسطين إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن مقتل عثمان ﷺ فأجابه بهذا الشعر:

قتل عثمان بسيف سلته عائشة وصقله طلحة وسمه ابن أبي طالب

وقال شاعر علي ﷺ (النجاشي):

جعلتم عليّاً وأشياعه نظيراً لهندٍ ألا تستحونا؟!

وعند مبايعة يزيد كان يقال للرجل (بايع على أنك قن ليزيد).اليعقوبي.

وقد وصف سعيد بن المسيب سني يزيد في حكمه (سنِيْ شؤم): (في السنة الأولى من حكم يزيد قتل الحسين بن علي وأهل بيت الرسول ﷺ وفي السنة الثانية استبيح حرم رسول الله وانتهكت حرمة المدينة المنورة وفي السنة الثالثة سفكت الدماء في الحرم وحرقت الكعبة).

وفي عهد المهتدي وفي عهد المعتمد كانت حركة الزنج ودعى آل علي وفي القرن الثالث الهجري ولدت الحركة القرمطية التي ولدت إمامية تقليدية إلى شورى ومشاركة دعا إلى الخروج على الإقطاعيين علي بن محمد بن عبد الرحيم

المنتسب إلى البيت العلوي واعتمد على الزنج ووعدهم بالحرية والمساواة وكان 30 ألف زنجي حبشي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين ولكنه وقع في تناقض لأنه وعد العبيد بالحرية وتمليكهم رقاب مالكيهم وناظر حمدان قرمط وقتل قائد صاحب الزنج يحيى بن محمد الأزرق البحراني وكانت ثورة الزنج ضد الظلم والاضطهاد لطبقة عانت من العبودية الكاملة التي نهى عنها الإسلام. وبعد القضاء على ثورة الزنج على يد أبي أحمد الموفق سقطت المختارة وقتل صاحب الزنج تولدت حركة جديدة تؤمن بمبدأ ـ المشاركة والملك المشاع والسلطة الجماعية وبعقيدة سنية علمانية وبدستور يستمد مواده من إرث فارسي يوناني تقدم القرامطة من سواد الكوفة يهددون بغداد والبصرة والشام ويقيمون دولتهم في البحرين (باطنية قرمطية).

قال أبو العلاء: (في كل جيل أباطيل يدان بها فهل تفرَّد يوماً بالهدى جيل؟) مر المسلمون بأحداث ستة (يوم السقيفة، ثم مقتل عثمان، ومعركة الجمل، ويوم صفين، وبيعة يزيد ثم وقعة كربلاء)، وتشترك في عاملين رئيسيين: (العصبية القبلية والصراع على السلطة).

ظهرت بعض الممارسات الظالمة من قبل العباسيين/ القرامطة ينادون بالعدالة الاجتماعية ويندون باستبداد الخليفة وبطانته (الأتراك والفرس)، يقول محمد أركون: (إن بذرة الإنسانية والحرية والعقلانية وجدت في أوج الحضارة الإسلامية ولكنها للأسف ماتت بعد وقت قصير بعد زوال كتب الأدب والفلسفة الإنسانية والعقلانية).

وقامت دولة القرامطة واستمرت مائة عام بداية من ميمون القداح وابنه عبد الله (ساندت الإسماعيلية دولة القرامطة في البحرين والذي أسسها سعيد

الجنابي وخلفه ابنه أبو طاهر الذي غزا الكعبة سنة / 317/ وأما عبيد الله بن الحسين فقد انتقل إلى مصر ثم انتقل إلى المغرب وأسس دولة سماها الفاطمية إبعاداً لها عن وصمها بالقرامطة وهناك خلاف كبير بين القرامطة والإسماعيلية والدليل أن القرامطة حيث قام صاحب الخال بهجوم على سلمية ودمروها تماماً وينكر المستشرق أيفانوف العلاقة بين القرامطة والإسماعيلية ويرى برنارد لويس أن القرامطة في البحرين طائفة ذات استقلال ملحوظ عن الإسماعيليين، ويقول د. سامي مكارم: (إن سلوك الحلاج ومنهجه الفكري وروحه الثورية ودعوته الإصلاحية السياسية والاجتماعية جميعها كانت مشابهة لسلوك القرامطة ودعوتهم لتغيير النظم الاجتماعية والسياسية).

ود. محي الدين اللاذقي (ثلاثية الحلم القرمطي) يجزم بأن الحلاج قرمطي الدعوة.

الحلاج يقول:

اقتلوني يا ثقاتي　　إن في قتلي حياتي
ومماتي في حياتي　　وحياتي في مماتي

استبعد عن المحاكمة المعارض الحنفي (أبو جعفر البهلول) الذي اعترض على قتل الحلاج كما أبعد القاضي الحنبلي والقاضي الشافعي واستلم المحكمة رئيس القضاة أبو عمر الحمادي المالكي لأن المالكية ليس عندهم توبة للزنديق وكله بتخطيط الوزير حامد بن العباس.

كان القرامطة شعارهم: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص: 5).

حسين الأهوازي أول دعاة القرامطة أمرهم بصلاة خمسين صلاة في كل يوم وليلة ويقال بأن حسين الأهوازي هو الحسين بن الحلاج، ولذلك عندما قتل دعي ونودي بأنه أحد دعاة القرامطة[1].

يرى القرامطة أن الأنبياء والسلاطين أنزلوا الجماهير إلى مستوى العبودية الاجتماعية والشقاء المادي فأعلنوا أنهم يريدون إرجاع العدل الاجتماعي وإنشاء الرفاه المادي وقد حاول حمدان قرمط إنجاز ذلك بتأسيس مجتمع اشتراكي لأتباعه في السواد[2].

اتهم المؤرخون السنة والشيعة القرامطة بإبطال التكاليف الشرعية ورد عليهم د. محمود إسماعيل بأدلة كثيرة تبطل ما قاله المؤرخون من السنة والشيعة، ويؤكد د. إسماعيل أن حركة القرامطة ثورة اجتماعية باسم الدين ولم تكن حركة مروق عليه فأصحابها مؤمنون بالله ناصرون لدينه وثائرون من أجل الإصلاح عندما نشر حمدان مذهبه بنظام الألفة (أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد يكونون فيها أسرة واحدة لا يفضل أحد منهم صاحبه أو أخاه).

ثم فرض عليهم خمس دخل كل واحد منهم، ثم ألغى الملكية الخاصة وأحل محلها الملكية الجماعية (نظام الألفة).

واستمرت الدولة القرمطية حوالي مائة سنة من البصرة إلى عمان هجم أبو الطاهر الجنابي على مكة عام 317هـ يوم التروية فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم وقلع الحجر الأسود ونفذه إلى هجر وأخذ كسوة البيت وقلع

---

(1) ثلاثية الحلم القرمطي محي الدين اللاذقي حمدان قرمط ونظام الألفة (أو حمدان بن الأشعث).

(2) د. عبد العزيز الدوري.

باب البيت وأصعد رجلاً ليقلع الميزان فسقط ومات وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقي في المسجد الحرام.

وبدأ الاحتجاج من عبيد الله المهدي وبدأت المواجهة بين القرامطة والفاطميين وتم التعاون بين آل بويه والقرامطة ضد الفاطميين.

ويقال: إنَّ القتلى وصل عددهم ما يزيد عن مائة ألف.

ومن بعد صار الحج مقطوعاً لفترة ثم اتفق أبو الطاهر مع أبي عمر بن عيسى وكان أميراً للحج بدفع مبلغ (120000) ديناراً فدية سنوية ثم أعاد سنبر الوزير لأبي العباس الحجر الأسود وقال سنبر بن الحسين (أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئته) وبقي الحجر لمدة اثنتين وعشرين عاماً في هجر وعاد عام 339هـ.

وتحدى الحسن بن أحمد الجنابي الدولة الفاطمية واحتل دمشق وهاجم المعز لدين الله وآباءه وقال هؤلاء من ولد القداح كذابون مخرقون أعداء الإسلام ثم توجه إلى الرملة ومن يافا انحدر إلى مصر عام 361 واستعد الفاطميون وحفروا خندقاً لوقف زحف القرامطة وعاد الأعصم فجأة إلى الإحساء لمؤامرة رتبها أبناء أبي الطاهر ومات الأعصم في فلسطين ونقل جثمانه إلى هجر.

ونتيجة للخلاف بين جعفر وإسحاق تتدهور سيطرة السلطة المركزية ويدخل الأصفر ويستولي على العاصمة وتنتهي دولة القرامطة، ثم تنتشر الشيعة الإثنا عشرية في المنطقة ويبرز علماء كبار من الشيعة وتبقى المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية تحت حكم الشيعة (الإحساء ـ القطيف ـ البحرين).

ويقول الشيخ محي الدين بن العربي: (اعلم وفقك الله أن السبب الذي من أجله نشأت الفتن ووقعت الحروب حتى كشفت عن ساقها وعمت الوقائع جميع أقطار المملكة وآفاقها هو طلب الرئاسة).

كتاب محمد خليفة من سواد الكوفة إلى البحرين (القرامطة من فكرة إلى دولة).

الوضع الاقتصادي في الدولة العباسية هو الذي تسبب بنشوء حركات اجتماعيَّة ضد الدولة وبداية يشرح بعض المحللين أن الدعوة الإسلامية كانت ترسي قواعد العدل الاجتماعي ويستشهدون بالآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ (القصص: 5).

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ (هود: 27).

في العهد الأموي تنامى الإقطاع وأخذت الطبقة الحاكمة تكتسب ملامح الطبقة الأرستقراطية شبه الإقطاعية في حين تحولت الخلافة الشرعية إلى الملك الدنيوي الوراثي.

وفي حالة الغليان في العصر العباسي، وتفاقم الأزمة العامة للخلافة نتجت الحركات السياسية الدينية والقبائل المهملة وجماهير الأرقاء والفلاحين والصناع بدأت الحركات ضد السلطة العباسية واستغلت الحركة الإسماعيلية هذا الوضع فظهرت الحركات القرمطية في السواد والبادية والبحرين على وجه الخصوص.

الأهوازي دعوته أهل السواد ليوزع الأراضي على العاملين بها من الفلاحين حمدان قرمط والأهوازي بدؤوا يجمعون الفلاحين والقبائل حول دعوة شعارها: (تمليك الفلاحين أملاك أصحابهم).

انشق حمدان قرمط وعبدان عن الحركة الإسماعيلية وانشق زكرويه بن مهرويه عن قرمط ودعا لمحمد بن إسماعيل.

بدؤوا قتل الناس في بعلبك والرصافة وأحرقوا مسجدها عام 290هـ، ثم قتلوا أهل السلمية وقتلوا البهائم وصبيان الكتاتيب.

حتى إنَّ أهل دمشق صالحوا القرمطي ودفعوا له وبعضهم تقرمط وعاضدوه.

التدهور الاقتصادي في البحرين جعل المتمردين ضد الخلافة.

أعلنوا بعد وفاة النبي ﷺ الارتداد عن الإسلام ثم قاتلوا مع الخوارج بقيادة عبد القيس وخاضوا صراعاً عنيفاً ضد الحكم الأموي انضم أهل البحرين ومن حولها من القبائل إلى (أبي سعيد الجنابي).

ثم تمركز في الإحساء ومع صفوف قوم ضعفاء في القطيف ويركز الدارسون للقرامطة أن الأعراب الذين استجابوا لدعوة أبي بكر ﷺ إلى الفتوح كان طمعاً في الغنيمة يقول شاعرهم:

وما جنة الفردوس قد جئت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمرُ

بعد تخريب هجر (كون مدينة له أبو سعيد الجنابي كانت مصالح القرمطية مصالح غزو وغنيمة وعندما استتب الأمر لأبي سعيد الجنابي بدأ بإصلاح الأراضي والتوسع في استخدام العبيد كان للحكام حسب رواية ناصر خسرو (سفرنامه) أن للحكام عندهم ما يزيد عن ثلاثين ألف عبد زنجي وحبشي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين وبعد وفاة أبي سعيد استلم ابنه أبو طاهرودخل القرامطة البصرة فنهبوها وقتلوا وسبوا من فيها عام 307هـ ثم هاجموا الكوفة والأنبار وباتت بغداد مهددة بالسقوط عام 315هـ.

كانتْ غايتهم من كل هذا إذلال الدولة العباسية وكسر هيبتها وإظهار عجزها ودفعها إلى التنازل عن خراج البصرة والأهواز لصالح

القرامطة، ثم الهجمة العنيفة على مكة عام 317هـ واقتلاعُ الحجر الأسود من البيت وقتل الحجاج يوم التروية وفي عام 327 طلب عمر بن العلوي إلى القرمطي إطلاق الحجاج مقابل كل جمل خمسة دنانير وبقي الحجر الأسود في هجر 22 سنة.

الخليفة المطيع عقد اتفاقاً نهائيّاً مع القرامطة ودفع للقرامطة مبلغاً كبيراً مقابل أن يردوا الحجر إلى موضعه ففعلوا.

ثم ظهر الصبي الأصفهاني الذي نصبه بعض القرامطة إماماً لهم يطيعونه في أمورهم.

ثم تولى الحسن الأعصم مقاليد القيادة وفرض ضريبة هامة على الدولة العباسية قوامها ثلاثمائة ألف دينار سنوياً (المقريزي) وكان الأخشيديون مكلفين بدفعها له؛ والمعز الفاطمي كان يهادنهم لما كان بالمغرب ولما وصل إلى مصر قطع ذلك عنهم.

ثم أقاموا الدعوة للمطيع لله العباسي عام 360 وأظهروا أنفسهم كأمراء للنواحي المعينين من قبل الخليفة العباسي.

وعشية تأسيس الحركة القرمطية في السواد ومن ثم في بادية الشام والبحرين بلغت الخلافة من السوء درجة كبيرة.

اشترك القرامطة مع محمد بن الحنفية ثم مع الإسماعيلية.

وظهرت جماعة إخوان الصفا وعلى رأسهم الفارابي.

الغزالي وابن الجوزي ذكر في معرض البرهان على أنه لا دين للقرامطة والباطنية (على أن مقصودهم الإلحاد وتعطيل الشرائع واستدراج الخلق إلى مذاهبهم).

الحركة البابكية (انتفاضات الفلاحين) فلاحو أذربيجان ضد مستغليهم من رجال الإقطاع وضد تسلط الخلافة وعمالها وإزالة الفوارق الطبقية. (قتل بابك وحمل رأسه إلى دار السلام ثم طافوا به في بلاد خراسان لما كان له من أمر في خراسان).

وأثرت حركة الزنج في البصرة وحركة القرامطة في السواد، قدمت ثورة الزنج النموذج في تحرير المستضعفين من ملاكهم الإقطاعيين واتهمت القرامطة باتباع المجوسية والمزدكية والخرَّميَّة والبابكية وأباحوا نكاح الأخوات.

وثورة الزنج أثرت في القرامطة وقامت بين 255هـ إلى 270هـ أعظم ثورة للرقيق في التاريخ الإسلامي حيث وعد علي بن محمد أتباعه بمهمَّةِ تحرير العبيد من سادتهم ثم إغنائهم ولكنه وعدهم بأن يملكهم العبيد.

عارف تامر في كتابه القرامطة تكلم عن (الحركة الإسماعيلية القرمطية) ذات النزعة الاشتراكية.

وإن الكثيرين من الباحثين دمجوا الإسماعيلية والقرمطية والفاطمية بحركة واحدة والذي أعاد تعظيم الإسماعيلية العبقري عبد الله بن ميمون القداح المارق عن الإسلام، حسب قول برنارد لويس، في كتابه أصول الإسماعيلية ص79 التشيع كان سائداً بين القرامطة.

ثم كان ممزوجاً بأن بعضهم مزج بين المسيح، ومحمد بن الحنفية وجبريل والأذان 3 مرات الله أكبر وأشهد أن لا إله إلا الله وأن إبراهيم رسول الله ويدعون إلى وحدة الأديان التي تؤدي إلى ظهور المهدي.

صيام يومين في السنة (المهرجان والنوروز) وأن الخمر حلال ولا غسل من الجنابة وإنما القبلة إلى البيت المقدس والحج إليه.

يتهمون بالفكر الإلحادي المادي وقالوا بسقوط التكليف عند الانتهاء إلى الإمام محمد بن إسماعيل (وهم يخرجون الخلق من الشريعة).

الملطي يعتبر ممن يبيحون المرأة.

ومذهبهم (أبو سعيديون) نسبه إلى أبي سعيد.

وليس في الإحساء مسجد جمعة ولا يقام بها صلاة ولا خطبة.

ورواية ناصر خسرو (أن البدو لا دين لهم).

وخلاصة القول: (القرمطية حركات اجتماعية سياسية أعادت صياغة المعتقدات الدينية الإسلامية بما يتوافق ورؤية كل منها لمصالحها، ومواقعها من الصراعات المحتدمة في ذلك العصر).

مشروعهم الألفوي (الألفة بين القرامطة).

وهي ثورة اجتماعية همُّها الانقضاض على الدولة العباسية وهادنتها في فترة من بزوغها. ثم اضمحلت وحلت محلها الإمامية الإثنا عشرية في البحرين والإسماعيلية في السلمية وفي السواد والإحساء والقطيف وانتشر فيهم التشيع.

الإسماعيلية

قال الشهرستاني في الملل والنحل ج1/ ص170:

إسماعيل بن جعفر هو الابن الأكبر لجعفر الصادق ﷺ وهو المنصوص عليه في بدء الأمر للإمامة. وبعد إسماعيل عهد إلى ابنه محمد بن إسماعيل وأشهر ألقابهم الباطنية وذلك لحكمهم بأن (لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً)، وفي العراق يسمون بالباطنية والقرامطة والمزدكية.

وهم يعتبرون نُفاة الصفات حقيقة، معطلة الذات عن جميع الصفات نقل عن محمد بن علي الباقر أنه قال لـمَّا وَهَبَ العالم للعالمين قيل: هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل: هو قادر فهو عالم وقادر بمعنى وهب العلم والقدرة، وعندهم الناطق (النبي) والوصي (الأساس).

وأصحاب الدعوة الجديدة حين ظهر الحسن بن محمد بن الصباح وصعد إلى قلعة آلموت من نواحي قزوين وكانوا يقتلون الناس وقضى عليهم هولاكو قبل خراب بغداد وكان عندهم نصر الدين الطوسي.

وقالوا في معرفة الله تعالى أحد قولين: إما أن نقول أعرف الباري تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج إلى تعليم معلم.

وإما أن نقول لا طريق إلى المعرفة من العقل والنظر إلا بتعليم معلم ومن أفتى بالأول فليس له الإنكار على عقل غيره ونظره فإنه متى أنكر فقد علم والإنكار تعليم ومنعوا العوام من الخوض في العلوم حتى منعوا من الخوض

في مطالعة الكتب المتقدمة إلا من عرف عقائدهم، إن إلهنا هو إلـه محمـد وهـو الذي أرسل محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق.

بعد تحول التشيع إلى مذهب وعقائد أدى إلى نشوء الحركـة الإسـماعيلية وسببها أنه (جعفر الصادق) استبعد إسماعيل وعين ابنه الآخر موسى الكاظم، ومن ثم تطورت الكيسانية إلى الإسماعيلية وصارت تمثل الاتجاه الثوري المنشق عن الحزب الشيعي (التكتم والسرية) (التصرف في الفعل السياسي) أبو عبيـد الله المهدي من الإسماعيلية الذي هرب من الـسلمية إلى شـمال إفريقيـا وكـون دولة المهديين.

قال الشاعر أبو العطاء:

يـا ليـت جـور بنـي مـروان عادلنـا يا ليت عـدل بنـي العبـاس في النـار

قال الدكتور سهيل زكار: فالإسماعيليون لم يستهدفوا إحلال أسرة حاكمـة محل أخرى فقط بل أرادوا أن يقدموا عقيدة عالمية مرتكزها الإسـلام والتجـارب الفلسفية الإنسانية ولذلك لاقى فكرهم القبول وسـيطر عـلى العقـل الإسـلامي لأكثر من قرنين، وثم تأسست الدولة الفاطمية في المغرب ثم انتقلـت إلى المـشرق وأخفقت عندما واجهت التطبيق للنظريات، وهنا ظهر الإخفـاق تلـو الإخفـاق وبعد حسن الصباح انتكست الدعوة الإسماعيلية وتقوقعت العقيدة وتخلت عـن أهدافها العالمية واكتفت بممارسـة الاغتيـال الطقـوسي وفي بعـض الروايـات أن محمد بن إسماعيل وشى للخليفة الرشيد بعمه موسى الكاظم فقتله.

قدم الإسماعيليون للورعين احتراماً ظاهراً كبيراً للقرآن والحديث والشريعة ومسايرة للعقيدة الشعبية الدارجة وقدموا للمثقفين شرحاً باطنيـاً فلـسفياً للكـون وخاصة الفكـر التـأويلي والإشراقـي في فـن الأفلاطونيـة الحديثـة وقـدم رجـال

الإسماعيلية للصوفية والروحانية مادة فيها الدفء العاطفي والعرفان مع الحب المتسامي المؤدي إلى التحام الكائنات ووحدة الوجود؛ وفي خضم ضعف السلطة العباسية قامت ثورات كثيرة واشتغل علماء السنة بالإلهيات ولم يفكروا بالحالة الاجتماعية فكان الناس يريدون البديل وازدادت الحاجة إلى المهدي المنتظر فقدم الإسماعيليون البديل، وسيطروا على مسارات التفكير الإسلامي وعلى عقول الفلاسفة وتغلغل تأثيرهم الموجه إلى جوف نظم وأفكار التوارث وحركات العدالة والمساواة في بلاد الإسلام، وبعد موت المكتوم استلم ابنه أحمد الرضي الذي نصبه ميمون القداح، وبعد وفاة أحمد استلم عبد الله بن ميمون القداح واسمه المهدي واستقر في السلمية وكان لهم تأثر بالمانوية (حركات الإسماعيلية بدلاً من حركة) واعتبرت نفسها دعوة عالمية وقسمت العالم إلى جزر وأرسلوا إلى كل جزيرة أحد الدعاة المرتبط بداعي الدعاة ثم ركزت على اليمن.

وفي اليمن الجنوبي أرسل ابن حوشب الذي سمي (منصور اليمن).

ثم تأسست الدولة الإسماعيلية في المغرب (تونس) حسب رواية نعيم بن حماد (ملاحم وفتن).

وفي عام 909م ولدت دولة الخلافة الفاطمية نسبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وهذه الخلافة هي أول خلافة شيعية متطرفة في التاريخ.

وكان أول خليفة لها أبو عبيد الله المهدي (أبو عبد الله المهدي) ولكن لا ندري هل كان إمام استيداع أم استقرار وهل انحدر من صلبه أئمة الخلافة الفاطمية وظهر القائم (ويعتبر كنبي عندهم) وذلك حسب الرسالة المذهبية وهي من أهم الرسائل الإسماعيلية للقاضي النعمان وقتل في القيروان ما يزيد عن أربعة آلاف من الذين لم يبايعوه.

وبعد وفاة المهدي تولى القائم ثم المنصور إسماعيل الذي أوفد جوهر الصقلّي وفتح مصر وبدأت الخلافة الفاطمية في مصر ونجحت الدولة الفاطمية في المغرب سياسياً، ولم تنجح عقائدياً وعاد أهل المغرب الإفريقي إلى الولاء السني العباسي وكان همها الأكبر القضاء على الدولة العباسية (المتنبي كان داعية إسماعيلياً مغموراً ذهب إلى مصر..) فخلف المعز لدين الله الفاطمي ابنه العزيز ثم ابنه أبو علي المنصور من أم مسيحية وسمي الحاكم بأمر الله واختلف الناس فيهم فمنهم من جعله إلى المنزلة الإلهية ومنه من وصفه بالشذوذ والطغيان والشر والكفر يريد إقامة دين جديد يجمع كل الديانات وقتل كل الرجالات ليثبت قدرته في أن يفعل ما يشاء.

وثار عليه أبو ركوة وادعى أنه هشام بن الوليد الأموي الأندلسي وبعد انتصاره على ثورة في صور وعلى قبائل طي في فلسطين بدأ يلبس الصوف ويظهر الزهد ثم اختفى والدروز يقولون بأنه ارتفع من الأرض وعاد إلى طبيعته الإلهية.

لقد جاء اختفاء الحاكم في 411هـ وقبل غيابه عين ابن عمه عبد الرحيم ابن إلياس ولياً لعهده ثم خلعه عن ولاية العهد وعزله وإِثْرَ وفاته أخرجت أخته ست الملك ابنه أبا الحسن علي وأعلنته إماماً جديداً وسمي الظاهر لإعزاز دين الله وبعد وفاة الظاهر استلم ابنه المستنصر 427هـ وبعد السلاجقة عززت الدولة الفاطمية وحبس الخليفة العباسي وأعلنت الخطبة للمستنصر وألغيت الدعوة العباسية وبعد سنة تمكن طغرلبك سلطان السلاجقة من قيادة جموعه من التركمان واستعاد بغداد وقتل البساسيري وأعاد الخليفة العباسي إلى داره واستلم بدر الجمالي مقاليد الأمور في القاهرة وأثناء وجود ابنه الأفضل بن

الجمالي يبدأ الغزو الصليبي وعين المستعلي وانشقت الحركة الإسماعيلية في المشرق واستلم حسن الصباح قلعة آلموت واستولوا على بعض القلاع في بلاد الشام واشتهروا بالاغتيال وتسمى في بلد الشام الحشيشية (بمعنى الاغتيال) الحسن بن محمد بن كيابزرك أمير توجه إلى مكة وصرح برسالة الإمام القائم بإعلان القيامة وأعفاهم من أعباء الناموس وتكاليف الشريعة وبعد ذلك قام هولاكو باحتلال قلاع آلموت وفي العصر الحديث يتزعمهم أئمة يحملون لقب الآغا خان وظهر الطيب ونقل أتباع هذه الدعوة إلى الهند ويوجد في الهند ما يزيد عن مليون ونصف من المستعلية (البهرة) وداعي الدعاة يسمى سلطان وقام نور الدين بإرسال أسد الدين شيركوه وكان صلاح الدين بصحبة عمه وبعد وفاة أسد الدين حل محله صلاح الدين وألغى الخلافة الفاطمية بتعليمات تلقاها من نور الدين.

حاول إيفانوف نفي العلاقة بين القرامطة والإسماعيلية وينسب إلى عبدان الداعي القرمطي (تصنيف رسائل إخوان الصفا) والحشيشية تعريفها (الحشيشي هو الذي يقتل الآخرين من أجل المال)، وظهرت عند مؤرخي الحروب الصليبية (اسماً لطائفة شاذة من الطوائف الإسلامية).

وفي إيران قرب قم جماعة من الإسماعيلية ينتسبون إلى شاه خليل الله ويبجل ويعظم كأنه إله ويلقبّونَه الخليفة.

وفي الهند جماعة الإسماعيلية تسمى (الخوجات).

وشاه إيران عام 1818 عينه حاكماً على محلاه ومنحه لقب آغا خان وقال برنارد لويس: (وكان الإسماعيلية من حيث الشكل والصفة جماعة سرية ذات نظام لأداء الأيمان، والمريدين ومراتب للزعامة الدينية في

الدرجة والمعرفة، ولقد تم الحفاظ على الأسرار بشكل جيد خلال خمس وثلاثين سنة للحسن الصباح لم يشرب الخمر في قلعته بل أعدم واحداً من أبنائه من أجل شربه الخمر.

ولكن في 17 رمضان أعلن القيامة وأعفاهم من التكاليف الشرعية برسالة من الإمام وسمح بكل المنكرات في ذلك اليوم وبدت القيامة، والعبادة والطاعة أمران روحيان وفي طقوسهم إذا استمر الإنسان بالعبادة الجسدية والشعائر يقتل ويرجم، وعندما صار جلال الدين خليفة لأبيه الحسن أعاد أحكام الشريعة ومنع المنكرات وتعاون مع جيرانه وتزوج منهم وتعاون الحشيشية مع الفرنجة في بلاد الشام.

وعند حدوث القيامة في قلعة الموت وجاء الخبر إلى سورية (سنان أحل لهم وطءَ أمهاتهم وأخواتهم وبناتهم وأسقط عنهم صوم رمضان). وبعضهم أعلن أن سنان ربهم ثم عندما حوصر من قبل حاكم حلب دمر الصفاة (مجموعة من المنفصلين عن الإسماعيلية) الذين أباحوا الحرمات.

الإسماعيلية: فرقة بدأت مع محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ﷺ اختفى الإمام وقيل مات وقيل عنه: إنه المهدي المنتظر.

ثم تشكلت مجموعات في سلمية وهرب إلى المغرب وأقام دولته الفاطمية من ثم إلى مصر.

شكلوا لهم جماعة في اليمن.

ثم انصرفوا إلى إيران بلاد فارس وشكلوا قلاعاً كثيرة أهمها قلعة آلموت.

اغتالوا العديد ممن حاول حصارهم أو قتلهم أو إيقاف دعوتهم، شكلوا فئة الفدائيين للموت.

وانتشروا في الهند ومصر وشمال إفريقيا وبلاد فارس أمورهم الدينية فيها أسرار وفلسفات خاصة.

إخوان الصفا وخلان الوفا فلسفتهم.. عقائدهم باطنية.

الإسماعيليون اشتهروا في بلاد الشام. آخرهم آغا خان لهم مراكز في العالم وأهمها في لندن وفي أفريقيا وفي الهند (البهرة) النزارية، وفي السلمية، وفي إيران.

درست حركتهم من المستشرقين وخاصة برنارد لويس ومن كتابهم المعاصرين / عارف تامر ـ مصطفى غالب.

دراسة لكتاب
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين

المؤلف أبو الحسن الأشعري المتوفَّى سنة 324هـ:

ابتدأ دراسته بالفهرس للكتاب.

ابتداء الكتاب أول اختلاف حدث بين المسلمين وهو اختلافهم في الإمامة درس الشيعة والفرق ثم درس اختلافاتهم:

الصنف الأول: الغالية، ثم الصنف الثاني: الرافضة، ثم الصنف الثالث: الزيدية، ثم الخوارج وعدد الفرق، ثم ذكر الإباضية، وبعد ذلك درس المرجئة ـ ذكر الجهميَّة، وبعدها درس المعتزلة وأقوالهم ومعتقداتهم، ثم ذكر اختلاف المتكلمين.. ثم ذكر اختلاف الناس في البلوغ.. ثم وضح الولاية والعداوة، والاختلاف في الناسخ والمنسوخ.

مقدمة الناشر:

الأشعري: كان مؤسس كلام أهل السنة وأول من استعمل البحث والمناظرة والاستدلال العقلي لنصرة مذهب أهل الحديث يتصف الكتاب بأن المؤلف سلك سبيلاً بعيدة عن التعصب والتحيز إلى فئة وترك ما اختاره بعض المتأخرين من التشنيع على المخالفين وتكفيرهم ولعْنِهم، وقال عنه ابن تيمية: إنَّه أجمع الكتب التي رأيتها في مقالات الناس المختلفين في أصول الدين.

الذي حال دون انتشار الكتاب تركيبه غير المألوف ورتب الكتاب على الفرق ثم على المسائل وأجمل ثم بين وكرر في مواقع كثيرة.

وقيل عنه: إنَّه أقوى في المناظرة من التصنيف (أي الأشعري).

حتى إنَّ الجبائي أستاذه ينيبه في المناظرة وهو أستاذه ويتصف بالأمانة العلمية في النقل عن المقالات السابقة التي ضاعت كلها، ألف الكتاب بعد عام 291 من الهجرة.

النسخة الأولى من جامع أيا صوفيا. وكانت في القاهرة والثانية أيضاً وكانت في دمشق سابقاً والنسخة الثالثة في المكتبة الملية سابقاً، بباريس، والنسخة الرابعة في المكتبة الحيدر أبادية، والنسخة الخامسة ملك خواجه إسماعيل أفندي.

بدأ الكتاب بحمد الله ﷻ ثم في أن أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليهم وسلم اختلافهم في الإمامة...

ثم ذكر قصة الخلاف في قتل عثمان ﷺ ثم قتال معاوية ﷺ لعلي ﷺ ثم التحكيم واختلاف المسلمين إلى الشيع والخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية والضرارية والحسينية والبكرية والعامة وأصحاب الحديث والكلابية أصحاب عبد الله بن كُلاب القطان.

فالشيع ثلاثة أصناف فمنهم الغالية وهم (15)فرقة والصنف الثاني الرافضة (الكاملية 24 فرقة) والكيسانية (11 فرقة) فرقة هشام بن الحكم/ قال في أمور كثيرة.

بعضهم يقول بالاعتزال.

وبعد أن ذكر اختلاف الفرق وأن الزيدية تقول بخلافة المفضول مع وجود الأفضل ورضوا بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وبعض الفرق كانت معتدلة وبعضها على مذاهب المعتزلة.

الخوارج: وذكر الكرابيسي أن بعض الخوارج (العجاردة والميمونية خرجوا على علي وكفروه يجيزون نكاح بنات البنين وبنات البنات).

ويحكي عنهم أن سورة يوسف ليست من القرآن.

وكل الخوارج يقولون بخلق القرآن.

كل كبيرة فهي كفر نعمةٍ لا كفر شرك وإن مرتكبي الكبائر في النار خالدون.

الخوارج يقولون بالتوحيد إلا الإباضية تخالف المعتزلة في دار الكفر.

أهل الكبائر مخلدون في النار.

أطفال المؤمنين حكمهم حكم آبائهم.

لا يقولون بعذاب القبر.

ثم ذكر المرجئة بأنهم اختلفوا في الإيمان ما هو وهم اثنتا عشر فرقة جهم بن صفوان الكفر بالله هو الجهْلُ به والإيمان بالقلب (الإيمان لا يزيد ولا ينقص).

وتعبير المؤلف الفرقة التاسعة من المرجئة (أبو حنيفة وأصحابه).

أبو حنبقة يقول: الإيمان يزيد ولا ينقص.

بشر المريسي من المرجئة وابن الراوندي.

الجهمية الكفر بالقلب.

المرجئة لا يكفرون أحداً من المتأولين ولا يكفرون إلا من أجمعت الأمة على إكفاره.

ولا يضير مع الإيمان عمل ولا يدخل النار أحد من أهل القبلة.

جهم بن صفوان/ الجنة والنار تفنيان.

مقاتل بن سليمان (الله جسم) في الرؤية بعضهم قال بها، وبعضهم نفى أن يُرى كالمعتزلة.

اختلفوا بخلق القرآن منهم من قال: مخلوق ومنهم غير مخلوق ومنهم توقف المعتزلة/ إن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير استوى على العرش/ استولى.

لا يرى بالأبصار بعضهم قال يرى بالقلوب.

يقولون بتأويل اليد بالنعمة والعين بالعلم ويؤكدون الصفات للذات.

شرح قول عبد الله بن كُلاَّب في الأسماء والصفات.

أسماء الله وصفاته لذاته لا هي الله ولا هي غيره وأنها قائمة بالله.

بما أن البارئ هي غيره/ عند المعتزلة والخوراج وكثير من المرجئة وكثير من الزيدية يقولون بتأول الوجه تقيم الوجه مقام الشيء واليد نعمة والعين العلم.

المعتزلة يقولون بخلق القرآن.

المعتزلة يقولون بأن الله لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة.

المتشابهات عندهم ما أخفى الله ﷻ عن العباد عقابه وقد حرمه كالنظرة والكذبة.

نعيم الجنة تفضّل أو ثواب اختلفوا، قال بعضهم: بفضْل وقال بعضهم بثواب.

الموت بأجل ـ الرزق بأجل الهداية والضلال وهم اهتدوا وهم ضلوا أكدوا على التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزليتن وإثبات الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أصول المعتزلة.

الجهمية/ الجنة والنار تبيدان وتفنيان الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به ولا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده هو الفاعل.

وتنسب أفعال العباد للعباد على المجاز، ويقول جهم:

علم الله محدث ويقول بخلق القرآن قتل جهم بمرو.

ضرار بن عمر من المعتزلة إن أعمال العباد مخلوقة (اكتساب العبد).

يخلق الله حاسة سادسة يوم القيامة للمؤمنين يرون الله بها ماهيته.

الحسن النجار (الله خلق أفعال العباد وهم فاعلون لها).

العون من الله يحدث في حال الفعل وهو الاستطاعة.

الله في كل مكان ـ رؤية الله في صورة يخلقها..

يحرّم أكل الثوم والبصل والقرقرة في البطن توجب الوضوء.

في النساك/ يعانقون الله ويلامسونه ويجالسونه في الدنيا ويصل العبد إلى درجة تزول عنه العبادات والمحظورات تباح لهم.

الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به وزعم أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد وقال لا أصفه لأنه يجوز إخلاقه على غيره ووصفه بأنه قادر وموجود وفاعل وخالق ومحي ومميت لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده وقال بحدوث كلام الله كما قالته القدرية ولم يسم الله متكلماً به وقد كفَّرهُ أهل السنة وردوا جميع ضلالاته، الفرق بين الفرق: 1/ 199.

قول أهل الحديث وأهل السنة:

يؤمنون إقراراً بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ.

الله على عرشه استوى وإن له يدين بلا كيف يداه مبسوطتان وله عينان بلا كيف تجري بأعيننا وإن له وجهاً يبقى وجه ربك.

وأسماء الله لا يقال: إنَّها غير الله (أنزله بعمله) إنَّ لله علماً.

لا يكون شيء إلا بمشيئة الله (وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله) أعمال العباد بخلق الله... والخير والشر بقضاء الله وقدره كلام الله غير مخلوق ولا يقال مخلوق ولا غير مخلوق.

الله يرى بالأبصار والكفار يومئذ محجوبون.

ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه غير الإسلام.

يقرون بشفاعة الرسول ﷺ وبعذاب القبر.

ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

ثم تحدث عن اختلاف الناس في الجسم 305.

واختلاف الناس في الجوهر، ص306.

واختلفوا في وقوف الأرض.

واختلفوا في البقاء والفناء.

واختلفوا في الميعاد.

خاتمة:

يعتبر هذا العمل نموذجاً لدراسة كتب الفرق والمذاهب ولابد للطالب أن يقوم بدراسة كتاب من هذه الكتب ليتدرب على القراءة الناقدة المتفحصة

لأسلوب الكاتب وإلمامه: بالموضوع ـ أهمية الكتاب ـ تاريخ التأليف ـ الناشر ـ المؤلف ـ المحقق.

المآخذ على الكتاب:

ـ قالوا فيه تكرار بعض الأقوال.

ـ لم يصنف بشكل دقيق ولم يرتب ترتيباً يستفاد منه بشكل كامل.

ـ لم يذكر المصادر التي أخذ منها المؤلف ولم يحقق المحقق بذكرها لعدم معرفته بها.

ـ الكتاب أول المصادر عن الفرق، كتب في القرن الرابع الهجري اعتمد عليه كل من كتب عن الفرق من بعده وبعضهم لم يذكروا ذلك وهي ليست من الأمانة العلمية.

كان المؤلف حيادياً في عرض المسائل المختلف فيها ولم يظهر رأيه إلاّ في آخر بحث له (أهل السنة والحديث) فقال: هذا ما ندين به.

أسباب نشأة المعتزلة والفرق الأخرى

حدث في أيام الحسن البصري خلاف بينه وبين واصل بن عطاء في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين وأطلق عليه وعلى أتباعه اسم المعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري وكان نشوء الاعتزال متزامناً مع انتشار الفرق الكثيرة منها الزيدية وفرق الإمامية وقبلها القدرية والخوارج.

وقد سميت مدرسة واصل بالواصليّة ومن أتباعه الكبار الذين لقبوا بشيوخ المعتزلة ثلاثة هم: محمد بن شبيب البصري والصالحي والخالدي، وهم واقفية في وعيد مرتكبي الكبائر. وإن ابن عطاء هو رأس المعتزلة وداعيهم إلى فكرة معبد الجهني وغيلان الدمشقي[1].

وخرج واصل عن قول جميع المتقدمة وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر جعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان فلما سمع الحسن البصري من واصل اعتقاده هذا الذي خالف به أقوال الفرق قبله طرده من مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة، وانضم إليه قرينه عمرو بن عبيد. فقال الناس فيهما: إنهما قد اعتزلا قول الأمة وسمي أتباعهما من يومئذٍ معتزلة، ثم إنهما أظهرا فكرهما في المنزلة بين المنزلتين وضما إليهما دعوة الناس إلى قول القدرية على رأي معبد الجهني، فقال الناس يومئذٍ لواصل إنه مع كفره قدري وجرى المثل بذلك في كل كافر قدري ثم إن واصلاً وعمرو

---

(1) الفرق بين الفرق: 1/ 16.

وافقا الخوارج في تأبيْدِ عقاب صاحب الكبيرة في النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر ولهذا قيل للمعتزلة: إنهم مخانيث الخوارج لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفرة وحاربوهم. والمعتزلة رأت لهم الخلود في النار ولم تَجْسِر على تسميتهم كفرة ولا جسرت على قتال أهل فرقة منهم فضلاً عن قتال جمهور مخالفيهم ولهذا نسب إسحاق بن سويد العدوي واصلاً وعمر بن عبيد إلى الخوارج لاتفاقهما على تأبيد عقاب أصحاب الذنوب[1].

ثم إن واصلاً فارق السلف برأي ثالث وذلك أنه وجد أهل عصره مختلفين في علي وأصحابه وفي طلحة والزبير وسائر أصحاب الجمل فزعمت الخوارج تكفير أصحاب الجمل بقتالهم علياً وأن عليّاً كان على حق في قتال أصحاب الجمل وفي قتال أصحاب معاوية بصفين إلى وقت التحكيم ثم كفر علي بالتحكيم وكان أهل السنّة يقولون بصحة إسلام الفريقين في حرب الجمل وإن علياً كان على حق في قتالهم وأصحاب الجمل كانوا عصاة مخطئين في قتال علي ولم يكن خطؤهم كفراً ولا فسقاً يسقط شهادتهم وأجازوا الحكم بشهادة عدلين من كل فرقة من الفريقين وخرج واصل عن قول الفريقين وزعم أن فرقة من الفريقين فسقة لا بأعيانهم وأنه لا يعرف الفسقة منهما وأجازوا أن يكون الفسقة من الفريقين علياً وأتباعه كالحسن والحسين وابن عباس وعمار ابن ياسر وأبي أيوب الأنصاري وسائر من كان مع علي يوم الجمل. وأجاز كون الفسقة من الفريقين عائشة وطلحة

---

(1) الفرق بين الفرق: 1/ 96 و98 و100.

أو علي والزبير ورجلاً من أصحاب الجمل فلم يحكم بشهادتهما لعلمه بفسق أحدهما لا بعينه فكان هذا شكّاً منه في عدالة علي وأتباعه وطعناً في عدالة أصحاب الجمل.

وزاد عمرو على واصل في هذه البدعة فقال بفسق كلتا الفرقتين المتقاتلتين يوم الجمل وذلك أن واصلاً إنما رد شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب علي وزعم عمرو أن شهادتهما مردودة وإن كان الشاهدان من فريق واحد لأنه قال بفسق الفريقين جميعاً وقد كان أبو الهذيل العلاف والجاحظ وأكثر القدرية على رأي واصل بن عطاء فيهم فكيف يكون مقتدياً بالصحابة من يفسق أكثرهم ويراهم من أهل النار، ومن لا يرى شهادتهم مقبولة فكيف يقبل روايتهم.

وأما الخوارج فقد كفروا علياً وابنيه وابن عباس وأبا أيوب الأنصاري، وكفروا أيضاً عثمان وعائشة وطلحة والزبير وكفروا كل من لم يفارق علياً ومعاوية بعد التحكيم وكفروا كل ذي ذنب من الأمة ولا يكون على سمت الصحابة من يقول بتكفير أكثرها[1].

تعريف الأصول والفروع عند المعتزلة:

قال بعض المتكلمين الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم وبالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة والمعرفة أصل والطاعة فرع فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً

(1) الفرق بين الفرق: 1/ 305 و306 و307 و150.

ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً. فالأصول هي موضوع علم الكلام والفروع هي موضوع علم الفقه، وقال بعض العقلاء كل ما هو معقول ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال فهو من الأصول وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع[1].

واتفقوا على أصول المعرفة وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع والحسن والقبح بحسب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك.

فوجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وإن قصر في المعرفة استوجب العقوبة أبداً ويعلم أيضاً حسن الحسن وقبح القبيح فيجب عليه الإقدام على الحسن والإعراض عن القبيح[2].

علاقة المعرفة بالحسن والقبح العقليين:

إن المعرفة متولدة من النظر ومنها قوله في تحسين العقل وتقبيحه وإيجاب المعرفة قبل ورود السمع. وإن المعارف كلها ضرورية.

وإن المعرفة وشكر المنِعم ومعرفة الحسن والقبح واجبات عقلية وأثبت شريعةعقلية ورد الشريعة النبوية إلى مقدرات الأحكام ومؤقتات الطاعات التي لا يتطرق إليها العقل ولا يهتدي إليها فكر وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي إلا أن التأبيد والتخليد فيه يعرف بالسمع.

---

(1) الملل والنحل: 1/ 41.

(2) الملل والنحل: 1/ 25.

فالعارف إما أن يقول أعرف الأشياء بمجرد العقل والنظر من غير احتياج إلى تعليم معلم، وإما أن يقول لا طريق إلى المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم. قيل ومن ذهب المذهب الأول فليس له الإنكار على عقل غيره ونظرِهِ فإنه متى أنكر فقد علم والإنكار تعليم ودليل على أن المنكر عليه محتاج إلى غيره والقسمان ضروريان لأن الإنسان إذا أفتى بفتوى أو قال قولاً فإمَّا أن يعتقده من نفسه أو من غيره[1].

المعرفة عند المعتزلة والأشاعرة:

أولاً: عند المعتزلة:

إن المعرفة عند المعتزلة مرادفة في حقيقتها للعلم، والعلم هو المعنى الذي يقتضي سكون نفس العالم إلى ما تناوله، فليس من العلم في شيء ما لم يطمئن إليه المرء ويعتقده، ولذلك فإن ذلك المعنى لا يختص بهذا الحكم إلا إذا كان اعتقاداً يعتقده على ما هو به واقعاً على وجه مخصوص[2].

ويرى الجبائي وعلي بأن العلم هواعتقاد الشيء على ما هو به مما دعا القاضي عبد الجبار يعترض على هذا التعريف بعلة أنه يؤدي إلى استواء الجاهل والعالم في اعتقاد الشيء على ما هو به من غير النظر إلى وجهه المخصوص به وهو جانب يميز حين النظر فيه العالم عن الجاهل فيختص العالم بالنظر والفكر ويختص الجاهل بالتقليد.

---

(1) الملل والنحل: 1/ 195.

(2) المغني في أبواب التوحيد والعدل والنظر والمعارف: 12/ 13، تحقيق الدكتور مذكور والدكتور طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للنشر.

والحاصل أن العلم كما أشار إليه النَّظام بحسب الفكر الاعتزالي الخالص هو حركة في القلب عند وجود الشيء كما وجد وعرف[1]. أي إنَّ كل محدث من الأشياء يطابق عند وجوده حركة المعرفة القلبية لهذا الموجود كما أوجده الخالق وكما عرفه وهو إشارة إلى الحسن والقبح العقليين الذين يراد بهما حكم العقل على الشيء بأحد الوصفين.

ويرى المعتزلة أن الإدراك لا يختلف عن معنى المعرفة والعلم لأنها جميعها أو بمجملها تعبر عن حصول الشيء في العقل[2].

ثانياً: عند الأشاعرة:

إن المعرفة عند الغزالي هي تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المواد بأعيانها وكيفياتها وكيانها وجواهرها وذواتها؛ إن كانت مفردة وهو في الحقيقة تعريف فلسفي منطقي لأن المعرفة عنده أخص من العلم على اعتبار أن مبناها ومصدرها العقل المفكر وليست الحواس إذ هي عنده درجات يطلق على أعلى هذه الدرجات المعرفة الحقيقة الواصلة إلى اليقين.

وليس من المعقول أن يخالف الرازي الغزالي في ماهية المعرفة بل كان قوله فيها تأكيداً لمعاني المعرفة عند الغزالي إذ يقول: إنَّ المعرفة هي الاعتقاد الجازم سواءً أكان اعتقاداً تقليدياً أو كان علماً صادراً عن دليل ولا يختلف هذا عن

---

(1) المغني للقاضي عبد الجبار، 12/ 22.

(2) راجع التعريفات للجرجاني: ص135.

قول من رأى أنها العلم الصادر عن دليل ويكون هذا العلم غير قابل للشك إذا تعلق البحث والنظر في ذات الله تعالى وصفاته[1].

ويمثل الغزالي الأشعرية في هذا المنحى إذ يعتمد على الحدس للوصول إلى حقائق الأشياء: لأن المشتغل بالعلوم يتوصل عن طريق الحدس إلى معارف كثيرة ولكنه لا يستطيع أن يبرهن عليها، وهي تتلاءم مع الفطرة الإنسانية التي أكد عليها ديكارت بأن المعرفة فطرية والعقل مؤسس تأسيساً سليماً، وهو بذلك كله يريد صياغة منهج مستقل يعتمد الشرع والعقل معاً والشرع الذي يخاطب العقل والعقل الذي يستند إلى النور الرباني فيعيش الحقائق في وجدانه في الوقت الذي يستمتع فيه بالصحوة العقلية المستندة إلى نور الله وعن طريق البصيرة الباطنة.

فيخضع العقل من حيث العلم والمعرفة والإدراك إلى الانضباط والتقيد بالنصوص السمعية الواردة عن خالق الكون والإنسان في منهجه البحثي والعلمي حيث لا يتجاوز النصوص بدعوى الحسن والقبح العقليين اللذين يمثلان المنطلق في الحكم على الأشياء من غير حاجة إلى حكم النقل فيهما وهو خطأ نبَّه عليه الشارع وحد حدوداً للعقل لا يمكن له تجاوزها، لأن تجاوزها يمثِّل الخروج عنها والدخول في عالم الجهل والخطأ.

أما وسائل البحث والاستعانة بها للوصول إلى الحقائق والتعبير عنها لا يختلف فيها المعتزلة والأشاعرة وإنما اختلافهم في المنهج من حيث التقيد والتجرد وهو ما نبَّه عليه الغزالي وغيره من فلاسفة المسلمين.

---

(1) راجع مفاتيح الغيب للرازي: 1/ 81 و167، وميزان العمل للغزالي: ص175، والرسالة اللدنية: ص98.

وها هو القرآن الكريم قد جعل العقل والحواس أداتين للمعرفة وأنه ليس كمناط للتكليف أو شرطاً من شروط الأهلية للخطاب الرباني المتعلق بالعبد فقط وجعله أداة للتفكر والتذكر والتعقل والقيام بدوره في توجيه الإنسان إلى ربه لعبادته ولا تكون العبادة إلا بمعرفة الله ﷻ والبصيرة التي ذكرها الغزالي هي إحدى وسائل المعرفة بل هي نور من أنواع التعقل الداخلي وهي عقل.

وإن العقل الإنساني النظري من خلال قوانين عالم الشهادة يمكن أن يؤمن بمبدأ وجود عالم الغيب ولكن التجربة الإنسانية الحسية والعقلية تعجز عن معرفة وإدراك وتفصيل عالم الغيب؛ والمصدر الذي نصل إليه لمعرفة عالم الغيب هو الوحي[1].

آليات المعرفة عند المعتزلة:

استخدم المعتزلة مصادر الفلسفة اليونانية من جهة والدين، وطريق العقل من جهة وطريق الوحي من جهة أخرى فخرجوا بحقيقة الدين عن طبيعتها وعقدوا مشكلة الفلسفة بما لا يتناسب ومنهجها بدعوى حراسة الدين والعقيدة والدفاع عن الإسلام ضد التيارات الفكرية الفلسفية الواردة، وهؤلاء اعتمدوا على الوحي والنبوة كمصدر للمعرفة في نظرتهم للوجود والمعرفة والقيم.

وقد أخذ المعتزلة عن اليونانيين قدرة العقل على استجلاء حقائق الأشياء وأن الكون وإن كان يتسم بالحركة والنظام الآلي، فإنما هو مسيّر وفق حكمة عقلية، ونظام أخلاقي إذ المعرفة عندهم تحصل بطريقة التولُّد، وبذلك تدعي

---

(1) آراء أبي بكر بن عربي الكلامية ـ عمار طالبي.

الضرورة العقلية والعليَّة الضرورية التي تحكم علاقة الله سبحانه بالأشياء خلقاً وتعليماً.

فنظرية التولد تؤدي إلى حصول هذا العلم بمجرد قدرة العبد وهو باطل قطعاً لما ذكر ابن تيمية في رده على المعتزلة وبنص قوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: 78).

إذ إن الوسائل الحسية توصل إلى العقل المدركات العقلية وهذه بدايات التعلم عند الطفل للأشياء المادية فقط فيكون للحواس دورها في المعرفة وقد ذكر السمع في القرآن في مائة وتسعة وثلاثين موضعاً وذكر ما له علاقة بهذه الحاسة في مائة وسبعين موضعاً.

حاسة البصر وآلتها وما يتعلق بها في مائتين وأربعة وستين موضعاً. والتذكر ذكر في مائة وثمانية مواضع وكذا التفكر في ثمانية عشر موضعاً والتفقه في عشرين موضعاً والتدبر في أربعة مواضع والنظر في خمسة وخمسين موضعاً، وذكر التعقل في تسعة وأربعين موضعاً.

والحاصل أن الحواس عند المعتزلة هي أبواب المعرفة والإدراك عند الأشعري هو العلم بمتعلقات الحواس والخطأ الكبير أن تغير المصدر الوحيد للمعرفة.

ويعدّ العقل طريقاً من طرق المعرفة مع وجود معلومات متوارثة في الإنسانية مع استعداد العقل السليم لها دون أن يشغل نفسه في مصدرها لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: 31)، وهي الضروريات والبديهيات.

وإن القرآن يصنع دوراً هاماً للمعرفة ويجعل الحقيقة التاريخية طريقاً عقلياً للعلم وإثبات الأحادية لله تعالى وأن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وقالوا بأن العقل يحكم بالوجوب عليه، ويقولون بأن الحسن والقبح شرعيان ومن لم يصل إليه البلاغ معذور عند الأشاعرة خلافاً للمعتزلة في الإيمان والأعمال التي للعقل استقلال في إدراك حسنها وقبحها..

والخلاصة أن المعتزلة إذا كانوا أحسنوا القصد في العمل والدفاع عن الدين فقد أخطؤوا الوسيلة غير أن الذين يزعمون اليوم من المعاصرين أن منهجهم الاعتزال فإنما هو غطاء لزرع الفتنة وإحياء الخلاف بين أهل السنة والجماعة والفرق الضالة فليحذر كل مسلم اليوم من هؤلاء المغرضين الذين لا تربطهم أية علاقة بأهل الاعتزال الذين اندثر مذهبهم وانمحت آراؤهم وذهبتْ وظلت عقيدة أهل السنة الصحيحة هي المتبعة اتباع نهج السلف الصالح رضي الله عنهم وعنا وعن المسلمين.

المنظومة المعرفية عند المسلمين:

إن الخالق تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما أودعه فيهم من المعرفة ومكنهم من أسبابها، وبما أنزل إليهم من الكتب وأرسل إليهم من الرسل وعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه، ففي كل نفس ما يقتضي معرفتها بالحق ومحبتها له، وقد هدى الله كل عبد إلى أنواع من العلم يمكنه التوصل بها إلى حقيقة الخلق والوجود وجعل في فطرته محبة لذلك[1].

---

(1) شفاء العليل: 1/ 173.

وإن كل علم من هذه العلوم هو تصديقي أعني علم ما يتطرق إليه التصديق أو التكذيب، فإنه لا محالة لفظه قضية تشتمل على موصوف وصفة ونسبة لتلك الصفة إلى الموصوف فلابد أن تتقدم عليه المعرفة بالموصوف وحده على سبيل التصور لحده وحقيقته ثم المعرفة بالصفة وحدها على سبيل التصور لحدها وحقيقتها ثم النظر في نسبة تلك الصفة إلى الموصوف أنها موجودة له أو منفية عنه فمن أراد مثلاً أن يعلم أن الملك قديم أو حادث فلابد أن يعرف أولاً معنى لفظ الملك ثم معنى القديم والحادث ثم ينظر في إثبات أحد الوصفين للملك ونفيه عنه فلذلك لابد من معرفة معنى الاسم ومعنى المسمى ومعنى التسمية ومعنى الهوية والغيرية حتى يتصور معرفة ما بعد ذلك.

فتقول في بيان حد الاسم وحقيقته أن للأشياء وجوداً في الأعيان ووجوداً في الأذهان ووجوداً في اللسان. أما الوجود في الأعيان فهو الوجود الأصلي الحقيقي والوجود في الأذهان هو الوجود العلمي الصوري والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي، فإن السماء مثلاً لها وجود في عينها ونفسها ثم لها وجود في أذهاننا ونفوسنا لأن صورة السماء تنطبع في أبصارنا ثم في خيالنا حتى لو عدمت السماء مثلاً وبقينا لكانت صورة السماء حاضرة في خيالنا، وهذه الصورة هي التي يعبر عنها بالعلم وهو مثال المعلوم فإنه محاكٍ للمعلوم وموازٍ له وهي كالصورة المنطبعة في المرآة فإنها محاكية للصورة الخارجة المقابلة لها.

وأما الوجود في اللسان فهو اللفظ المركب من أصوات قطعت أربع تقطيعات يعبر عن القطعة الأولى بالسين وعن الثانية بالميم وعن الثالثة بالألف وعن الرابعة بالهمزة وهو قولنا سماء فالقول دليل على ما هو في الذهن وما في

الذهن صورة لما في الوجود مطابقة له ولو لم يكن موجوداً في الأعيان لم ينطبع صورة في الأذهان ولو لم ينطبع صورة في الأذهان لم يشعر بها إنسان ولو لم يشعر بها الإنسان لم يعبر عنها باللسان فإذاً اللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة أمور متباينة لكنها متطابقة متوازية.

وكيف لا تكون هذه الموجودات متمايزة ويلحق كل واحد منها خواص لا يلحق الأخرى فإن هذا الإنسان مثلاً من حيث إنَّه موجود في الأعيان يلحقه أنه نائم ويقظان وغيرها ومن حيث إنَّه موجود بالأذهان يلحقه مبتدأ وخبر وعام وخاص وجزئي وكلي وقضية وموضوع وغير ذلك، ومن حيث إنَّه موجود في اللسان يلحقه أنه عربي وعجمي وزنجي وغيرها، وهذا الوجود يجوز أن يختلف بالأعصار ويتفاوت في عادة أهل الأمصار إلا أن الوجود في الأعيان والأذهان لا يختلف بالأعصار والأمم البتة ولذا حينما تتحدث عن نظرية المعرفة عند العلماء والحكماء والفقهاء والفلاسفة، لا نجد اختلافاً فيما وجد في الأعيان والأذهان إنما نجد الخلاف في الحكم على هذه الموجودات وماهيتها كل بحسب خلفيته الفكرية والثقافية التي اكتسبها إضافة إلى ما وصل إليه الباحثون من الحكماء والعلماء والفلاسفة من علم ومعرفة بالكون.

والحقيقة أن الاختلاف الفكري العقدي والفلسفي قاد هؤلاء إلى إنشاء هيكل منهجي علمي للسير عليه مما أنتج وجود مدارس عقائدية وفلسفية واتجاهات فكرية متعددة تقودنا إلى النظر في منهج كل مدرسة وفكرها الفلسفي. فنجد أنّ الفلاسفة منذ الإغريق كان اعتمادهم الأساس في البحث الفطرة التي فطرهم الخالق عليها وما أودع فيهم من معرفة توصلهم إلى الحقائق أي حقيقة كل خلق وكذا تابعهم في منهجهم هذا الفلاسفة الغربيون في العصر الحديث، أما

المسلمون فمتهمون من قبل الفلاسفة الغربيين لاعتمادهم في البحث الفلسفي على أصول القرآن والسنة وكلياته التي جاء بها وجزئياته التي فصل القول فيها ويعدون هذا النوع من البحث والمنهج المقيد لأن حقيقة البحث فيما يعتقدون هم هو البحث والنظر المجرد عن القيود لذا يجلُّون الفيلسوف ابن رشد عندهم ويدرسونه في مقرراتهم الجامعية لأنه لم يتقيد به فكره الفلسفي بالنصوص من القرآن والسنة ويعد عندهم هو الفيلسوف العربي الوحيد والباقون ليسوا فلاسفة، وهو في الحقيقة قول مردود لأن الإيمان بالخالق وما أنزله جزء كبير من المعرفة بل هو المعرفة الحقيقية والإدراك الجلي لموضوعات الكون والخلق وها هو العلم الحديث الآن بعد انقراض المدارس الفلسفية الغربية يثبت كل الحقائق الكونية وغيرها من علم الميتافيزيقيا أي الماورائيات أي ما وراء الطبيعة، ولذلك سوف يدور كلٌّ منها في هذا البحث عن المعرفة والعلم والإدراك ونحوها من الموضوعات المتعلقة بالبحث والنظر.

ماهية المعرفة:

وهي إدراك الشيء بتفكر وتدبُّرٍ لأثره، وهو أخص من العلم، والمعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله.

وعند الفقهاء: الاعتقاد القوي سواءً كان علماً حقيقياً أو ظناً وهي العلم واليقين بمعنى واحد إلا أن المعرفة لها طريقان أحدهما يتعلق بالعالم ومعلومه احتياجه إلى مدبره والآخر يتعلق بالله تعالى، ومعلومه أسماء مشتقة من صفات غير داخلة في حقيقة الذات وماهيتها[1].

---

(1) المقصد الأسني: 1/ 50.

وإن للمعرفة درجات متفاوتة تجعل التجلي عند العارفين على درجات متفاوتة لأن اختلاف التجلي نتاج الاختلاف والمعارف وإن حب الله تعالى بقدر معرفتك به وتنقلب المعرفة في حالات إلى مشاهدة بكشف الغطاء فيتضاعف الحس.

وأعلم أن احتقار لذة المعرفة عند الجهلاء مصدره الخلو عن المعرفة فمنْ خلا عن المعرفة فكيف يدرك لذاتها وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلب مشحون بعلائق الدنيا فكيف لذتها للعارفين في معرفتهم وفكرتهم ولطائف مناجاتهم لله تعالى[1].

وإذا قلت: فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى فنقول نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة معرفتهم بالحقيقة أنهم لا يعرفون وأنه لا يمكنهم البتة معرفته وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله ﷻ فإذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته.

وهو الذي نبه عليه الصديق الأكبر أبو بكر ﷺ بقوله: العجز عن الإدراك إدراك والبحث في ذات الله إشراك وهو ما عناه سيد الخلق ﷺ حين قال في دعائه: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» أي لا أحيط بمحامدك وصفات ألوهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك.

فإذاً لا يحظى مخلوق في ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة وأما اتساع المعرفة فإنه يكون في معرفة أسمائِهِ وصفاته[2].

---

(1) معارج القدس: 1/ 159.

(2) المقصد الأسني: 1/ 54.

ولذا قال الغزالي في المعرفة: إنّها العلم الـذي لا يقبـل الـشك إذا كـان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته وهو انتعاش بصورة العالم حتـى تـصير عالمـاً مثله[1].

وأعلى هذه الدرجات هي التي تسمى المعرفة الحقيقية الواصلة إلى اليقين وتمر المعرفة عند الغزالي بمراحل ودرجات:

1 ـ مرحلة الشك.

2 ـ مرحلة الظن.

3 ـ مرحلة الاعتقاد.

4 ـ مرحلة اليقين أو المعرفة الحقيقة.

وقد عرف الرازي[2] المعرفة فقال: إنها الاعتقاد الجازم سواءً أكان اعتقاداً تقليدياً أو كان علماً صادراً عن دليل والمعرفة مسبوقة بجهل أو إدراك مـسبوق بجهل، والعلم كذلك، وكذلك يقال للحق سبحانه وتعالى عـالم ولا يقـال لـه عارف، وأبو حيان التوحيدي[3] يقول: إن المعرفة أخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية في حين أن العلم أخص بالمقولات والمعاني الكلية.

والشعور عندعلماء النفس إدراك المرء لذاته أو لأحواله وأفعاله، إدراكـاً مباشراً وهو أساس كل معرفة والـشعور أنواعـه التلقـائي والتـأملي والـشعور الجمعي وقد وردت كلمة الشعور[4] بمعنى العلم في القرآن في ثلاثة وعـشرين

---

(1) ميزان العمل للغزالي: ص175.

(2) مفاتيح الغيب: ص167.

(3) المقابسات: ص272.

(4) المصحح الفلسفي للدكتور جميل صليبا: ص703.

موضعاً نحو قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 154).

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 12).

وتكون الدراية للمعنى المعرفة الحاصلة بضرب من الحِيَل في تقديم المقدمات واستعمال الروية والروية هي ما كان من المعرفة بعد فكر كثير[1]. وقد أطلقت المعرفة في ألفاظ كثيرة منها البديهية وهي المعرفة الحاصلة ابتداءً في النفس لا بسبب الفكر والكياسة وهي ما يدل على تمكن النفس واستنباط ما هو أنفع والخبرة: وهي معرفة يتوصل إليها بطريق التجربة وكذلك الرأي والفراسة. وإن المراد بنظرية المعرفة دراسة منهجية منظمة لقضية العلم أو مسألة المعرفة بدراسة ماهية المعرفة وإمكانها وطبيعتها وطرق الوصول إليها ومهمتها وحدودها ويقابلها المصطلح اليوناني الاستمولوجيا E-pistemology وقد بحث الفيلسوف ديكارت في نظريَّتِهِ: فطرية المعرفة.

وأبحاث المعرفة الرئيسة هي إمكان المعرفة ـ مصادر المعرفة ـ قيمة المعرفة وحدودها.

وهي نظرية تتضمن البحث عن الحقيقة بطريق الوسائل المختلفة التي يتخذها الإنسان ليصل إلى إثباتها وتحديد مصادرها وطبيعتها وتحديد طابعها المثالي الواقعي أو المادي.

والحاصل أنّ المعرفة تعبر عن مرتكز فكري وفلسفي حول العلم الحقيقي واليقيني المسلم به تسليماً مطلقاً وأول محاولة مستقلة لبحث موضوع

---

(1) مفاتيح الغيب: 1/ 283.

المعرفة هي تلك المحاولة التي قام بها جون لوك في كتابه: (مقالة في العقل البشري) وظهر مصطلح المعرفة عام 1832 حيث أشار إليه راينهولد في كتابه: (نظرية ملكة المعرفة الإنسانية الميتافيزيقيا) وعبر فيه عن المعرفة بأنها أعلى وظيفة للإنسان في الوجود، وعدّ الاعتقاد والإيمان والدين معرفة وعدّد أقسامها وهي: المعرفة الحسية، والمعرفة الفعلية، والمعرفة اللدنية، والمعرفة النبوية عن طريق الوحي.

ماهية العقل:

إن العقل إذا فقد الشرع عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد النور وأعلم أن العقل بنفسه قليل الغناء لا يكاد يتوصل إلى معرفة كليات الشيء دون جزئيّاتِهِ نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق وقول الصدق وتعاطي الجميل وحسن استعمال العدالة وملازمة العفة ونحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء والشرع يعرف كلياته وجزئياته ويبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء وعلى الجملة فالعقل لا يهدي إلى تفاصيل الشرعيات والشرع تارة يأتي بتقرير استقر عليه العقل وتارة بتنبيه الغافل وإظهار الدليل حتى ينتبه لحقائق المعرفة وتارة بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقده وتارة بالتعليم وذلك في الشرعيّات وتفصيل أحوال المعاد فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والآخرة من عدل عنه فقد ضل سواء السبيل وإلى العقل والشرع أشار الفضل والرحمة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: 83)، وعنى بالقليل المصطفين الأخيار.

وأما إدراك العقل فهو التجريد الكامل عن كل غاشية وجميع لواحق الأجسام بل هو منزه في إدراكه عن أن تحوم به لواحق الأجسام من القدْر والكيف وجميع الأعراض الجسمية ويدرك المعنى كلياً ومهمته أن ينفذ في الملك والملكوت وينزع الحقائق منها ويجردها عما ليس منها هذا إن كان يحتاج المدرك إلى تجريد وإن لم يحتج إلى تجريد فإنه يدرك كما هو[1].

ماهية الإدراك:

إن الإدراك هو أخذ صورة المدرك وبعبارة أخرى هو أخذ مثال حقيقة الشيء لا الحقيقة الخارجية فإن الصورة الخارجية لا تحل المدرك بل مثالها فإن المحسوس بالحقيقة ليس هو الخارج بل ما تمثل في الحدس، فالخارج هو ما انتزع منه المحسوس هو الذي وقع في الحال فشعر به ولا معنى لشعوره إلا وقوعه فيه وانطباعه به.

وكذلك المعقول هو مثال الحقيقة المرتسم في النفس لأن العقل يجرده عن جميع العوارض واللواحق الغريبة إن كان يحتاج إلى التجريد وأما مراتب الإدراكات في التجريد: أن المدرك الذي يفتقر إلى تجريد لا يخلو في الوجود الخارجي عن لواحق غريبة وأعراض غاشية من قدر وكيف وأين وضع فإن الإنسان مثلاً له حقيقة وهو الحي الناطق وتلك الحقيقة عامة لأشخاص النوع ولا تكون في الوجود تلك الحقيقة لا خاصة ولا عامة إلا مع لواحق غريبة فإن الإنسان لو كان عاماً لما كان زيد الخاص إنساناً ولو كان خاصاً بأن يكون زيد هو الإنسان لكونه زيداً لما كان عمر إنساناً لأن

---

(1) معارج القدس: 1/ 58.

الشيء إذا كان لذاته ما وجد لغيره فإذا فهمت هذا فاعلم أن مراتب المدركات مختلفة في التجريد عن هذه الغواشي واللواحق وهي على ثلاث مراتب:

1 ـ الحس: فإنه يجرد نوعاً إذ لا تحل في الحاس تلك الصورة بل مثال منها.

2 ـ إدراك الخيال وتجريده أتم قليلاً وأبلغ تحصيلاً فإنه لا يحتاج إلى المشاهدة بل يدرك مع الغيبوبة إلا أنه يدرك مع تلك اللواحق والغواشي من الكم والكيف وغير ذلك.

3 ـ إدراك الوهم وتجريده أتم وأكمل مما سبق فإنه يدرك المعنى عن اللواحق وغواشي الأجسام كالعداوة والمحبة والمخالفة والموافقة إلا أنه لا يدرك عداوة كلية ولا محبة كلية بل يدرك عداوة جزئية ومحبة جزئية كأن تعلم أن هذا الولد صديق معطوف عليه.

القرآن ونظرية المعرفة:

لقد دلّ القرآن على منهجه المعرفي المتكامل الموصوف بالشمولية بنسيجه المتميّز الذي لا يفي الوصف بحقه وبعده وموضوعه إلا أننا نستطيع من خلال النظر في نصوصه واستقراء معانيه الوصول إلى صياغة منظومة معرفية دقيقة تفي بالغرض وتخدم الهدف وتؤكد النتائج البحثية العلمية التي توصل إليها العلماء والباحثون.

ثم إن طرق المعرفة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة: 9).

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: 78).

فالقرآن هو مصدر المعرفة عند المسلمين لما له من فضل في العملية التعليمية والحث والنظر والقراءة والعلم والنصوص متوافرة وعديدة في هذا المنحى منها قوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: 1 ـ 5).

إذن ذكر القرآن طرق المعرفة ووسائلها من الحواس كالعقل والقلب وأضاف طريقاً فريداً خاصة به وهو طريق الوحي والإلهام.

أي إنَّ القرآن، قد دعا للتأمل والتفكير وتوجيه نظر الإنسان إلى الكون والسموات العلا وكذا النفس لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأعراف: 185).

ثم يقرر القرآن نسبة المعرفة عند الإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: 76).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: 85).

ويجعل القرآن الحق معيار المعرفة وليس الظن والشك لقوله تعالى:

﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (النجم: 28).

وظهرت عبر تاريخ الفكر العالمي وخاصة في الفكر اليوناني فرقة سمت نفسها فرقة اللاأدريين وهي فرقة من فرق الشك في الوصول إلى

المعرفة اليقينية وهي تقول بالتوقف في الحكم الصادر من الحس والعقل للوصول إلى المعرفة. أما فرقة العنادية فشعارهم المعاندة وإدعاؤهم أنهم جازمون بألا موجود أصلاً.

وفرقة الغيرية:

وهم القائلون بأن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات وأن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً فالحقيقة عندك هي ما تتراءى لك والحقيقة عندي هي ما تتراءى لي فلا يوجد مقياس كلي للحقيقة.

فهم يطعنون بالحس والبديهيات العقلية كما أن العلية ممنوعة والشك أنواع، شك المقلدة وهم يشكون بكل البراهين العقلية المتولدة من الحواس ولا يملك المعرفة اليقينية إلا الإمام المعصوم.

والشك الإيماني:

وغرضه ليس الشك وإنما الإيمان ويقول القديس إنزيلم: إنما لا أعرف لا أعتقد بل أعتقد أعرف لأنني لو لم أعتقد لما أمكنني أن أعرف، فقال الفيلسوف كانط: إنه قضى في قوله على المعرفة لكي يفسح المجال للاعتقاد. ومثل هذا الشك دوافعه إيمانية بالمفهوم المسيحي وهو أن يعرف المخلص في الكنيسة. كما أن أفلاطون قدم مجموعة من الأدلّة تبطل كون المحسوسات مصدراً وحيداً للمعرفة.

ديكارت والشك المنهجي:

لقد شك ديكارت في جميع الأشياء التي تأتيه عن طريق الحواس وبواسطتها ولكنه مع شكه هذا فهو لا يشك بأنه مفكر لأن الشك عنده يمثل أعلى درجات الفكر.

انطلق ديكارت واستدل على المعرفة بالوجود واليقين الفلسفي من الذات العارفة إلى الذات الموجودة أو من الذاتية إلى الموضوعية ومن الفكر إلى الوجود بقوله المشهور: (أنا أفكر فأنا موجود).

ورتب الأفكار الإنسانية إلى ثلاث طوائف:

الأولى: أفكار غريزية أو فطرية وهي الأفكار الطبيعية في الإنسان التي تبدو في غاية الوضوح والجلاء كفكرة الله والحركة والامتداد والنفس.

الثانية: أفكار غامضة تحدث في الفكر بمناسبة حركات واردة على الحواس من الخارج وليست لها أصالة في الفكر الإنساني[1].

فالمعرفة عند الأبيقوريين تعتمد على الإحساس وتعده المصدر الأول لكل معرفة والمعيار الأوحد لكل حقيقة ممكنة وهو ما يوافق قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: 36).

والمعرفة عند الماركسية تعتمد على مبدأ الطبيعة حيث يقولون: يمكن معرفة العالم ومعرفة قوانينه تماماً بهذا المبدأ وإن معرفتنا لقوانين الطبيعة هي التي تبرهن على صحتها التجربة والتطبيق العلمي هي معرفة صحيحة لها وهذا معنى الحقيقة الموضوعية[2].

فعند الماركسيين تتولد المعرفة في الانطلاق من الواقع الخارجي إلى الذات العارفة أو أن الذهن أو الفكر هو انعكاس للواقع المادي يقول لينين: (إن جدلية الأشياء هي التي تولد جدلية الأفكار وليس العكس)، وهي عكس الهيجلية التي تعكس الأفكار على الواقع المادي وإنّ المذهب العقلي يؤكد على

---

(1) د. عثمان أمين: ديكارت، ط6، الأنجلو، ص26.

(2) أصول الفلسفة الماركسية، ص296.

أن العقل الإنساني قادر بلا مساعدة خارجية على تحصيل الحقيقة الموضوعية وهو رد على فريق الشك.

وردّ سقراط عليهم بأن أقام العلم والحكم بإمكانه مستنداً إلى التصور الكلي وبنى نظريته في إمكان المعرفة على أن النفس الإنسانية إن هي إلا صورة من العلم الإلهي.

وبذلك أعطى للعقل أعلى درجة من موضوعية الإدراكات الحسية وهذا يشمل التفكير اليوناني وتفكير العصور الوسطى بما فيها من شروح الإسلاميين والمسيحيين واليهود إنما هي مثالية تقر بموضوعية الإدراكات العقلية وإنّها معرفة للعالم الطبيعي وما وراء العالم الطبيعي، فالعقل له سلطان لا يقف شيء في وجهه.

وموقف القرآن من إمكانية المعرفة تبدو بتكريم الإنسان في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء: 70).

وكيف بدأ الوحي بـ ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ (والإنسان يرد إلى أرذل العمر كيلا يعلم من بعد علم شيئاً)، وامتحان آدم واختباره في مسألة العلم إذ علمه الله تعالى الأسماء كلها والتكليف علم ومسؤولية وهي الأمانة مع تسخير الله الكون للإنسان ومنها المعرفة بكل وسائلها وأدواتها ولكنها محدودة فتحتاج إلى الوحي للاستدلال على عالم الغيب كما أن القرآن جاء بأدلة عقلية لإثبات عالم الغيب وضرب أمثلة من الطبيعة وكيف يحييها الله بعد أن تصبح جامدة كالشجر والنبات.

وعلماء الكلام حاولوا الوصول إلى الحقيقة واعتبروها ثمرة التوفيق بين مصدر الفلسفة اليونانية من جهة والدين من جهة أخرى، وطريق العقل من

جهة وطريق الوحي من جهة أخرى فخرجوا بحقيقة الدين عن طبيعته وعقدوا مشكلة الفلسفة بما لا يتناسب ومنهجها.

وحاول علماء الكلام الدفاع عن الشريعة بمقدمات فلسفية أخذوها عن الفلسفات اليونانية وغيرها واعتمدوا على العقل أكثر من النقل بإقامة الحجج العقلية لدفع شبهة أهل البدع.

والحقيقة أن مهمة القرآن هو صياغة المعرفة الإنسانية على اليقين وتبدأ بالقراءة والعلم وتبدأ المعرفة بمعرفة الله ﷻ ثم معرفة كتابه ثم معرفة رسله ثم المعرفة الشاملة بالنظر والاستدلال والتجربة والتعلم لكل مناحي المعرفة العلمية والنظرية والمنافع الدنيوية كالطب والرياضيات والفلك.

وقد اعتمدت المعرفة الإسلامية القرآنية على قاعدة الإخلاص في حب الحقيقة والبحث عنها والتجرد عن الأهواء مع التعامل الواقعي مع كل القضايا الإنسانية وليس التعامل الخيالي باستعمال منطق العقل وقوانين الفطرة السليمة معتمدة على مقدمات وشواهد علمية صحيحة للبرهان والحكم والوصول إلى اليقين، وقد عرف الجرجاني الإتقان: (العلم بحقيقة الشيء بعد النظر والاستدلال)[1]، لقول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ (التكاثر: 5 ـ 6). وأتبعَ اليقين بقوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ (التكاثر: 7). ثم ألحق بها بيان اليقين فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الواقعة: 95 – 96).

(1) التعريفات للجرجاني، ص34.

الأشعرية والماتريديَّة

مؤسسها أبو الحسن بن إسماعيل.. بن أبي موسى الأشعري والده كان محدِّثاً ومن مذهب أهل السنة والجماعة.

ولد 260هـ في البصرة، وسكن بغداد وكان معتزلياً وأخذ عن أبي علي الجبائي وبعد فترة جلس في بيته فترة طويلة ثم خرج إلى مسجد البصرة في يوم الجمعة ورقى كرسياً ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت قلت بخلق القرآن وأن الله لا يرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع[1].

وفي رواية أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: (أمرتك بنصرة المذاهب المروية عني).

وقال خادمه أحمد بن علي الفقيه: (فلم أجد أورع منه، ولا أغض طرفاً ولم أر شيخاً أكثر حياء منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة)[2].

وفاته في 324هـ.

ومن آثاره:

العمدة (12) كتاباً رد فيه على الدهريين القائلين بقدم العالم.

الموجز (12) كتاباً وكتب فيه عن الإمامة.

---

(1) مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، ص993، ج1.

(2) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، ص114، ط/ 1999م ـ 1429هـ المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

كتاب في الصفات.

اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع.

مقالات الإسلاميين نشره هلمرت ريتر.

ويقال: إنَّ له (69) كتاباً وقيل (300) مصنّفٍ وقيل (200) مصنّفٍ.

الإبانة عن أصول الديانة:

قال عنه زاهد الكوثري: إنَّ النسخة المطبوعة في الهند مصحفة محرفة تلاعبتْ بها الأيدي الأثيمة.

ومكارثي قال: (الإبانة ليست للأشعري نفسه وإنَّ فصل العقيدة كان مقحماً).

صفات الله عند الأشعري:

1 ـ لا يشبهه شيء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(الشورى: 11).

2 ـ واحد: دليله قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (المؤمنين: 22).

3 ـ عالم: (لأن الأفعال المحكمة لا تتسق في الحكم إلا من عالم).

4 ـ حي قادر: (لا يجوز أن تحدث الصنائع إلا من قادر حي).

5 ـ مريد (الإرادة): قال الله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ويترتب على ذلك استحالة أن يقع من غير الله ما لا يريده لأن كل شيء فعل من أفعال الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام: 112).

والصفات قائمة بالذات أزلية الله عالم بعلم وقادر بقدرة وحي بحياة ومريد بإرادة والدليل قوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ (هود: 14).

والخلاف هل هذه الصفات هي عين الذات أو زائدة على الذات، فالمعتزلة يثبتون الصفات ولكن يقولون إنها عين الذات والآيات التي استشهد بها الأشعري تثبت الصفات وتتمة الصفات متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر، وله في البقاء اختلاف رأي قال وهذه صفات أزلية قائمة بذاته، لا يقال هي هو، ولا غيره ولا لا هو ولا لا غيرُهُ.

ويقولون بأن نقطة الضعف عند الأشعري بافتراضه ذاتاً هي غير صفاتها ذاتاً هي شيء وصفاتها شيء آخر. وكأن الله ماهية غير صفاته ويحصر الموجود في صفة واحدة هي مجرد الوجود. وأن ما عداه هي صفات زائدة.

ومن عقيدته جواز رؤية الإله بالأبصار كما يجوز أن يسمع الله لأن ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ (النساء: 164)، ودليل النظر ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ (القيامة: 23)، وأما رده على آية: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ (الأنعام: 103)، هذا يكون في الدنيا دون الآخرة وأفعال العباد عنده مخلوقة لله وليس للإنسان إلا الكسب.

والكسب هو تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدور المحدث من الله على الحقيقة. وهي أن الله يخلق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له وسمى هذا الفعل كسباً.

وأثبت القاضي أبو بكر الباقلاني تأثيراً للقدرة الحادثة.

والشهرستاني يقول: (إن موقف أبي الحسن الأشعري لا يمكن قبوله ولابد من تعديله فعدله الباقلاني بأن أثبت للقدرة الإنسانية تأثيراً هو حال به يتصف صاحب القدرة بكسبه لهذا الفعل).

والجويني يقرر قيام نسبة السببية بين الفعل والفاعل المباشر، ويصرح بعبارة يقول فيها: (إن الإنسان سبب ما يصدر عنه من أفعال إرادية) ولكنه

يرجع هذه الأسباب في نهاية الأمر إلى الله تعالى، ولذلك اتهم الشهرستاني الجويني بأنه أخذ هذا الرأي من الحكماء الإلهيين[1].

وإن عقيدة أبي الحسن الأشعري يرى الباحثون أنها مشتملة في كتب كثيرة أهمها: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد للشيخ أحمد المالكي الصاوي، وبنيت على مختار رأي الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

والأشعري يعتبر من علماء أهل السنة والجماعة.

أما الماتريدي (أبو منصور) توفي عام 333هـ.

وهو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي كون مدرسة تخرج منها الكثير من العلماء: القاضي السمرقندي والبزدوي وكان مذهبه وسطاً بين الأشاعرة والمعتزلة، وقد نعت بأنه إمام أهل الهدى، وقدوة أهل السنة والاهتداء وكان يعتمد على العقل والنقل لا يغلب أحدهما على الآخر أبداً.

ومن العلماء الذين شرحوا عقيدة الماتريدية الإمام أبو معين النسفي توفي عام 508هـ، واختلفوا مع الأشاعرة ببعض المسائل.

البقاء: صفة ذاتية عند الماتريدية وعند الأشعري باقية ببقاء.

في الصفات عند الماتريدية عالم وله علم، عالم بذاته حي بذاته قادر بذاته ودفع وهم المغايرة التي قال بها الأشاعرة عالم بعلم وقادر بقدرة والماتريدية تثبت الرؤية لله تعالى في الآخرة بالدليل لا بالعقل.

صفات الأفعال حادثة عند الأشعري، التعلق التنجيزي للأفعال حادث.

الماتريدية صفات الأفعال قديمة ترجع إلى صفة واحدة وهي التكوين.

---

(1) ج1، ص128 ـ 129.

الماتريدية قوله ثبت أن كان ولا مكان وليس في الإضافة إلى أنه على العرش استوى تثبيت مكان بل يعرب عن العلو والجلال: (يتعالى عن الزمان والمكان ويوصف بالقرب من طريق العون والنصرة).

الماتريديَّة: الشرك لا يغفر إلا بالتوبة.

فالقدرة عند الأشاعرة لها تعلق صلوحي قديم والآخر تعلق تنجيزي حادث.

الماتريدية يقولون بأن صفة التكوين صفة حقيقية قديمة قائمة بذات الله زائدة على ذاته والأشاعرة صفة إضافيَّة حادثة متجددة بحدوث الأفعال.

والدكتور محمود قاسم في تحقيقه لكتاب مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد يذهب إلى حد أن الماتريديَّة لا تتفق مع الأشاعرة إلا في مسائل قليلة ليست بالجوهرية.

الاستواء عند الماتريديَّة يجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء في التنزيل، ونثْبتُ ذلك بالعقل ثمَّ لا نقطع تأويله على شيء لاحتمال غيره مما ذكرنا، ونؤمن بما أراد الله به والإيمان بما أراد من غير تحقيق على شيء دون شيء (تفويض).

الأشعري: في الاستواء كان ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه[1].

واختلف الأشاعرة والماتريديَّة بالتكليف بما لا يطاق.

---

(1) تبين كذب المفتري لابن عساكر، ص120، ط المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

واختلف الأشاعرة والماتريدية بالإيمان هل هو واجب بالعقل أم بالشرع.

واختلف الأشاعرة والماتريدية بالشقاوة والسعادة.

واختلف الأشاعرة والماتريدية بالصفات (صفات ذات، وصفات فعل).

واختلف الأشاعرة والماتريدية بالإيمان والعمل (ينقص ويزيد أم لا).

واختلف الأشاعرة والماتريدية بالإيمان بالتقليد.

وفي نهاية الأمر نجد أن الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة والخلاف بينهما في كثير من الأحيان لفظي وليس جوهرياً.

التصوف

إن نزوع الإنسان نحو التصوف مرتبط ولا شك بمحاولته الأولى للحصول على فهم شمولي موحد للكون ككل.

المعرفة الصوفية هي جزء من نظرية المعرفة الفلسفية في جوانبها النظرية والعلمية، ولابد من مناقشة التجربة الصوفية واستعراض الأفكار الإيجابية والنقدية للمنهج الصوفي السني والفلسفي تقول المستشرقة الألمانية (أنا ماري شيمل) في كتابها الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف:

(الكتابة عن الصوفية) أو الروحانيات في الإسلام تكاد تكون مستحيلة، فمن أول خطوة يخطوها سالك هذا الطريق يرى أمامه تلالاً ممتدة وهضاباً وعرة، لا يزداد بالسير فيها إلا استصعاباً للوصول إلى أي غاية، ثم قالت: (إن التصوف هو أكبر تيار روحي يسري في الأديان كلها، وهو الذي يعني إدراك الحقيقة المطلقة، والتصوف يمكن أن يعرف بأنه (حب المطلق) أو البحث المتواصل عن الله ﷻ).

وتقسمها إلى صوفية اللاحدود أو صوفية استبطان الذات، قال ذوالنون: (التفكير في ذات الله جهل، والإشارة إليه شرك، وحقيقة المعرفة حيرة)، قال الهجويري في (مقام القرب والتبجيل) ما يلي: (فرق بين من احترقَ من جلاله في نار حبه، وبين من استنار بجماله من نعيم المشاهدة).

ثم قالت: ولذلك قال علماء الغرب: إن التصوف نبتة غريبة في صحراء الإسلام والعجب تصوُّرُ خروج حركةٍ روحيَّة سامية من عباءة الإسلام.

واختلف الفقهاء في التصوف، وعمموا أحكامهم فيه فمنهم المنصف الذي كتب وناقش وفرق بين الغلاة من الصوفية الفلاسفة والصوفيين المقيدين بالكتاب والسنة.

ومنهم من شنع فيهم القول وكفرهم وجعلهم كالزنادقة والمجوس وخاصة ابن عربي وابن الفارض والسهروردي المقتول، والحلاج وابن سبعين والجيلي حتى وصل التكفير والاحتقار للمعتدلين كالغزالي والفضيل بن عياض وعبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي والرفاعي وهؤلاء من غلاة السلفيين كابن تيمية وابن الجوزي والبقاعي.

وإن المسيرة في البحث المتكامل للمعرفة الصوفية تحتاج إلى دراسة موسعة عن الصوفية والتصوف في الإسلام.

مراحل نضوج وتطور التصوف:

بدأت المرحلة الأولى للتصوف في القرن الثاني الهجري على أيدي الزهاد الذين استقوا الزهد والتبتل من القرآن الكريم والسنة وعلى رأس هؤلاء الحسن البصري ومعه مجموعة كمثال سليمان الداراني، وابن الأدهم، ومالك بن الدينار، ورابعة العدوية، ثم تطورت إلى منهاج متكامل في القرن الثالث الهجري على رأسهم الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى.

واستمر هذا التصوف دون شطح ومع التقيد بالكتاب والسنة ثم ظهرت في القرن الرابع والخامس الهجري الشطحات الصوفيَّة، والتصوف الفلسفي ورائدها ابن الفارض، وأبو يزيد البسطامي، وابن عربي، والحلاج

والسهروردي، والجيلي ونقدهم الغزالي والمحاسبي والهروي وعاد بالتصوف إلى الاستنباط الكامل من القرآن والسنة.

وبدأت الطرق الصوفية تتشعب وتتنوع وتنمو حتى صارت مدرسة كبيرة منتشرة في كل العالم العربي الإسلامي.

التصوف الفلسفي:

يعتمد على الرمزية في أعلى صورها، وظهر في تائية ابن الفارض، والفصوص لابن عربي والإنسان الكامل للجيلي، وبذلك ظهرت إشكالات وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد، قال العلامة بدر الدين بن الأهدل وهو من أعيان صوفية اليمن: (اعلم أن ابن الفارض من رؤوس أهل الاتحاد).

وقال الغزالي في الإحياء: (إنَّ الكلام إن كان ظاهراً في الكفر بالاتحاد فقتل واحد ممن يقول به أفضل من إحياء عشرة أنفس).

ولكن الباحث المدقق يجد أن العديد من المهاجمين للتصوف الفلسفي يعملون أقلامهم تزويراً ولا يبحثون عن الحقيقة، وقد حقق محمود الغراب في بيتين أثبتهما ابن القيّم في كتابه مدارج السالكين هامش صفحة 60، قال ابن القيم عن ابن عربي إنَّه قال:

العبد رب والرب عبد ... يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب ... أو قلت رب أنَّى يكلف؟

وهذان البيتان موجودان في أربعة كتب من كتب الشيخ ابن عربي وهي مواقع النجوم، والتنزلات الموصلية، وكتاب المسائل وفي الصفحة الأولى من كتاب الفتوحات المكية ولكن بالنص التالي:

الـــرب حـــق والعبـــد حـــق يـا ليـت شـعري مـن المكَّلـف؟
إن قلـــت عبـــد فـــذاك ميْـــت أو قلـــت رب أنـــى يكلـــف؟

فانظر إلى التزوير الذي أكده عبد الرحمن الوكيل في تحقيقه لكتاب سماه (مصرع التصوف) وهو تزوير حتى في العنوان، لأن الكتاب لبرهان البقاعي اسمه (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي).

والشيخ محيي الدين يقول:

الاتحـــاد محـــال لا يقـــول بـــه إلا جهـول بـه عـن عقلـه شردا

ويقول ابن عربي في ديوانه:

إن جـاءكم نـص بـضد الـذي ذكرتـه مـع الهـدى يمـشي
تمـــسكوا منـــه بأهدابـــه والقـوُا الـذي ذكـرت في الحـشي

ابن الجوزي والتصوف:

الصوفية تعود إلى كلمة صوفية للغوث بن مر.

وقـال ذهـب قـوم إلى أن التـصوف منـسوب إلى أهـل الـصفة ويهـاجم الصوفيين وذكر مثالبهم ومنهم أبو طالـب المكـي حيـث قـال في كتابـه قـوت القلوب: (ليس على المخلوق أضر من الخالق)، وهاجم كتاب الحلية لأبي نعيم الأصبهاني، كما هاجم القشيري والغزالي.

وإذا أردنا أن نناقش كل هؤلاء الذين لم يجدوا مـن التـصوف إلا الحلـول ووحدة الوجـود والاتحـاد فهـم كثـير أمثـال عبـد الـرحمن الوكيـل، والبقـاعي، والاستنبولي، وجميع السلفيين والوهابيين وعلى رأسهم ابن تيمية وغيرهم الـذين لم يجدوا في التصوف الأخلاق، والإخلاص والصفاء، والـسمو والتعـالي وكـان

التصوف في مراحله قد تسامى وازداد سمواً وأعطى المثل الرائع في نماذج كثيرة كأمثال عبد الله بن المبارك، وعبد القادر الجيلاني، والغزالي، والكثير والكثير.

ثم تجمد التصوف وصار تصوفاً فلسفياً انحرف عن بعض أهدافه، وقال الشعراني: كان التصوف حالاً فصار كاراً، وكان احتساباً فصار اكتساباً وكان استناراً فصار اشتهاراً، وكان اتباعاً للسلف فصار اتباعاً للعلف، وكان عمارة للصدور فصار عمارة للغرور وكان تعففاً فصار تملقاً، وكان تجريداً فصار ثريداً.

نقد التصوف:

اتخذ المتصوفة موقفاً سلبياً من النقد الذي وجهه المخالفون لهم والنقد يؤدي إلى التصحيح، قال ابن عربي: (إن طريق الكشف والشهود لا يحتمل المجادلة والرد على قائله)، والصوفيون نصحوا تلاميذهم بالابتعاد عن النقاد ويصف بوترو اعتراض الصوفي على النقد بالعبارة التالية: (إن الظاهرة الصوفية تجربة، وهي تجربة تقصر المعاني والألفاظ عن التعبير عنها، ولن يعرفها أحد إلا صاحبها نفسه الذي جربها ومثل هذه الظاهرة لا يمكن دراستها من خارج، وجميع العلامات الخارجية التي نزعم بوساطتها تكوين فكرة عنها عاجزة عن الكشف عنها).

الصوفي: (يعيش على اعتقاد مؤسس على مبدأ يسمو على استدلال ألا وهو التجربة) إن الرمزية الصوفية تعكس عجز المتصوفة عن إيصال حقيقة وجدانهم بلغة مفهومة ولأسباب كثيرة من اصطلام الروح على أتون المعرفة والإلهام والقرب والأنس.

وهذه الرمزية قد تصل إلى معانٍ واسعة كتعريف نيكلسون عن الكشف الصوفي قائلاً: (إنه العلم بخفايا الغيب المجهول، الذي ينكشف في رؤيا جذبية).

وعند الدكتور عفيفي: (فيض من النور الإلهي الذي تنغمس فيه الروح وينكشف به سر الحقيقة).

وإن سر انتقال الغزالي من الفقه والأصول إلى التصوف هو الشك الذي عاش فيه ووضح ذلك في كتابه: (المنقذ من الضلال).

قال رسل: (إن فلاسفة التحليل المنطقي يعترفون صراحة بأن العقل البشري يعجز عن إيجاد إجابات جازمة عن كثير من المسائل ذات الأهمية القصوى للإنسان، ولكنهم يرفضون الاقتناع بأن هناك وسيلة للمعرفة (أسمى) نستطيع أن نكشف بها عن الحقائق التي تخفى على العلم وعلى العقل)، (التصوف والمنطق).

وكارل بوير يعترف ضمناً بأن للعقل حدوداً لكنه يصرح: (أنضم إلى جانب العقل بكل جوارحي، حتى إنَّني حيثما أحس أن التعقل قد جاوز حدوده أظل مؤيداً له، مؤمناً بأن المبالغة في هذا الاتجاه لا تؤذي حقاً إذا هي قورنت بالمبالغة في الاتجاه الآخر).

قال د. توفيق الطويل: (من الحق أن يقال: إنَّ الظاهرة قد يستقيم وجودها مع الجهْلِ بتفسيرها والقصور عن تعليلها)، المعتزلة رفضوا التصوف والزهد حتى قال القاضي عبد الجبار: (ليس الزهد من إمارات الحق).

وكرس القاضي المعتزلي مساحة كبيرة من الجزء الخامس عشر من موسوعة المغني لنقد التصوف ونقد الكرامات والخوارق.

وابن حزم الأندلسي يستند في هجومه على التصوف إلى ظاهرة الاختلاف والتباين في أقوال المتصوفة عن الموضوع الواحد مما يعده تناقضاً تسقط معه مصداقية هذه المعرفة الإلهامية.

يقول ابن حزم: (إن المدعين للإلهام.. لا يتفق اثنان منهم على ما يدعيه كل واحد منهم إلهاماً.. فصح بلاشك أنه كذبة).

المعتزلة يهاجمون مصطلحات التصوف: المكاشفة، والتجلي، والقرب، وقال القاضي المعتزلي: (اعلم أن التقرب مأخوذ في المعنى من القرب، فحقيقة ذلك لا تجوز على الله تعالى، وإنما يصح ذلك في الأجسام التي يصح عليها القرب والبعد)، ويردون على التباين والاختلاف بأن معرفتهم الصوفية ينهلونها من معرفة ليس لها حدود وليس لتذوقها نهاية.

يتساءل الدكتور عثمان يحيى: (أليس وجود الحق مطلقاً حتى عن قيد الإطلاق فكيف يمتنع عليه تعالى تجليه الذاتي من خلال صفاته وكمالاته اللامتناهية أو تجليه الخارجي الفائق من وراء حجاب الحرف والكلمات البشرية).

الفخر الرازي سلم بوجود المعرفة الصوفية ولم يكن متصوفاً، (الكتاب التذكاري ابن عربي) ولكنه سمى هؤلاء المتصوفة (أصحاب الحقيقة)، واعتبرهم (خير فرق الآدميين).

وإن النقد للتصوف لم يكن على ذكر الله تعالى ولا على التوبة والخشوع، والمراقبة، والإخبات والتجلي والأنس بالله وبذكره بالتهجد والصوم والجوع ومخالفة النفس وإنما نصب الهجوم على الاتحاد والحلول ووحدة الوجود وعلى رموز هذه كأمثال ابن عربي وابن الفارض وأبي يزيد البسطامي والجيلي والسهروردي المقتول وابن سبعين وهجومهم على مصطلحات التأحد، والفناء والجمع أو الفناء الشهودي، وميز ابن القيم (عد مقام الفرق بعد الجمع مقام صاحب التمييز والفرقان)، ولم ينكر ابن تيمية وابن القيم وجود الإلهام.

وركز ابن تيمة وابن القيم على وحدة الوجود عند ابن عربي وغيره وكان مذهبهم في الفناء (الفناء عن وجود السوى) وهو يعتبر عند ابن تيمية وتلميذه (فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود) وابن عربي قال في أحد أقواله: (ما ثَمَّ في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله فله هو وبه ومنه وإليه ولو احتجب عن العالم طرفة عين لفني العالم دفعة واحدة)[1]، وابن تيمية ميز بين الوحدة الشهودية والوحدة الوجودية ورفض الأخيرة ولا ينكر الأولى ويقول ناقداً حالة التوهم النفسي عند بعض السالكين فيقول: (هؤلاء لا يتعمدون الكذب، ولكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج).

ولكن وليم جيمس يؤكد بوجود مناطق خفية من الشعور يمكن للإنسان عن طريقها معرفة عالم غير منظور.

ولذلك يعتقدون بالبصيرة الكاشفة والاعتقاد بالوحدة، وهذا ما أدى إلى هجوم رسل على التصوف لهجومهم على العقل. وتم الهجوم على التصوف لكونه طريقاً باعتباره وسيلة إلى غاية غير مضمونة النتائج إنه لا يفضي حتماً إلى المعرفة التي هي بالأصل إلهامات ومواهب وهاجموا تحول التجربة الفردية إلى طرق وعلاقة بين الشيخ والمريد على أساس الطاعة التامة (من لم يكن له شيخ لا يفلح أبداً)[2]، ثم ظهر مدّعون متلبِّسون بلباس الصوفية فانحرفوا عن الصوفية مما أدى إلى الهجوم على التصوف.

قال ذو النون المصري محذراً المريد: إياك أن تكون للمعرفة مدعياً أو بالزهد محترفاً.. كل مدعٍ محجوب بدعواه عن شهود الحق.

---

(1) رسائل ابن عربي، ج1 ـ رسالة الأنوا، ص1 ـ 1.

(2) الرسالة القشيرية، ج2، ص735.

النقد ومصادر النقد للمعرفة الصوفية:

1 ـ النقد المعرفي السلبي: هذا النقد يرفض وجود هذه المعرفة أصلاً ويعتبرها دعوى باطلة ومحض ادعاء كاذب وهذا الاتجاه يرفض التصوف جملة وتفصيلاً.

2 ـ النقد المعرفي الإيجابي: هو اتجاه نقدي يسلم بوجود التجربة الصوفية ولا ينكر إمكان حدوثها ولكن يقرر أن ليس للتجربة الصوفية قيمة معرفية عامة (ابن رشد ـ ابن خلدون ـ التفتازاني).

3 ـ النقد الفقهي الأصولي: وهو يعد بحثاً لإثبات تعارض بين التصوف والشرع ابن حزم/ ابن الجوزي، وهاجم ابن عربي هؤلاء الفقهاء وساهم أصحاب علم الرسوم كما هاجم الفلاسفة وأصحاب علم الكلام الذين أنكروا الصلة بين الشرع والتصوف.

4 ـ النقد النفسي: درس هذه ظاهرة المعرفة الصوفية على أنها ظاهرة مرضية تصيب النفس الإنسانية ويرد بعض علماء النفس (وليم جيمس وهنري دي لاكروا) على هؤلاء.

المراجع:

- التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين، د. محمد شيخاني.
- هل في القرآن تربية روحية.
- عوارف المعارف للسهروردي.
- مدخل إلى التصوف الإسلامي، د. أبو الوفا التفتازاني.
- التصوف في الميزان، د. مصطفى علوش.
- دراسات في التصوف الإسلامي، د. محمد جلال شرف.

وعرف الدكتور إبراهيم بسيوني التصوف قائلاً:

التصوف: (تيقظ فكري يوجه النفس الصادقة إلى أن تجاهد حتى تحظى بمذاقات الوصول فالاتصال بالوجود المطلق).

وقال الجنيد: الصوفي من أحس قلبه السلامة من الدنيا كما أحسها قلب إبراهيم فأطاع أوامر الله ومن كان تسليمه كتسليم إسماعيل وحزنهُ كحزن دواد وفقره كفقر عيسى وشوقه كشوق موسى في وقت مناجاته، وإخلاصه كإخلاص محمد ﷺ.

أبو بكر الكتاني: التصوف خُلُقٌ فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء[1].

الصوفي: من كان كلامه عن اعتبار، ومن استنار سره بالافتكار.

أبو بكر الشبلي: الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق.

أبو بكر الواسطي: كقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ (طه: 41).

أبو الحسن الحُصْري: التصوف أن يكون قلبك صافياً من كدورة المخالفات.

أبو سعيد بن أبي الخير سألوه عن التصوف، فقال: أن تتخلى عن كل ما في دماغك، وتجود بكل ما في يدك، وألا تجزع من شيء أصابك.

والقسم الثاني الوصول إلى الله تعالى بتحصيل صفات الكمال والشعور الروحي الذي يؤدي إلى ذلك الوصول، فالمعرفة الصوفية هي معرفة ذوقية كشفية إلهامية باطنية تأتي القلب مباشرة دون إعمال العقل ودون استخدام الحواس وهي معرفة خاصة فردية تتمايز من شخص إلى آخر.

---

(1) التصوف والانقياد للحق، أبو الحسن المزين القشيري، ص149.

ويؤكد الدكتور محمد جلال شرف في كتابه دراسات في التصوف الإسلامي وهو أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة الإسكندرية بأن التصوف: هو علم بني على قواعد وأصول صحيحة وقواعد فقهية من الكتاب والسنة وأن علمهم مشتق من الصفاء، وحاول علماء بغداد جعل التصوف علماً دقيقاً فريداً لتربية المسلمين تربية ذوقية وجدانية تمس القلب والروح قبل الجوارح والأعضاء وأعطى المفهومات الفقهية روحاً جديدة ليمزجها بالعاطفة الذاتية المؤسسة على أعمال القلوب.

مراحل تطور التصوف الإسلامي:

إن التصوف حركة دينية استمدت عناصرها من مصادر مختلفة ونشأ وتطور في ظل التطورات العنيفة الشاملة التي مر بها تاريخ المسلمين في القرون الثلاثة الأولى وهي أعقد من خضوعها إلى أصل واحد. وأول مؤلَّف في التصوف ظهر في أوربا هو كتاب كولك ثم جاء كتاب ألفردفون كريمر: تاريخ الأفكار البارزة في الإسلام، وذكر أثر الزهد المسيحي في نشأة الزهد الإسلامي، ثم وضح دخول فكرة الحب الإلهي في الزهد بأثر هندي.

ثم جاء المستشرق الهولندي دوزي وأرجع التصوف إلى قدماء الأنبياء أمثال إبراهيم عليه السلام.

ثم ظهر في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لويس ماسينون ورينولد نيكولسون وبعد دراسة واضحة من ماسينون للتصوف دامت فترة طويلة من الزمان وحول شخصية الحلاج ومذهبه انتهى إلى القول بأن التصوف الإسلامي قد أخذ نشأته من صميم الإسلام ذاته

ويقول نيكولسون في كتاب تراث الإسلام، ص210 ـ 211: أما فيما يتصل بالمسائل الصوفية في ناحيتها السيكولوجية والنظرية فالغرب لا يزال يتعلم الكثير من المسلمين.

وعند نيكولسون أنَّ الصوفي المسلم لا يدين بوحدة الوجود مادام يقول بتنزيه الله مهما صدر عنه من الأقوال المشعرة بالتشبيه فإذا راعى جانب التنزيه شاهد الله في كل شيء واعتبره في الوقت نفسه فوق كل شيءوهذه هي وحدة الشهود لا وحدة الوجود.

ويقول يحيى بن معاذ الرازي: (إذا رأيت الرجل يعمل الطيبات فاعلم أن طريقهُ التقوى، وإذا رأيته يحدث بآيات الله فاعلم أنه على طريق الأبدال، وإذا رأيته يحدث بآلاء الله فاعلم أنه على طريق المحبين، وإذا رأيته عالقاً على ذكر الله فاعلم أنه على طريق العارفين).

قال معروف الكرخي: إنه الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق[1].

يقول أبو يزيد البسطامي: كنت اثني عشر عاماً حداد نفسي، ألقيت بها في كور الرياضة وأحرقتها بنار المجاهدة، ووضعتها في سندان المذمة، وطرقتها بمطرقة الملامة، حتى جعلت منها مرآة، وكنت خمس سنين مرآة نفسي أصقلها دائماً بأنواع من العبادة والتقوى، وسنة أنظر فيها بعين الاعتبار. وقد نظرت فإذا في وسطي زُنار من الكِبْر والعُجْب والرياء والاعتماد على الطاعات والنظر بعين الارتياح إلى الأعمال. فعملت خمس سنين حتى انقطع ذلك الزنار

---

(1) القشيري، ص149.

واعتنقت الإسلام من جديد، ونظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات، ورجعت من جنازتهم جميعاً ووصلت إلى الله بعون الله وحده من غير وساطة من الخلق"[1].

في القرن الثالث بدأ الجنيد وأتباعه يتخذون القرآن والسنة ميزاناً لجميع ما يخوضون فيه من بحوث نظرية وما يحسون من حالات وجدانية فاهتموا بالزهد والعبادة والأخلاق في التصوف.

يقول سهل التستريّ: أصول مذهبنا على ست:

1 ـ التمسك بكتاب الله.

2 ـ والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ.

3 ـ وأكل الحلال.

4 ـ وعدم إيذاء الخلق ولو آذونا.

5 ـ والبعد عما نهى الله عنه.

6 ـ والتعجيل بالحقوق.

قال بشر الحافي: الصوفي من صفا قلبه لله.

وقال سري السقطي: التصوف اسم لثلاث معان وهو الذي لا يطفىء نورُ معرفته نورَ ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضُهُ عليه ظاهرُ الكتاب والسنة، ولا تحملُه الكرامات على هتك أستار محارم الله.

وقال سمنون المحب حين سئل عن التصوف فقال: ألا تملك شيئاً ولا يملكك شيء.

---

(1) تذكرة الأولياء.

أبو الحسين النوري قال: الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية وآفات النفوس وتحرروا من شهواتهم حتى صاروا في الصف الأول والدرجة العليا مع الحق فلما تركوا كل ما سوى الحق صاروا مالكين لا مملوكين.

وقال أيضاً: ليس التصوف رسماً ولا علماً ولكنه خلق لأنه لو كان رسماً لحصل بالمجاهدة، ولو كان علماً لحُصِّل بالتعليم ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم.

وقال: التصوف ترك نصيب النفس جملة ليكون الحق نصيبها.

قال الجنيد: التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع[1].

الجنيد: أصل الطريقة وهو سيد الطائفة قالها السبكي وسئل عن الشكر فقال: أن لا تعصي الله بنعمه.

ما فعل الله بك قال الجنيد: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار[2].

قال الجنيد: الطريق إلى الله مسدود على خلق الله ﷻ إلا على المقتفين آثار رسول الله والتابعين لسنته ﷺ.

التصوف مدرسة ومنهاج وأصول ومقامات وسيلتها المجاهدة والذين جاهدوا فينا... النوافل، ذكر الله تعالى، قراءة القرآن، قيام الليل والتهجد ـ الخلوة مع الله وهو الاعتكاف ـ غار حراء.. وهو أكبر مثال.

---

(1) القشيري، ص149.

(2) الحلية لأبي نعيم، ج10، ص257.

المخالفة للنفس بالحرام ثم بالمباح ثم بالحاجات والضرورات بحد تبقي على النفس بقاءها.

التأدب بآداب الشريعة تحصل بعد رقة الحال واطمئنان النفس بالذكر القلبي.. محركها الخوف والرجاء ثم المراقبة والإخلاص.

المراقبة والإخلاص:

من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة[1].

الخراز: وصية: احفظ وصيتي أيها المريد وارغب في ثواب الله وإنما هو أن ترجع إلى نفسك الخبيثة فتذيبها بالطاعة وتفارقها وتميتها بالمخالفة وتذبحها بالإياس فيما سوى الله وتقتلها بالحياء من الله ويكون الله حسبك وسارع في جميع الخيرات، وتعمل في جميع المقامات وقلبك وجل أن لا يقبل منك فهذه حقائق القبول والإخلاص والصدق حتى تتخلص وتصير إلى الله تعالى والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[2].

المحبة: (والذين آمنوا أشد حباً لله):

إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه.

ما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..

---

(1) القشيري، ص14.

(2) اللمع، الطوسي، ص334 ـ 335.

المحبة: هي ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبه[1].

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا ﴾ (التوبة: 24).

قال بشر: الزهد أساس التصوف يا علماء السوء أنتم ورثة الأنبياء، إنما ورثوكم العلم فحملتوه وزغتم عن العمل به وجعلتم عملكم حرفة تكسبون منها عيشكم أفلا تخافون أن تكونوا أول من تسعر به النار[2].

الخوف: ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء: 90).

التقيد بالشريعة:

الطوسي: أكد توحيد الفقه والتصوف ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان: 20).

والشعراني في الطبقات يقول: إن علم التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة. الشريعة ـ الطريقة ـ الحقيقة (عين الشريعة).

الشافعي أذعن لشيبان الراعي الصوفي.

الإمام أحمد بن حنبل أذعن للمحاسبي.

---

(1) القشيري، الرسالة، ص146. (بحبهم ويحبونه).

(2) الشعراني.

ابن سريح أذعن للجنيد.

وقال أحمد بن حنبل: إنهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم نبلغه.

الشريعة موصلة إلى الحقيقة ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

فلا باطن بدون ظاهر، ولا حقيقة بدون شريعة.

أركان التصوف عند الأصبهاني:

1 ـ معرفة الله تعالى.

2 ـ معرفة النفوس وشرورها.

3 ـ معرفة وساوس العدو ومكائده.

4 ـ معرفة الدنيا وغرورها.

أقوال العلماء في التصوّف:

ابن خلدون في المقدمة:

التصوف: هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد بالخلوة للعبادة.

وابن خلدون يقول: أصل هذه الطريقة محاسبة النفس على الأفعال والكلام في هذه الأذواق والمواجيد التي تحصل من المجاهدات.

الرازي: إن الصوفية تمتاز في الأصول وتختلف عن بقية الفرق الإسلامية:

1 ـ السنة والجماعة طريقها لمعرفة الله هو السمع.

2 ـ المعتزلة طريقتهم إلى المعرفة العقل.

3 ـ الصوفية طريقتهم إلى معرفة الله هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية إلى مرتبة الكشف.

المقامات مكاسب والأحوال مواهب والمقام يشير إلى التمكين والحال يدل على التكوين.

السراج: الإحسان أن تعبد الله... كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

يا غلام احفظ الله يحفظك.

الإثم ما حاك في صدرك والبر ما اطمأنّتْ إليه نفسك..

علي ﷺ يقول يا كميل بن زياد:

الناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون إلى كل داعٍ لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

مالك بن دينار: يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم، فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض.

معروف الكرخي: سئل عن علامة الأولياء فقال:

أن تكون همومهم لله والأخرى أن يكون شغلهم في الله.

وأن يكون فرارهم إليه وإذا أراد الله بعبد خيراً فَتَحَ عليه باب العمل.

وأغلق عليه باب الفترة والكسل.

مذهب الحلول ـ الاتحاد ـ الفناء ـ وحدة الوجود في حقيقته وجوهره شيء واحد متعدد متكثر في النظر والاعتبار:

فلو أخلصوا في الود غابت صفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكر

القشيري: إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب، وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة وبقي بلا هوى، حينئذ صار العبد زمناً فانياً فوقع في حفظه سبحانه وبرئ من دعاوى نفسه[1].

جماع طريق الصوفية الفناء.

الخراز: أفنى الفانين أفعالهم من أفعالهم، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

ابن عربي: كل جزء من أجزاء العالم أصلاً من الذات الإلهية.

وحدة الوجود نظرية فلسفية عقلية تلغي الثنائية بين الحق والخلق وقد يعرض لبعض العارفين في مقام الفناء والجمع والاصطلام والسكر بقوة استيلاء الوجد والذكر عليه من الحال ما يغيب فيه عن نفسه وغيره بمعبوده عن عبادته وبمعرفته عن معرفته وبمذكوره عن ذكره وموجوده عن وجوده..

والتصوف تيقظ فطري يوجه النفس الصادقة إلى أن تبذل الجهد وتحثُّ الخطى لتصل إلى وصية الألوهية وتنعم بسعادة المشاهدة والقرب.

---

(1) الرسالة، ص118.

التصوف عند الشيخ أحمد كفتارو

الإسلام منهج حياة، قد تكاملت أسسه ومرتكزاته على ساحة العالم العربي والإسلامي وأرسى قواعد المعرفة، ومن أكبر سماته العلم ولذلك احتاج لبيانه إلى العلماء والعلماء في الإسلام هم ورثة الأنبياء..

ويطالعنا في كل حقبة عظماء في قدراتهم العقلية والعلمية والقيادية؛ ومن هؤلاء الذين تركوا بصمات في تاريخ هذه الأمة شيخ جليل عاش في سورية ونشأ وترعرع في جنباتها ونهل من رجالاتها علماً بحظ وافر، فارتفع نجمه في ربوعها وتألق في سمائها، وبنى حصناً من حصون المعارف الإسلامية فصار موئلاً للباحثين، وينبوعاً للعلماء والدعاة بواقعية رائدة، وفهم عميق للعصر الذي يتعايش معه بكل أبعاده الدينية والاجتماعية والسياسية.

فالعلامة الشيخ الدكتور أحمد كفتارو رحمه الله تعالى أسس مدرسة فكرية إسلامية تتسم بالوسطية، والإيجابية والواقعية والعرفانية المتألقة بسمو روحي يتكامل مع فكر الإسلام العظيم ويتناغم مع إحساس متدفق بفهم العصر والحداثة وبمنهج معرفي موسوعي لكل الأحداث والمناهج والأفكار والعقائد لدى الآخرين.

أكد في محاضراته التي استمرت ما يزيد عن سبعة عقود وعبر اللقاءات والحوار المستمر على أهمية الحوار والتعاون مع كل أطياف المجتمع العربي والإسلامي والغربي؛ وشارك في كل المؤتمرات المحلية والدولية وترك أثراً كبيراً لا ينسى في الحوار الإسلامي ـ المسيحي ودعا إلى مؤتمرات تضم الديانات

المختلفة وأظهر للعالم أجمع أهمية الإسلام في إرساء السلام العالمي والتآخي بين كل الديانات، وحاضر في كبرى جامعات العالم من جاكرتا إلى كاليفورنيا والتقى كبار رجالات الكرملن وأظهر لهم أهمية الدين في بناء الحضارة الإنسانية فدعوه للمحاضرة في أكاديمية العلوم في موسكو وفي العديد من مدن الاتحاد السوفياتي السابق ودافع عن حقوق المسلمين في كل مكان حل فيه ومرتكزاته تأسست على:

1 ـ الإسلام والحكام:

أرسى قواعد التوازن بين العلماء والحكام بحكمة العارف، وفهم الواقع والممكن؛ وبنى جسور الصداقة والمحبة بين الحكام والعلماء والشعب عبر حكومات متعددة فكان العلامة دؤوباً في إخلاصه، وفياً لأمته ودينه وحكامه ينصحهم بكل ما أوتي من الحلم واللين متمثلاً قول الرشيد لأحد جلسائه عندما قسا عليه بالنصيحة قائلاً له هل أنت خير من موسى عليه السلام وهل أنا شر من فرعون فقال الجليس لا يا أمير المؤمنين فقال ألم تسمع قول الله تعالى لموسى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ (طه: 44)، وتمثل قول النبي محمد ﷺ: إذا كنت آمراً بمعروف فليكن أمرك بمعروف ونصح العلماء وقادة الحركات الإسلامية بأن يكونوا مع الحاكم عوناً له لا عليه وأن الحاكم هو من هذه الأمة فلابد لنا نحن العلماء أن نعين الحاكم على ما يفيد الأمة ولا نكون في صفوف المعارضة، لأن المعارضة لا تكون سياسية والعالم يدعو إلى القيم الإسلامية، وإلى وحدة الكلمة وإلى جمع الأمة لا إلى الفتنة وبذاك عارضه بعض العلماء وحاولوا إيغار الصدور عليه وعلى منهجه حتى تيقنوا في نهاية الأمر أن

منهجه في التعامل مع الحاكم هو المنهج القويم، والأسلوب السديد فسار أكثرهم في منهجه وعادوا إلى الحكمة والموعظة الحسنة.

وموقفه من الحاكم بني على قواعد أصولية تعتمد على أدلة منها دليل قول لأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: ونطيع ولاة أمورنا ونعتزل الفتن ولا نشارك في سفك الدم بيد ولا لسان.

ويردد قول أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى: إن الله ﷻ بعث رسوله رحمة ليجمع به الفرقة، وليزيد الألفة، ولم يبعثه ليفرق الكلمة ويحرش الناس بعضهم على بعض[1].

والاستقراء المنهجي لدعوته خلال العقود الستة التي عاش فيها أنظمة متعددة نجد أنه يؤكد على استقلالية السلطة الدينية عن السلطة المدنية وذلك تأسياً بمدرسة محمد رشيد رضا ومحمد عبده بعيداً عن التصادم. والتفرغ لمشروع نهضوي تعليمي إسلامي مبرمج لإصلاح التعليم الديني مع الرفض الكامل للخوض في مشاريع الإسلام السياسي الذي أدى إلى العنف الإسلامي المسلح وظهور التيارات الإسلامية المتشددة والباحث المتعمق لشخصية العلامة الشيخ أحمد كفتارو تغمده الله برحمته يجد عنده، بُعد النظر، وفقه الواقع، وشمولية المعرفة مع سعة إطلاع على حجم المؤامرة على الإسلام والمسلمين وهذا كله قد تفاعل مع أسس منهجه في الدعوة وتفسيرات الجهاد الأكبر (وجاهدهم به) أي الحوار القرآني وإبعاد كل مشاركة مع التيارات الإسلامية المتصاعدة التي تؤمن بالعنف والمعارضة والخصومات مع الآخر.

---

(1) من كتاب رسالة العالم والمتعلم.

وبهذا كان من أوعى النخب الإسلامية بالواقع وبالعالم من حوله مع قدرة فائقة في الذكاء لنزع الخصومة وبث الألفة والمحبة؛ والحوار الصادق الهادف العلمي الرصين مع كل الأطراف المتنازعة ففي حوار مع الشيوعيين استطاع أن يقنع خالد بكداش أمين الحزب الشيوعي بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

وروى لي من لا أكذبه أن جمعاً من علماء أحد البلاد العربية قد وفدوا على المرحوم الشيخ علي الطنطاوي وبدأ بعضهم يتكلم عن العلامة الشيخ أحمد كفتارو وبأنه من علماء وفقهاء السلطة فسكت برهة وإذا بالشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى يقول: إنَّ هذا الشيخ العلامة كان حكيماً وعاقلاً ومدركاً بفكر ثاقب ولقد حمى بيضة الإسلام بحكمته ومنهج دعوته مع الحكام.

كما أنه ساهم بعودة الكثير من العلماء عن منهجهم ولقد أيقن الجميع أن الحكمة في الدعوى تقتضي عليهم بأن يكونوا صفاً واحداً مع الحاكم ليحفظوا البلاد من الفتنة وبخاصة إن كانت البلاد مستهدفة من عدو حاقد لئيم مجاور يعمل جاهداً لفتن داخلية لا يستفيد منها إلا العدو.

وإن هذه الأيام لتشهد للعلامة الشيخ أحمد كفتارو بأن الكفاح الإسلامي السياسي المسلح قد أثبتَ فشله الذريع وجلب للأمة كل أنواع الهزائم والخراب والدمار واتهم الإسلام بالإرهاب وأوصلنا إلى ما نحن فيه من مقولات وكتب صدرت من الحاقدين على الإسلام والمسلمين وعلى رأسهم برنارد لويس الذي أكد في كتبه ومحاضراته بأن الإسلام نفسه يحمل جذور الإرهاب وليس بعض المسلمين فقط.

فهذه ومضات من فكره، وإشعاع أمل يضيء لنا المستقبل الواعد.

2 ـ الحوار الإسلامي ـ الإسلامي والحوار الإسلامي المسيحي:

وإن كبرى مرتكزاته استمرار الحوار مع كل أطياف المجتمع ومع الإسلاميين بخاصة لرأب الصدع، وجمع الكلمة وتوحيد الصف الإسلامي بحكمة رائدة، وخبرة واسعة وتحليل عميق لمصير الدعوة والدعاة.

والتقى كبار قادة العالم العربي والإسلامي وحاورهم وتقدم ببرامج عمل مستقبلي لجلالة الملك فيصل رحمه الله والرئيس سوكارنوا والرئيس ضياء الحق ومما جرى من حوار مع الرئيس ضياء الحق في باكستان عندما سأله كيف تجد الإسلام في بلادنا بعد زيارات متعددة للمساجد والجامعات قال له إنني أجد الإسلام متأخراً جداً عندكم فدهش الرئيس من جوابه الصريح لما كان يعرف عنه من الحكمة والخلق الرفيع فقال له وما هو دليلك قال: إنني وجدت تزايداً كبيراً في المساجد وكنت أتمنى أن أجد أمام كل مسجد مصنعاً وبجوار كل مئذنةٍ مدخنة حتى تنهض هذه البلاد صناعياً كما نهضت علمياً فضحك وقال له الآن أسمع عالماً حكيماً يصلح ليعلم العلماء الحكمة ويمدهم بفكر تنهض به الأمة وجمع كل علماء باكستان وطلب منه إلقاء محاضرات في فقه الحياة في الإسلام وحاجات الأمة الإسلامية في نهضتها وقلده وشاح باكستان الأعظم وفي أندونيسيا وبعد حوار طويل مع الرئيس سوكارنو طلب منه إلقاء محاضرات في جامعات أندونيسيا وسلمه شهادة الدكتوراه الفخرية في الدعوة الإسلامية ومما جرى في أثناء إحدى المحاضرات مع جمع كبير من علماء العالم العربي والإسلامي

قال في كلمته يقول تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[1] (البقرة: 20)، فضج الجميع وعلت أصواتهم وقالوا: إن الله تعالى قال: ربنا آتنا في الدنيا حسنة ثم كررها ثانية وازداد الضجيج وعلت الأصوات بالاستنكار ووقف الناس ظانين به ظن السوء ثم قال لهم بعد هدوء: إن هذه الآية يحفظها كل أطفال المسلمين ولكنني قرأتها معكوسة كما هو الواقع عند دعاة هذه الأمة فهم يريدون الآخرة ونسوا الدنيا فنهض الغرب وتأخرنا، وتقدموا وتراجعنا فلم لا نضع برامج علمية نهضوية لنعيد مجدنا التليد، ونرفع رايتنا عالية ونتخلص من الجهل والمرض والفقر والتأخر.

وتقدم بمنهج متكامل لجلالة الملك فيصل وطلب منه المجيء إلى المملكة لتنفيذه، وقامت قيامة بعض التيارات الإسلامية المتشددة وأوقفوا هذا العمل الجليل وأثاروا الضغينة عليه لدى علماء المملكة العربية السعودية واتهموه بأنه من فقهاء السلطة وبالأشعرية والتصوف، وكأنه يقرأ مستقبل هذه الأمة لإيقاف المد الإسلامي المسلح وها هي المملكة تعمل جاهدة لإيقاف حركات العنف والتشدد التي خرجت من تحت عباءة (فقه العنف والتكفير) وقد اكتوت المملكة بآثار هذا الفكر المسلح بالتفجيرات المتوالية في مناطق كثيرة.

كما التقى مع قادة الثورة الإيرانية وشدد على العودة إلى الإسلام الجامع لكل المذاهب والطوائف، ونبذ الخلاف وشارك في مؤتمراتهم ودعاهم إلى المحاضرات في مجمعه الكبير صلى معهم وشاركهم في أمور

---

(1) قدم سماحته الآخرة على الدنيا عمداً: (ربنا آتنا في الآخرة الحسنة).

كثيرة لإعادة اللحمة بين السنة والشيعة والعودة إلى مسميات القرآن (هو الذي سماكم المسلمين من قبل).

والتقى قادة وعلماء البهرة في الهند وألقى عدة محاضرات في مساجدهم ومراكزهم العلمية وجامعاتهم واستضافهم في دمشق وتم الحوار لإرساء قواعد ثابتة تجمع ولا تفرق، توحد ولا تمزق تحت مظلة القرآن الكريم وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام كما التقى قادة بعض التيارات الإسلامية في تونس والجزائر وأقنعهم بحسن العلاقة مع الحكام والشعب واستفاد الكثير الكثير من حكمته وخبراته الواسعة لجمع الكلمة وتوحيد صفوف دعاة التيارات الإسلامية.

أما الحوار الإسلامي ـ المسيحي:

فقد أرسى جسور التعاون والحوار في كل المؤتمرات التي شارك فيها في الفاتيكان والولايات المتحدة الأمريكية وفي لبنان والأردن ومصر وليبيا واستطاع عبر الحوار استنطاق كادرينال النمسا بأن محمداً وعيسى رسولان من عند الله ﷻ وعبر وثيقة مكتوبة في ألمانيا توصل إلى اعتراف بأن الإسلام دين سماوي وأن محمداً رسول من عند الله ﷺ.

واستضاف العديد من القساوسة وكبار رجال الدين المسيحي في مجمعه بدمشق وألقوا الكلمات التي يعترفون بها بحكمة الشيخ في حسن عرضه الإسلام الذي يعترف بنبوة عيسى عليه السلام وأنَّ أمه قديسة.

وألقى العديد من المحاضرات في النمسا وسويسرا وإيطاليا واليونان بحضور رجال الدين المسيحي وفي مؤتمرات تضم الأديان السماوية

والوضعية وحاور اليابانيين واستطاع إقناع بعض الطوائف الدينية في اليابان الذين يؤمنون بالإله الواحد بالقاسم المشترك بينهم وبين الإسلام وخاصة (طائفة أوموتو) وجاؤوا إلى دمشق وصلوا مع المسلمين وصاموا رمضان كله ثم ذهبوا معه إلى العمرة بضيافة خادم الحرمين الملك فهد رحمه الله وشهدوا أمام جمع غفير من المسلمين بأن الله واحد أحد وأن محمداً رسوله ﷺ وإن ما قام به من حوار مع الإخوةِ المسيحيين أزعج بعض المتشددين وقاموا بحملة تشكيكية واتهموه بكثير من الألفاظ والألقاب ولكنه لم يكترث واستمر في حوار هادف هادئ لاستمرار التعايش مع المسيحيين في القطر وخارجه وتبين مع مرور الأيام أن العلامة الشيخ أحمد كفتارو تغمده الله بواسع رحمته كان يستقرئ الأحداث، ويخفف الهجمة على الإسلام والمسلمين من خلال الأصدقاء الذين حاورهم عبر اللقاءات والمؤتمرات وهم الذين وقفوا ضد تيارات الأصولية المسيحية الصهيونية في عالم الغرب وكان المثال الذي يحتذى في كل كتبهم ومحاضراتهم هو فكر وحكمة سماحته عبر التلفاز والمحاضرات في أوروبا وأمريكا.

3 ـ المذهبية:

قال في حوار مع الأستاذ وحيد تاجا عندما سأله عن تعددية المذاهب (أنا شخصياً من بداية نشأتي والمدرسة التي نشأت فيها هي البعد عن تعددية المذاهب والمدرسة مدرسة والدي فوالدي كان من كبار العلماء والمربين ربى الكثير من رجالات دمشق من وزراء وقضاة وحكام وعلماء وكان له مذهب واحد هو مذهب القرآن الكريم المشروح بسنة النبي ﷺ التي هي أقواله

وأعمالـه وطريقتـه في بنـاء الإسـلام مـع احـترام كـل المجتهـدين والعلـماء السابقين)[1].

فالمذهبية عنده تعصب أعمى وتعتبر جموداً فقهياً، ويـدعو إلى العـودة إلى القرآن الكريم والسنة والأخذ بكل الآراء المتوافقة مع الدليل والمستنبطة استنباطاً حقيقياً مع احترام لهذا التراث الفقهي الضخم وتقدير كامل لكـل المجتهدين فهي تبقى آراء وأحكاماً غير مقدسـة ولكـن يـسترشد بهـا بفقـه التيسير الذي يؤخذ من كل المدارس الفقهية المختلفة.

وعمل جاهداً لنشر الفقه المقارن في كلياته ومعاهده للوصول إلى الـرأي الأصوب ويقرر في نهاية المطاف قاعدة ذهبيـة أجمـع عليهـا الفقهـاء (إذا صـح الحديث فهو مذهبي) فهو ليس مـن دعـاة اللامذهبيـة كـما يفهمـه الـسلفيون ولكنه لا يتعصب لمذهبه (الشافعي) ولا يفاضل بـين الأقـوال إلا مـع الـدليل علماً أنه يطالب الناس باتخاذ مـذهب للـتعلم ويناشـد العلـماء مـراراً وتكـراراً بالأخذ بكل الأقوال المعتمدة على الدليل الصحيح لنشر (فقه التيسير) ولرفـع الحرج عن الأمة.

ويدعو إلى الاجتهاد في الأمور الطارئة والمستجدة وشارك في مـؤتمرات للفقه في دولة الإمارات والكويت ومصر والمملكة العربية الـسعودية كـما يؤكـد على إصدار اجتهادات لفقه الحياة ليتعايش الفقه مـع العـصر ضـمن ثوابـت وأدلة صحيحة.

---

(1) الخطاب الإسلامي المعاصر (حوار وحيد تاجا).

4 ـ التربية الروحية:

إن التربية الروحية (التصوف) تتسم عند المربي العلامة الشيخ أحمد كفتارو تغمده الله برحمته بأنَّها جزء من الإسلام وليست هي كل الإسلام، فالتربية الروحية القرآنية، والتربية الروحية النبوية هي أهم مرتكزات دعوته، كما يدعو إلى نبذ مصطلح التصوف إذا كان عائقاً أمام توحيد صفوف دعاة الأمة والعودة إلى مصطلحات القرآن في (التزكية) ويطرح أدلته القرآنية والنبوية المستفاضة وقد جمعتها في كتابي (التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين).

فلقد ربى تلامذته ومريديه على صوفية لا شطح فيها، وتزكية متزنة مع فكر إسلامي متوازن مع نزعة عقلية محاطة بتقديس لنص القرآن والسنة الصحيحة وأن للعقل دوراً أساسيّاً في استنباط الأحكام وليس في الهيمنة عليها؛ وأرسى قواعد الإخلاص في العبادات (الفرائض) وصرح في العديد من محاضراته بأن المسلم إذا توصل إلى الصلاة الحقيقية تقوم مقام الأوراد الزائدة، فالتربية الروحية في مرتكزات مدرسته وسيلة لا غاية، ومن أكبر الوسائل المعينة على تهذيب النفس، وتطهير القلب، وشحذ الهمة والترفع عن المعصية وتتلخَّص عنده بالذكر الكثير لله ﷻ والاستغفار وتلاوة القرآن وكثرة الصلاة على النبي محمد ﷺ وذكر الصالحين والاستفادة من تجربتهم الروحية أمثال الحسن البصري وعبد الله بن المبارك والجنيد والغزالي والإمام المجدد أحمد الفاروقي السرهندي وغيرهم من كبار العارفين والعلماء المخلصين.

وفي مدرسته مرتكزات أساسية في الدفاع عن الصوفيين الذين اتهموا بوحدة الوجود والحلول والاتحاد مع النفي الكامل لهذه الطروحات والاستدلال بأقوال علمية لدحض هذه الاتهامات عن الشيخ محيي الدين والسهروردي والحلاج والجيلي وابن الفارض وأبي يزيد البسطامي فهو بهذا يدافع عنهم ولا يقبل الخوض في اتهاماتهم ولا يدافع عن هذه الطروحات المخالفة للقرآن والسنة.

السلفية

إن اختلاف الأمة دعا إلى مسميات كثيرة وبدأ الأشاعرة بالتسمية أنهم أهل السنة والجماعة في العقائد، وقد أطلق الاسم عليهم البغدادي وعندما تعددت الآراء حول العقيدة الإسلامية وتعددت المذاهب فرأى فريق من أئمة المسلمين أن يردوا كل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية إلى طبيعتها الأولى حسب ما كانت عليه في أيام الصحابة والتابعين، وينهلون من نبعها الأصلي الكتاب والسنة، فنهج هؤلاء الطريقة التي كان يتبعها السلف الصالح ولذلك أطلقوا على أنفسهم لقب السلفيين وهم أتباع أحمد بن تيمية في القرن السابع وكانوا في الأصل أتباع أحمد بن حنبل ﷺ، وأكدوا على التوحيد بما يخالف الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والشيعة وليس للعقل سلطان بعد ذلك فهو في التصديق والإذعان..

فالعقل شاهد ولا يكون حاكماً ويكون مقرراً مؤيداً لا يكون ناقضاً ولا رافضاً، وأما الصفات فإن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فأثبتوا له صفة المحبة والغضب والرضا والسخط والكلام والاستقرار على العرش والنزول، كما أثبتوا الوجه واليد ولكن بغير كيف أو تشبيه.

وجمهور السلفية انفردوا وتشددوا بالمنع للتوسل بالأنبياء والأولياء وعدوه نوعاً من الشرك (وسووا أضرحة الصحابة بالأرض).

وبعضهم لم يقل بمذهب أحمدبن حنبل بل مذهبهم يتوصلون إليه من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وينهلون منه مذهبهم مباشرة.

ثم ظهرت الوهابية نسبة لمحمد بن عبد الوهاب وهي امتداد لمذهب السلفية الذي كان على رأسهم أحمد بن تيمية وحرم التدخين وهدم شواهد القبور وحرم شرب القهوة والتصوير ودعا إلى نشر دعوته بالسيف وانتشر في الجزيرة العربية وامتد إلى البنجاب وشمالي الهند والجزائر ومصر على يد محمد عبده واهتمت الحركة بالتوحيد الخالص من كل شائبة ومحاربة البدع.

ولم يكتفوا بإنهاء البدع بل كفروا المعتزلة والشيعة والأشاعرة والماتريدية وأنكروا التصوف وهاجموه وكفروا ابن عربي والغزالي.

قال الشافعي رحمه الله: كل ماله مستند من الشريعة فليس ببدعة وإن كان محدثاً.

ابن الحاج وابن تيمية قالوا عن الاحتفال بعيد المولد ليس بدعة بل يثاب عليه بالقصد.

السلفية حركة متشددة للعودة إلى الأصول ويؤكدون على الأحاديث التي تظهر مفاهيمه (كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)، وحديث: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)، وخرج منه المتشددون وبضاعتهم بالأصول وأسباب النزول ومقاصد الشريعة مزجاة.

فقال ابن عمر ﷺ عن أمثالهم: (عمدوا إلى آيات من القرآن نزلت في الكفار فطبقوها على المؤمنين)، فاتهموا المسلمين بالبدعة والضلال والشرك والتكفير.

وفي التوحيد هاجموا الأشاعرة الذين قالوا بالمجاز والتأويل، ونفوا التأويل في الصفات واعتبروهم نفاة ومؤولة وشرخوا بنيان الأمة بشدتهم وغلظتهم..

وأكدوا على بعض السنن الظرفية (كاللباس) وحرموا الذكر الجماعي حتى زيادة الأوراد التي كان الصحابة يزيدون فيها كأبي هريرة وابن مسعود وغيرهم.

وعبد الهادي عبد الرحمن في كتابه سلطة النص: (يقول عن حديث «كل بدعة ضلالة»: إنّ بعض الفقهاء (السلفية) قد شددوا في كل بدعة فلم يحددوها في العبادات وأطلقوها لتسود الحياة الفكرية كلها، حتى السلوك الاجتماعي ويقول: إن حدود البدعة عند الوهابيين على سبيل المثال واسعة جداً فلقد اعتبروا وضع الستائر على الروضة الشريفة بدعة.

عقيدة السلفية:

إن الله سبحانه وتعالى على العرش فوق السماء السابعة دون حجب من نار ونور وظلمة بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. رواه عبد الله في السنة 5/ 72.

قال ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص84) صح عنه صحة قريبة من التواتر ودليلهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (الأنعام: 114).

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: 4).

السلفية يعتبرون الأشاعرة من المعطلة من أهل الكلام (ص49) صفات رب البرية على منهج السلفية يؤمنون بالصفات الإلهية بلا تعطيل ولا تشبيه بل إثبات منهج السلفية مع التنزيه.

لا يؤمنون بالتأويل للأسماء والصفات. إثبات اليد والوجه، والإصبع واليمين، والقبضة، العين،الساق، الرجل والقدم والسلف أقوال: (في كون الكرسي موضع قدمه جل شأنه)، النفس النزول، الاستواء، المجيء، (الغيرة).

حتى إنهم جاؤوا بقول مسند إلى عبد الله بن أحمد (الكرسي تحت العرش والله واضع رجليه على الكرسي).

السلفية يقدمون النص على العقل ولا يسمحون بالتأويل في النص وإنما يفهمون النص حسب اعتقادهم بلا دليل.

يهاجمون علماء الكلام والمنطق والفلسفة ويعتبرونها بدعة في الدين، ويجب أن يسعنا ما وسع الصحابة الكرام فهم أعلم وأحسن وأصوب ويعترضون على من قال: إن طريقة السلف أسلم وإن طريقة الخلف أعلم وأحكم.

قال عثمان ﷺ: الحمد لله الذي دنا في علوه، وعلا في دنوه، لا يبلغ شيء مكانه ولا يمتنع عليه شيء أراده.

ينفون التأويل فقال ابن تيمية: أما دعوى المجاز فلا يمكن أن تسمع، فإن اللفظ المستعمل في معنى بطريق الحقيقة لا يجوز صرفه عن معناه إلى معنى آخر بطريق المجاز إلا إذا اجتمع له أمور أربعة: العرش هو سرير ملكه الذي اتفقت عليه الرسل وأقرت به الأمم.

السلفية مشبهة العرش السرير والكرسي موضع القدمين أين تنزيه الله تعالى عن المشابهة (ليس كمثله شيء)، ويهتمون بالتكفير لكل المسلمين الذين لا يؤمنون بكل ما جاؤوا، ويؤكدون على منع التوسل حتى بالرسول ﷺ.

ويؤكد كثير من العلماء أنهم مجسمة للصفات وخاصة في وصف المقام المحمود لرسول الله ﷺ: (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً).

أن المقام المحمود هو قعوده ﷺ مع ربه على العرش (ص 53) براءة الأشعريّين.

قال القرطبي: يقول بعض العارفين فئة لم تظهر في زماننا وستظهر في آخر الزمان تلعن العلماء وتسب الفقهاء.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى(3/ 46، 47) ما الفرق بين قولنا الله عليم على الحقيقة أو قولنا لله يد على الحقيقة، أو لله نزول على الحقيقة.

بينما كلام أهل السنة: جميع الصفات الإلهية تعود إلى الصفات العشرين الأم المحكمة.

قال أمير المؤمنين علي ﷺ: إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته.

وقال أيضاً: قد كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان[1].

قال الرسول ﷺ: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فهم الذين عنى الله فاحذروهم[2].

ويقول الدكتور سعيد البوطي: اختراع مصطلح (السلفية) بمفاهيمه الجديدة بدعة طارئة في الدين والسلف الصالح الذي تنتسب إليهم كلمة السلفية لم يجمدوا في قرونهم الثلاثة.

---

(1) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص333.

(2) أخرجه البخاري، 4547، ومسلم، 2665.

قال الدكتور سعيد عن ابن القيم قسم الآراء إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ رأي باطل بلا ريب ثم قسمه إلى خمسة أنواع:

1 ـ ما خالف النص.

2 ـ ما كان كلاماً في الدين بالخرص والظن.

3 ـ ما كان متضمناً تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله.

4 ـ ما كان متسبباً في إحداث البدع.

5 ـ ما كان قولاً في الدين بالاستحسان والظنون.

2 ـ رأي محمود بلا ريب وقسمه إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ ما كان من رأي فقهاء الصحابة وعلمائهم.

2 ـ وما كان مأخوذاً من النص.

أما الرأي الثالث فما كان محل نظر واشتباه (إذا كثر المجاز لحق الحقيقة).

وقسم العلماء التأويل إلى تأويل قريب، وتأويل بعيد، وتأويل محتمل.

والبدعة كما عرفها الشاطبي: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله ﷻ[1].

وعرفها أيضاً: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية[2].

قال ابن تيمية: إن العالم قديم بالنوع حادث في العين، وقال: إن الأشياء قد أودعت فيها قوى فهي تؤثر بها في المسببات. يقرر ابن تيمية بالمذهب الارسطاليسي.

---

(1) الاعتصام، 1/ 30.

(2) المصدر نفسه، 1/ 33.

ويقول: من الناس من ينكر القوى والطبائع، كما هو قول أبي الحسن (الأشعري) ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهؤلاء المنكرون للقوى والطبائع ينكرون الأسباب أيضاً، ويقولون: إن الله يفعل عندها لا بها، فيقولون إن الله لا يشبع بالخبز، ولا يروى بالماء، ولا ينبت الزرع بالماء بل يفعل عنده لا به، وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة وإجماع السَّلَف (وهكذا) مع مخالفة صريح العقل إلى أن قال: والناس جميعاً يعلمون بحسهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب لبعض"[1].

قال ابن حجر: ولم يكن شيء غيره.. رواية أبي معاوية: كان الله قبل كل شيء وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب وهي من مستشنع المسائل المنسوبة إلى ابن تيمية فالأول هو الذي يمنع في حقه القدم أما الثاني فقديم مع الله ﷻ: لا إجماع على كفر من يقول بقدم المادة نوعاً المادة الأولى للمكونات كانت قديمة ولم تستخدم وأنها تشترك مع الله اشتراكاً ذاتياً في صفة القدم.

بل يزيدنا ابن تيمية تعجباً واستغراباً عندما يقول بأن تكفير القائلين بهذا الرأي لم يأت عليه دليل صريح لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ.

يهاجم ابن تيمية ابن حزم في قوله: الإجماع على كفر من نازع في أنه سبحانه لم يزل وحده لا شيء معه ثم خلق الأشياء كما شاء ومعلوم أن هذه العبارة على حد ابن تيمية نتيجة ليست في كتاب الله ولا تنسب إلى رسول الله ﷺ.

---

(1) الرد على المناطقة، مجموع الفتاوى، 9/ 287.

واستنتج المؤلف الدكتور محمد سعيد البوطي أن السلفية نسبة إلى السلف وقد علمنا أن المراد بالسلف المسلمون من أهل القرون الثلاثة الأولى في صدر الإسلام ومن ثم قال: إن الكتاب والسنة بمنهجهما الذي يجب فهمهما والعمل بهما على أساسه هو الميزان المحكم والحجة على السلف وغيرهم وليس السلف هم الحجة الغالبة عليهم.

ويرد على القائل: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم. فإذا كانت طريقة السلف والخلف مندرجة داخل القواعد المتفق عليها أو المختلف فيها في تفسير النصوص فإن جميع اختلافاتهم تلك داخلة في طريقة واحدة بحمد الله ﷻ.

وإن السلف الصالح لم يخطر ببالهم أن يكون مذهباً منفصلاً عن غيرهم بل هم من أهل السنة والجماعة الذين اعتمدوا المنهج الإسلامي من مصادره الأساسية الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الصحابة والتابعون.

وبدأ هذا الشعار (السلفية) في مصر وفي عهد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وكان يعني الدعوة إلى نبذ كل هذه الرواسب التي عكرت على الإسلام طهره وصفاءه من بدع وخرافات وتقوقع في أقبية العزلة وبعد عن الحياة، ثم راجت كلمة السلف والسلفية بين أقطاب المذهب الوهابي ثم يؤكد على مفهوم أهل السنة والجماعة وهو خير من ابتداع فكرة (السلفية) والسلفي اليوم هو كل من تمسك بقائمة من الآراء الاجتهادية المعينة ودافع عنها وسفه الخارجين عليها ونسبهم إلى الابتداع.

وينتهي إلى القول بأن السلفية مذهب جديد مخترع في الدين وأن بنيانه المتميز قد كونه أصحابه من طائفة من الآراء الاجتهادية في الأفكار الاعتقادية

والأحكام السلوكية اقتلعوها وجمعوها من مجموع آراء اجتهادية كثيرة مختلفة قال بها كثير من علماء السلف وخيرة أهل السنة والجماعة وكل من تحول عنه إلى آراء اجتهادية أخرى منهم مبتدعون تائهون.

فالسلفية تتحكم فيها مقولات واجتهادات سلوكية واعتقادية حاولت أن تتميز عن كل المذاهب الإسلامية علماً أن الكثير منها يدعي الاتباع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ومتابعة ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي، ولكن السمة السلبية هي كونها تعتمد على التكفير الفوري والوصف بالزيغ والتفسيق والابتداع والإشراك لكل من خالفها، بالإضافة إلى عدم القدرة على الحوار مع الآخر المؤمن بالمصادر الإسلامية المتفق عليها مع غلظةٍ وشدة وتنفير من كل الآراء الأخرى التي لم يعتمدها ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ومن تبعهم كابن باز وابن عثيمين وغيرهم.

وقد حذر الله ﷻ من مغبة هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: 159)، وهم يقعون بما حذر الله ﷻ نبيه ﷺ من الفظاظة والغلظة مع مخالفيهم.

الالتزام بحرفية الأقوال والأعمال والتصرفات والعادات التي كان السلف يلتزمونها ويمارسونها دون زيادة عليها ولا نقصان منها ولا تغيير لها.

والأنانية الجماعية التي يتميزون بها وتحمل الاستبداد الفكري دون حق النظر والاجتهاد لغيرهم، ويكفرون كل المذاهب والفرق الأخرى كالشيعة والخوارج والإباضية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية.

من هؤلاء السلفية أكدوا على اللامذهبية واعتبرها الدكتور محمد سعيد البوطي أخطر بدعة تهدّد الشريعة الإسلامية وأفرد في الرد عليها كتاباً كاملاً سماه (اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية).

المذاهب أمور مبتدعة حدثت بعد القرون الثلاثة فهي ضلالة بدون شك هذا ما قال الكراس: هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة.

وعزا تأليفه إلى محمد سلطان المعصومي الخجندي المكي المدرس بالمسجد الحرام بين تكفير من التزم مذهباً معيناً من المذاهب الأربعة ونعت المقلدين للأئمة المجتهدين بالحمق والجهل والضلال.

الذهبي يثني على فقهاء المذاهب الأربعة ويقرهم على الأخذ من أئمتهم والتزام اجتهاداتهم.

وإن رد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي جزاه الله كل خير على هنات ناصر الألباني ومحمود مهدي إستنبولي وخير الدين وانلي وعيد عباس وحول رده على الخجندي كان فيه الدليل والحجة الكافية على الفكر السلفي الذي يحاول تمزيق الأمة بدعوتها إلى أتباعها لنبذ فكرة التقليد في المذاهب ويا ليتهم دعوا أتباعهم للوصول إلى درجة الاجتهاد ليتمكنوا من استنباط الأحكام من أدلتها مباشرة وبذلك يستغنون عن اتباع المذاهب المختلفة ولكنها دعوة ضالة ومضلة لإشاعة الفوضى الفقهية والاجتهاد بدون أن تكون لهم الملكة الاجتهادية بأصولها المدونة في أصول الفقه.

وأثبت أن السلفية بدعة يراد بها تشتيت الأمة وخاصة ما يحملونه من التكفير والتفسيق لكل من لا يرى وجهة نظرهم، ويحملون مبدأ التعصب لآرائهم بدون أن يضعوا لها منهجاً علمياً يصلون به إلى الحق.

وأتى بأدلة من بعض من يعتمدون عليهم كابن القيم وغيره على بطلان دعوتهم بأن أئمة الفقه غير معصومين والعودة إلى المعصوم أولى والاقتداء

مباشرة بالنبي ﷺ وبهذا يشعرون الناس أن الأئمة أتوا بدين جديد ولم يأتوا بأدلة قرآنية ونبوية لأحكامهم.

وبذلك وافقوا ما قاله المستشرق شاخت حول الأحكام الفقهية بأنها أفكار لبعض العلماء ابتدعوها وليست من أصول الإسلام الكلية.

وخلاصة الأمر أن السلفية حاولوا زرع الفتن في كل مكان يحلّون به:

1 ـ منع التوسل بالرسول ﷺ.

2 ـ قالوا بالاجتهاد لكل أتباعهم دون تقييد.

3 ـ قالوا بالتجسيم بالصفات وخلطوا بين الصفات والجوارح.

4 ـ هجومهم على الأشاعرة والماتريدية.

5 ـ هجومهم على التصوف.

6 ـ بالغوا بالتكفير والتفسيق وبالغوا بالبدعة.

7 ـ اتهموا الناس بالإشراك والقبوريين.

8 ـ هاجموا الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ثم عملوا فيه وجاءت آراؤهم فيها ما يدل على تخبطهم في مشاركة الفلاسفة بقدم المادة واستدلوا بأحاديث مما اضطر ابن حجر ليعتبرها من تشنيعات ابن تيمية.

9 ـ ابتدعوا مصطلحات في العقيدة لم تكن من السلف الصالح (الربوية، الألوهية في التوحيد).

10 ـ خالفوا أحمد بن حنبل في كثير من فقهه وتأويلاته.

11 ـ اعتبروا السلفية مذهباً خاصاً بهم دون وضع أي أصول له إلا كلاماً عاماً يوهم العامة صحته.

12 ـ هاجموا أبا حنيفة واعتبروه مرجئاً واعتبروا فقهه كالإنجيل المحرَّف.

13 ـ صححوا بعض الأحاديث الضعيفة وضعفوا بعض الأحاديث في البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة الحديث بلا ضوابط إلا أنه يوافق مذهبهم أو يخالفه.

14 ـ اتصفوا بالجمود والحرفية بالنص مما أدى إلى الاستشهاد بآيات جاءت بحق الكفار سحبوها على المسلمين ليصلوا إلى تكفير المجتمع كله.

15 ـ من عباءتهم خرج بعض المتشددين والغلاة وجماعات التكفير والإرهابيين الذين أدوا إلى حملة شعواء ضد الإسلام والمسلمين ومزقوا جماعة المسلمين وأضعفوا الصحوة الإسلامية.

16 ـ خلطوا بين السنن العرفية والسنن الشرعية في اللباس والمأكل والعادات والعرف الاجتماعي.

دراسات إيجابية وسلبية عن المعتزلة

نشأت في القرن الثاني الهجري وأكثر الأقوال أنها تنسب إلى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ويعتبرهم زهدي جار الله مدرسة فكرية وليست فرقة.

وأحمد أمين يعيد فكرة وعقيدة المعتزلة إلى فرقة يهودية اسمها الغروشيم.

وأكد أحمد أمين بأن: المعتزلة تقول بأن ليس كل الأفعال خلقها الله تعالى، ولذلك كانو يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد[1] لأنهم يصرون على العدالة الإلهية والدفاع عن مبدأ الوحدانية.

ويسمون القدرية وأخذوا عن معبد الجهني وغيلان الدمشقي.

ولذلك قال زيد بن علي ﷺ: أبرأ من القدرية الذين حملوا ذنوبهم على الله تعالى، ومن المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله ﷻ[2].

المقريزي يعتبرهم من الثنوية لأنهم يقولون: إن الله تعالى يخلق الخير وإن الشيطان يخلق الشر[3].

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد اعتبرهم من الجهمية لأنهم أخذوا منهم أقوالهم في خلق القرآن ونفي الصفات والرؤية (لله تعالى) وقد أنكر جمال الدين القاسمي هذا الاسم عليهم وكذلك ابن تيمية وابن القيم وأهل السنة يطلقون على الجهمية الأولى ونفاة الصفات اسم المعطلة.

---

(1) المنية والأمل، ص2، للمرتضى.

(2) نفس المصدر، ص12.

(3) تأويل مختلف الحديث، ص5.

لقد تأثرت المعتزلة بالفكر اليهودي والمسيحي ومن ذلك تأثرهم بـ لبيد بن الأعصم عدو النبي ﷺ وكان يقول:بخلق التوراة، ومنها أخذها المعتزلة ومن الذين ساهموا بنشر أفكار المعتزلة بشر المريسي وكان أبوه يهودياً وهو من المرجئة ومعتزلي العقيدة.

ومن الذين ساهموا بفكر الاعتزال والمعتزلة المغيرة بن سعيد العجلي وكان من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي وكذلك سرجون بن منصور وابنه يحيى الدمشقي وخلفه ثيودور أبي قرة وكان يحيى الدمشقي يقول: بأن الخير من الله والقول بالأصلح ونفي الصفات والأسماء كما تعرض للمجاز والتأويل وكان من دعاة حرية الإرادة الإنسانية.

وقال أبو الهذيل (معتزلي): العالم قديم أي كان ساكناً ثم خلقه الله بأن جعله متحركاً وسيفنيه تعالى بإعادته إلى ما كان عليه من الهدوء والسكون.

واتهم البغدادي المعتزلة بأنهم قالوا: بأن المعدوم شيء وكانوا يضمرون قدم العالم ولما لم يجسروا على إظهاره قالوا بما يؤدي إليه، فالخلق عندهم ليس سوى الإيجاد لا إخراج شيء من لا شيء[1].

القرآن مخلوق، وجرت المحنة على العلماء الذين رفضوا القول بأن القرآن مخلوق، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره.

أما القدرة على العمل هي واقعة بقدرة العبد وحدها بالاستقلال بلا إيجاب بل باختيار.

وقالت طائفة من المعتزلة هي واقعة بالقدرتين معاً.

---

(1) أصول الدين للبغدادي، ص91.

وقال النظام عندما حضرته الوفاة: اللهم إن كنت تعلم أني لم أقصر في نصرة توحيدك، ولم أعتقد مذهباً من المذاهب اللطيفة إلا لأشد به التوحيد فما كان منها يخالف التوحيد فأنا منه بريء، اللهم فإن كنت تعلم أني كما وصفت فاغفر لي ذنوبي، وسهل علي سكرة الموت[1].

المعتزلة والصفات:

الجعد بن درهم أول من نفى الصفات، وابن حزم يخطئ من يطلق على الله لفظ الصفات، ويؤكد على أن أسماء الله كالقوي والعليم والسميع والبصير هي أسماء مشتقة من صفات ذاته، والكلام في الصفات عنده بدعة منكرة اخترعها المعتزلة والرافضة.

واصل بن عطاء قال: إن من أثبت لله تعالى معنى أو صفة قديمة فقد أثبت إلهين[2].

وأما الشهرستاني قال: كان المعتزلة لا ينكرون الصفات لوجوه واعتبارات عقلية لذات واحدة، ولكنهم ينكرون إثبات صفات هي ذات موجودات أزلية قديمة قائمة بذاته فالله عالم بذاته، وليس بعلم زائد على ذاته.

وأبو هاشم: ادعاها أحوالاً وكل محاولاتهم الدفاع عن وحدانية الله تعالى وإثبات ذات واحدة لا تركيب فيها ولا انقسام، وهذا القول هو قول الماتريديَّة بأن الصفات هي صفات الذات وليست زائدة على الذات فقالوا عالم بذاته، قادر بذاته.

---

(1) الانتصار للخياط.

(2) الملل والنحل، ج1، ص53.

ونفى المعتزلة عن الله الإرادة أنها قديمة بل هي محدثة في المحل المراد ونفى المعتزلة (السمع والبصر) ورأي الأشعري أن المعتزلة قلدوا النصارى في هذا النفي.

خلق القرآن:

ولكونهم ينكرون قدم الصفات لله ﷻ فقد قالوا بأن كلام الله محدث والله متكلم لا بكلام قديم بل بكلام محدث.

قال المأمون الذي انتصر للمعتزلة: إن الذين يقولون القرآن غير مخلوق ملحدون مشبهون لأنهم يصفون خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده. ودليلهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ (الزخرف: 3)، فكل ما جعله الله فقد خلقه وقال عنه إنه لقرآن مجيد في لوح محفوظ فهذا يدل على إحاطة اللوح المحفوظ بالقرآن ولا يحاط إلا بالمخلوق.

الرؤية السعيدة:

يعتقد أهل السنة والجماعة بأن أهل الجنة يرون ربهم يوم القيامة واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: 22 ـ 23).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ (الأحزاب: 44).

يرى الأشعري أن المؤمنين إذا لقوا ربهم رأوه[1]، وأن الكفار يحجبون عن الرؤية، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: 15)، والمعنى المخالف بأن المؤمنين يحظون برؤية الله ﷻ ولا يحجبون عن رؤيته.

---

(1) الإبانة.

وقال رسول الله ﷺ: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، صحيح البخاري، وأشار إلى البدر.

وفي رواية: سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، رواه البخاري.

بينما المعتزلة ومن قال بقولهم كالشيعة والإباضية: نراه بالقلوب بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ (الأنعام: 103).

وأولوا قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: 23)، بالانتظار لثواب الله ﷻ لا نظر للرؤية.

وأما المعتزلة فقد نفوا الجهة، قال المعتزلة إن الله لا في مكان وذهب أكثرهم أنه تعالى في كل مكان قالوا في كل مكان أي عالم بما في كل مكان مدبر له لا على معنى الحلول به بالذات وتأوّلوا الآيات الكرسي أي علم الله تعالى والاستواء الاستيلاء والملك والقهر.

العدل الإلهي:

إن من مقتضى العدل الإلهي أن يعطى الإنسان الحرية الكاملة في اختيار عمله فالإنسان عند المعتزلة فاعل مختار حر الإرادة، يتصرف بهذه القدرة التي منحته إياها العناية الإلهية كما يشاء، ويوجهها حسبما يريد ويستغلها في خلق أفعاله.

فهم يثبتون للإنسان القدرة وصلاحيتها في الخلق والإيجاد.

وقالوا: إذا كانت أفعال العباد من خلق الله فما هي حاجة إرسال الرسل وحاجة الرسل للبيان للناس الخير من الشر، والهدى من الضلال.

أخذوا من أرسطو أنَّ الله ليس مطلق التصرف بفعل ما يريد بل هو نظام. والنظام يحتم على الله ألا يفعل إلا الأصلح ولا يقدر على القبح، بل قالوا بوجوب الأصلح والصلاح لله ﷻ، وقد أخذوا هذا عن اللاهوت المسيحي وهذا قول كريمر وماكدونالد يرى أن القدر ضرورة عقلية.

وبشر بن المعتمر بدل كلمة الأصلح باللطف وهاجمه المعتزلة.

لقد عظموا العقل حتى جعلوه قبل الشرع والنظام، قال: الإنسان قادر بعقله إلى معرفة الخالق قبل ورود الشرع أما العبادات تدرك بالسمع (النص) لا بالعقل.

واتهم علماء المعتزلة بادعاء الربوبية لقولهم: (ما شئنا فعلنا).

ومن الإيجابيات التي ساهم المعتزلة بها احترامهم للعقل وقولهم بحرية الإرادة والرأي ولكن أفعالهم وتصرفاتهم في المحنة التي قاموا بها معتمدين على السلطة الحاكمة في عصر المأمون أضاعت جهودهم العقلية والحرية التي نادوا بها ثم اختلفوا فقال ابن قتيبة: لا يجمع اثنان من رؤسائهم في أمر واحد في الدين ولقد عملوا كل جهدهم للرد على الزنادقة والدهرية والملحدين فقال الخياط: وهل على الأرض أحد رد على الدهرية إلا المعتزلة.

قال آدم متز: الشيعة من حيث العقيدة هم ورثة المعتزلة.

وسمى أحد المستشرقين المعتزلة: رجال الفكر الحر في الإسلام، وحاولوا التوازن بين إفراط المرجئة وتفريط الحنابلة وأهل السنة والجماعة لا يمكن أن نوافِقَ المعتزلة على كثير من أقوالهم التفصيلية وترهاتهم الفلسفية ومهاتراتهم السفسطائية، ولابد لنا من الإقرار بروحهم النقادة التحريرية الجريئة التي تحب الفلسفة وتطلب الاعتدال والعدالة، وتريد التجدد، وتمجد

العقل، وتقدس الحرية وتنقي مبدأ الوحدانية من شوائب التجسيم والتشبيه وتعمل لنقاء التنزيه لله ﷻ..

الأصول الخمسة عند المعتزلة:

1 ـ التوحيد:

وأول صفاته القدرة والقدم والعلم والحي والسميع والبصير والموجود مريد بإرادة وأولوا: (أنزله بعلمه) أي وهو عالم به ونفى المعتزلة عن الله الجسم وهذا يوصل إلى نفي الأعضاء والجوارح كاليد والرجل والعين وكذلك نفوا عنه الهبوط والنزول والحركة والسكون والانتقال من مكان إلى مكان واستدلوا بقولهم لو كان جسماً كان محدثاً ولو كان جسماً كان متحيزاً، والاستواء بمعنى الاستيلاء والغلبة واختص الله العرش لأنه أعظم ماخلق الله تعالى فلهذا اختصه بالذكر.

قال الخياط: إن المعتزلة هم وحدهم المعنيون بالتوحيد والذب عنه من بين العالمين، وإنَّ الكلام في التوحيد كله لهم دون سواهم[1].

وكذلك نفى الرؤية لأنه ليس جسماً، ولا يرى لا في الدنيا وفي الآخرة وناظرة عندهم في الآية بمعنى الانتظار.

ويورد قول علي كرم الله وجهه: وقد قيل لعلي ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: ما كنت لأعبد شيئاً لم أره، فقيل: كيف رأيت؟ فقال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان وموصوف بالدلالات، معروف بالآيات، هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم[2].

---

(1) الانتصار، للخياط، ص13 ـ 14.

(2) شرح الأصول الخمسة، ص270، للقاضي عبد الجبار.

والمراد أن يصلوا إلى تنزيه الله بالعقل وتأويل النصوص، واعتبروا الآيات التي تحمل معاني التشبيه مجازية.

2 ـ الأصل الثاني العدل:

والعدل هو كلام يرجع إلى أفعال القديم تعالى جل وعز وما يجوز عليه وما لا يجوز وإذا وصفنا الله بأنه عدل حكيم فالمراد به أنه لا يفعل القبح أو لا يختاره ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة ولا يختار القبيح بحال، لأنه مستغن بالحسن عن القبيح وأورد المعتزلة قوله لو فعل الله القبيح لكان يجب أن يكون جاهلاً أو محتاجاً، والجهل أو الحاجة لا يجوزان عليه تعالى فيجب أن لا يختار القبيح بوجه من الوجوه[1].

ويقولون في خلق الأفعال والكلام فيها أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها[2].

الجهمية: الأفعال مخلوقة لله تعالى فينا لا تعلق لها بنا أصلاً لا اكتساباً ولا إحداثاً وإنما نحن كالظروف لها والجهمية أصحاب جهم بن صفوان.

الأشاعرة قالوا: إنَّها مخلوقة فينا من جهة الله تعالى وإنَّ الإنسان يكتسب فعله من هذا الخلق، إذ يقارن قصد الإنسان وعزمه قدرة الله وخلقه للفعل وهاجموا فكرة الكسب عند الأشاعرة فمذهبكم في الكسب لا يعقل ولو عقل فإنه متعلق بالله تعالى فلا يبقى للفعل جهة تضاف إلينا[3].

---

(1) شرح الأصول الخمسة، ص317.

(2) نفس المصدر، ص323.

(3) نفس المصدر، ص333.

ويقول: إن قولكم لا يثبت لرسل الله تعالى حجة على الكفرة لأن الكافر يقول من أرسلك إلينا أراد منا الكفر، وخلقه فينا وجعلنا بحيث لا يمكننا الانفكاك عنه؟[1].

المعتزلة يأتون بأدلة من القرآن الكريم بأن الخلق كله في حالة عالية من الاتقان ويأتون بالشواهد، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (النمل: 88). وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (السجدة: 7).

وأساس المشكلة أن المعتزلة ينظرون إلى الأمر من ناحية تنزيه الله عن كل قبيح ويقيسون القبائح والظلم بما نعلمه من حياتنا ومعاملاتنا بينما ينظر الأشاعرة إلى تعظيم الله وعدم الإقرار بأن يكون في ملكه ما لا يريد لأن ذلك انتقاص من إرادته وقدرته والمناقشة بين القاضي عبد الجبار والإسفراييني حيث قال القاضي: سبحان الذي تنزه عن الفحشاء وأجاب الإسفراييني: سبحان الذي لا يجري في ملكه إلا ما يشاء[2].

3 ـ الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

ويشددون على أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب فلو لم يجب لكان لا يحسن الوعد والوعيد بهما.

ويجب على الله أن يعاقب الفاسق المرتكب للكبيرة بما توعده لأن الفاسق إذا علم أن سيعاقب على كل وجه كان أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب

---

(1) شرح الأصول الخمسة، ص334.

(2) حاشية شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، ص431.

الكبائر، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ (النساء، الآية 14.

وبالآية في سورة الجن: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ (الجن: 23).

ولكنهم أكدوا أن العاصي لا يجوز أن يدخل الجنة بتاتاً لأنه غير مستحق والفاسق عندهم يخلد في النار ويعذب فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين والشفاعة عندهم ثابتة للمؤمنين دون الفساق من أهل الصلاة خلاف ما تقول المرجئة.

4 ـ الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

وهو يبحث في الأسماء والأحكام أن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين لا يكون اسمه اسم الكافر ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً. وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان فليست منزلته منزلة الكافر، ولا منزلة المؤمن بل له منزلة بينهما[1].

ولذلك نجد القاضي عبد الجبار لا يسمّي صاحب الكبيرة مؤمناً خلاف ما يقول المرجئة ولا يسمي صاحب الكبيرة كافراً على ما يقوله الخوارج، والإباضية يقولون كفر نعمة ولا يجوز أن يسمى مؤمناً ثم يقول فلا نمنع من إطلاقه عليه مقيداً وصفه بأنه مؤمن بالله ورسوله واعترض أبو القاسم بآية قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ

(1) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ص698.

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ (الحديد 21)، وقالوا هذه الآية لا وجه لها فإن المعلوم أن المراد بالآية أن الجنة التي ذكرها الله تعالى إنما أعدها للذين آمنوا بالله ورسله بشرط أداء الواجبات واجتناب المحرمات.

فالإيمان عند أبي علي وأبي هاشم عبارة عن أداء الطاعات والفرائض دون النوافل واجتناب المقبحات وعند أبي الهذيل الإيمان هو عبارة عن أداء الطاعات والفرائض منها والنوافل واجتناب المقبحات وهو ما اختاره قاضي القضاة[1].

وهاجم النجارية جهماً لقوله: إنّ الإيمان هو المعرفة بالقلب وذلك مما لا يصح وكما هاجم الأشعرية لقولهم: إن الإيمان هو التصديق بالقلب ويخلص القول بأن صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى مؤمناً وما يتصل به كما أنه لا يسمى كافراً.

واستدلوا بقول علي كرم الله وجهه لما سئل في أهل البغي ولم يسمهم كفرة، ولما سئل علي كرم الله وجهه أكفارهم قال: من الكفر فروا، فقالوا: أمسلمون هم؟ قال: لو كانوا مسلمين ما قاتلناهم، كانوا إخواننا بالأمس بغوا علينا، فلم يسمهم كفاراً ولا مسلمين وإنما سماهم بغاة وقوله ﷺ حجة[2].

لم يختلف الجميع في مرتكب الكبيرة أنه فاسق، وبهذا قال المعتزلة ولم يسموه منافقاً.

وفي تشددهم وردهم على من استشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: 48)، قالوا إن الله لا يغفر

(1) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ص707.

(2) نفس المصدر، ص712.

الشرك ويغفر ما دون ذلك وقد اتفقنا على أن الكبائر غير مغفورة فيجب أن تكون معدودة في الشرك وفي ذلك ما نقوله[1]، والمغفرة للصغائر دون الكبائر.

5 ـ الأصل الخامس: وهو الكلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لا خلاف بين الأمة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ما يحكى من الإمامية وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: 110)، فمتى حصل هذا الغرض بالأمر السهل لا يجوز العدول عنه إلى الأمر الصعب، الإصلاح ثم المقاتلة إن لم يرتفع الغرض إلا بها[2].

الأستاذة هانم إبراهيم يوسف في كتابها أصل العدل عند المعتزلة: تمثل المعتزلة في تاريخ علم الكلام أهمية كبيرة فهي رائدة الفكر العقلاني الإسلامي. والمعتزلة هم أصحاب مدرسة فكرية كبيرة سيرة ومذهباً يسفر عن أصل العدل عند المعتزلة بل نتعرف عليه في فكر عربي أصيل ساهم في بناء صرح الحضارة العربية التي كانت مصدراً من مصادر نهضة العالم عامة وأوروبا خاصة[3].

ويقول عنهم القاسمي: إنهم أول من ظهر من الفرق الإسلامية في صدر حضارة الإسلام بقواعد الأصول والعمل على الجمع بين المنقول والمعقول وإنهم من أعظم الفرق رجالاً وأكثرها أتباعاً.

---

(1) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، ص721.

(2) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، ص741.

(3) أصل العدل عند المعتزلة، ص9.

ويقول ابن المرتضى في كتابه المنية والأمل: إن المعتزلة هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم لا غيرهم، وإنهم لم يخالفوا إجماع الأمة كما كان في الصدر الأول الإسلامي، وإنما خالفوا الأقوال المحدثة والمبتدعة واعتزلوها[1].

فالمعتزلة كانت رد فعل للتطرف المذهبي للخوارج المتعصبين من ناحية ولتراخي المرجئة من ناحية أخرى.

وإن بعض الباحثين المحدثين قالوا بأن المعتزلة فرقة دينية بعيدة عن مجرى الحياة في واقعها السياسي والاجتماعي ووصف أعلامها بأنهم كانوا يمارسون ترفاً ذهنياً وإرجاع كثير من آرائهم إلى أصول فلسفية يونانية ودينية مسيحيَّة ويهودية ومانوية، وهذا الكلام عليه الكثير من التحفظ وخاصة أقوال المستشرقين لينفوا عن الإسلام القدرة العقلية في تحليل الأمور وإنما أخذوها من غيرهم، وهذا فيه ظلم للإسلام وأصوله الفكرية.

والزيدية وافقوا المعتزلة في كثير من الأمور ولكنهم خالفوهم في مرتكب الكبيرة بل يعذب حيناً من الدهر ثم مرده إلى الجنة كما خالف زيد المعتزلة كذلك في قولهم: إن العقل قد يحسن ويقبح ويصل إليهما في الأشياء من حسن وقبح، ولكنه يرى أن العقل في علمه يحتاج إلى السمع، وأنه غير منفك عن سمع ينبه الغافل على كيفية الاستدلال، وأنه لابد في أول التكليف وابتدائه في العالم من رسول[2].

والزيدية اعتبروا مرتكب الكبيرة كافراً كفر نعمة كما أنكروا فكرة الوجوب على الله تعالى.

---

(1) المنية والأمل، لابن المرتضى، ص2، 4.

(2) الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ص44.

وقالت الأستاذة هانم إبراهيم يوسف في كتابها أصل العدل عند المعتزلة: هؤلاء هم المعتزلة، أصحاب الفكر الحر والعقل المميز، والثقافة الواسعة المدروسة، والكلمة الجريئة، يريدون النهوض بالمجتمع الإسلامي من جموده.

وأما المعتزلة الجديدة القائمة في الهند اليوم، فليس بينها وبين المعتزلة القديمة صلة تاريخية، فالمعتزلة الجديدة فكرية مؤلفة من بعض أحرار الهنود المسلمين السنيين شكلها السير سيد أحمد خان وأصبح من أعظم القائمين عليها بعده سيد أمير علي، ويرى رجال هذه المدرسة أن الإسلام الصحيح دين العقل، وأنه أقرب من غيره من الأديان إلى الطبيعة البشرية، وهم يرون التجديد في الدين وسبل التجديد تكون بالرجوع إلى تعاليم السلف ولاسيما القرآن الكريم التي تتفق مع العقل والطبيعة.

وما يؤخذ على المعتزلة:

1 ـ أخذ المعتزلة من الفلسفة ومن قول أرسطو في أن الله تعالى ليس مطلق التصرف بفعل ما يريد بل هو نظام لا يمكنه مخالفته والخروج عليه وعلى هذا لا يفعل الله إلا الخير ومحال أن يفعل الشر (يحدون سلطة الله ﷻ) والنظام أول من قال بهذه العقيدة الخطيرة، والشهرستاني يقول: إنهم أخذوها من قدماء الفلاسفة ورجال الكنيسة كانوا يقولون بالأصلح ولاسيما يحيي الدمشقي.

2 ـ ما يؤخذ على المعتزلة أنهم جعلوا العقل والاجتهاد على رأس الأدلة جميعاً والقاضي يقول: الأدلة: أولها العقل لأن به يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والإجماع، وبهذا خالفوا إجماع

الأمة وللتأكيد على أهمية العقل قال القاضي: وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم فيظن أن الدلالة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر، وليس الأمر كذلك لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل.

إذن يرى المعتزلة أن العقل هو أصل الشرع.

ويقول الشهرستاني[1]: إن القول بأسبقية الدليل العقلي على الدليل الشرعي راجع إلى الجبائيين (أبي علي وأبي هاشم) قالا: بأن المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبيح واجبات عقلية وأثبتا شريعة عقلية وردا الشريعة النبوية إلى مقدرات الأحكام ومؤقتات الطاعات التي لا يتطرق إليها عقل، ولا يهتدي إليها فكر.

وعرف العقل: جملة من العلوم مخصوصة حتى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بأداء ما كلف.

3 ـ أكبر ما يؤخذ عليهم إجبار العلماء على اعتقاد مذهبهم وخاصة في خلق القرآن وهذا فيه إكراه ومخالفة للحرية التي نادوا بها وكانوا سادتها. (محنة الإمام أحمد بن حنبل).

4 ـ يعتبرون صفات الله ليست حقائق مستقلة، وإنما هي اعتبارات ذهنية كما يعتبرون الذات والصفات وحدة مطلقة، وذلك ليفرض المعتزلة التصور الإسلامي بالتزامها بالتنزيه المطلق لله وعدم تشبيه المخلوق بالخالق أو إضفاء صفات الألوهية على الإنسان، وهذا رد وتعديل لديانتين سماويتين قبله تعديل لليهودية في تشبيهها الخالق بالمخلوق، وتعديل للمسيحية في

---

(1) الملل والنحل، ج1، ص81.

تشبيهها المخلوق بالخالق، ولا ينكر تأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية في دقيق الكلام، أما جليل الكلام الذي يتصل بالله وصفاته فذلك ما نستبعده تماماً[1].

5 ـ إن قولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله ففي نظرهم تكمل نظرية اللطف الإلهي لتكونا معاً أوج ما وصل إليه الفكر الإسلامي في العناية الإلهية[2].

وعارض الأشاعرة فكرة وجوب شيء على الله لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: 23)، ومال الزيدية إلى اعتباره خلافاً لفظياً وإلى تعديله إلى: يجب من الله بدلاً من يجب على الله أي إن الوجوب بمقتضى حكمته وعدله[3].

(1) في علم الكلام، د. أحمد محمود صبحي، ص135، ج1.

(2) نفس المصدر، ص149.

(3) في علم الكلام، د. أحمد محمود صبحي، حاشية ص149، ج1.

العدل عند المعتزلة

الكتب: المنية والأمل لابن المرتضى.

الانتصار لأبي حسين الخياط.

المعتزلة مدرسة فكرية عقلية تتقن علم الكلام:

منهم من نسبهم إلى رسول الله ﷺ، ومنهم من نسبهم إلى علي ﷺ، ومنهم من نسبهم إلى الحسن البصري رحمه الله، والأكثر إلى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وسموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وبعضهم نسبهم إلى المجوس وبعضهم إلى القدرية، واعتبروا من القدرية لأنهم يذهبون إلى أنَّ الناس هم الذين يقدرون أعمالهم وأن الله تعالى ليس له فيها صنع ولا تقدير..

ولقد وصف أعلامها بأنهم كانوا يمارسون ترفاً ذهنياً وإرجاع كثير من آرائهم إلى أصول فلسفية يونانية ودينية مسيحية ويهودية ومانوية[1].

مصادر المعرفة عندهم: العقل، الكتاب والسنة، والإجماع:

الإنسان فاعل محدث مخترع منشيء على الحقيقة دون المجاز.

قال النظام: إن الله ﷻ لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم.

قال أحدهم: إن المعتزلة ادعوا الربوبية لأن فرعون ادعى الربوبية على الكشف وادعى المعتزلة الربوبية على الستر وقالوا: ما شئنا فعلنا[2].

---

(1) العدل عند المعتزلة، ص32.

(2) نفس المصدر، ص102.

المعتزلة أخذوا من أرسطو أن الله ليس مطلق التصرف يفعل ما يريد بل هو نظام لا يمكنه مخالفته والخروج عليه ومحال أن يفعل الشر.

قال القاضي عبد الجبار: إن القول بأن نسبة أفعال العباد لله تعالى يؤدي إلى فساد الشرع والدين[1].

إنكار وجود السحر والشياطين والجن والشعوذة.

القاضي عبد الجبار ينظر إلى الكسب عند الأشاعرة أنه موقف جبري.

مقدمة:

المعتزلة هي مدرسة كلامية، بل هي مدرسة من أعظم مدارس الفكر والكلام وأقدمها حسب بعض الكتاب. بل هي مؤسسة علم الكلام الحقيقي بمعنى أن لها نسقاً مذهبياً متكاملاً في علم الكلام.

ذهب المقريزي في كتابه الخطط (ج4) إلى أن نشأة المعتزلة كانت ابتداءً من القرن الهجري الثاني والبعض يقول في نهاية القرن الهجري الأول.

وذهب ابن المرتضى في كتابه المنية والأمل إلى أن المعتزلة إنما تمتد في نشأتها إلى فجر الإسلام بحيث تستند في نشأتها إلى رسول الله ﷺ.

ويستدل ابن المرتضى على أن محمد بن الحنفية هو الذي ربى واصل وعلمه حتى تخرج واستحكم وأخذ عنه علم الكلام.

الإسفراييني قال: أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف، واعتبروا العاصي فاسقاً وحكموا بخلوده في النار.

---

(1) المغني، ج8، ص3.

أصل اسم المعتزلة: المحايدون بين أهل السنة والخوارج، كما يقول الخوارج، أو هو مؤمن يعاقب على الكبيرة بقدرها وعندهم هو منزلة بين المنزلتين وهذا قول المعتزلة.

هم استمرار للقدرية في القرن الأول لا قضاء ولا قدر والأمر أنف.

واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد هم أوائل القائلين بفكرة المعتزلة ويسمون أنفسهم (أهل العدل والتوحيد).

المبدأ لظهورهم هو واصل بن عطاء إنما اعتزل مجلس الحسن البصري..

أصولهم الخمسة الأساسية: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خلق القرآن، العقل هو المصدر الأول للمعرفة غير الرؤية.

الشيعة يسندون هذه الأفكار إلى سيدنا علي كرم الله وجهه.

البغدادي في كتاب الفرق بين الفرق: أهل السنة هم الذين دعوهم معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة من المسلمين وتقريرهم أنه لا مؤمن ولا كافر..بل هو منزلة بين منزلتين الإيمان والكفر.

قال الملطي في التنبيه والرد: أن المعتزلة اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس لأنهم كانوا من أصحاب علي ﷺ ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا أنفسهم بالمعتزلة.

إن أهم أهدافهم: الانتصار للعدالة الإلهية والدفاع عن مبدأ الوحدانية.

المقريزي قال: المعتزلة يدعون الثنويّة لقولهم الخير من الله والشر من العبد.

والمعتزلون القدماء يقولون: الله يخلق الخير، والشيطان يخلق الشر.

والمجوس: لإيمانهم بالخير والشر ولأنهم قدرية، والقدرية كما يرى مجوس هذه الأمة.

يذهبون إلى أن الناس هم الذين يقدرون أعمالهم وأن الله تعالى ليس له فيها صنع ولا تقدير[1].

ويسمون بالمعطلة لأنهم قالوا صفات الله حادثة.

قال ابن تيمية: توجد صلة بين الجهمية والمعتزلة ولكن الجهمية أشد تعطيلاً فيقول: فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلياً لكن جهم أشد تعطيلاً لأنه ينفي الأسماء والصفات والمعتزلة تنفي الصفات.

الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وينكرون عذاب القبر، والشفاعة.

مرتكب الكبير في منزلة بين المنزلتين فهو ليس بكافر لأن عنده جزءاً من الإيمان (القول والمعرفة) وليس بمؤمن لأنه ينقصه العمل فسمى فاسقاً وهو مخلد في النار إذا لم يتب وليس لله أن يعفو عنه حتى يصدق وعيده.

الزيدية اعتبروا فاعل الكبيرة كافراً كفر نعمةٍ وهو رأي الإمام زيد بن الحسين بن علي، الشهرستاني قال: الزيدية يرون رأي المعتزلة في الأصول ويحذون حذوهم ويعظمون شيوخ الاعتزال أكثر من تعظيم أئمة أهل البيت[2].

المعتزلة يمارسون ترفاً ذهنياً وإرجاع كثير من آرائهم إلى أصول فلسفية يونانية ودينية مسيحية ويهودية ومانوية[3].

---

(1) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص94.

(2) الشهرستاني، ج1، ص232.

(3) أهل العدل عند المعتزلة، ص32.

المعتزلة الحديثة السير سيد أحمد خان أعظم القائلين بالاعتزال وخلفه سيد أمير علي (يرون أن دين الإسلام هو دين العقل).

ميزوا بين أدلة العقل وأدلة الشرع (العقل هو القوة المميزة للإنسان عن سائر الكائنات الأخرى ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأنفال: 22).

كبار رجالهم واصل بن عطاء، عمرو بن عبيد، أبو الهذيل العلاف، إبراهيم النظام، والجاحظ.

التوحيد: العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به (العلم والإقرار والعمل) وفي فهمهم لعقيدة التوحيد نفي الصفات عن الله تعالى ونفي الرؤية وقولهم بخلق القرآن ونفي الصفات اعتقاداً منهم أن ثبوت قدم أي صفة بما فيها كلامه تعالى يثبت مع الله قديماً وهذا عين الشرك ونفوا الرؤية لأنها تقتضي الجسمية والتشبيه وهي مما يتنزه عنه الله.

العدل: العدل أي إن أفعاله كلها حسنة وأنها كلها لا تكون إلا حكمةً وصواباً وتنزيه الفعل الإلهي عن كل قبيح.

عادل لا يظلم الناس شيئاً، يريد من عباده الطاعات ويكره المعاصي والله ليس مطلق التصرف بفعل ما يريد بل هو نظام لا يمكنه مخالفته والخروج عليه وعلى هذا فالله لا يفعل إلا الخير ومحال أن يفعل الشر والنظام قال: إنه تعالى لا يقدر على فعل الشر أصلاً.

وقالوا بالصلاح والأصلح.

أخذوا الأحسن والأكمل اقتبسوها عن اللاهوت المسيحي ومنهم يحيى الدمشقي.

بشر بن المعتمر يقول باللطف بدلاً عن الأصلح.

سبقوا سبينوزا وليبنتس وديكارت، الفلسفة العقلية، والنصوص الدينية عندهم هي الأساس ولكنهم يحاولون تعقلها حتى يكون إيمانهم بها قوياً لرد شبهات الخصم والتغلب عليه.

المعتزلة يعتبرون العقل هو أصل الشرع..

وتعبير المنهج العقلي في التفسير يرأسها الآن أمين الخولي، محمد عبده، نصر حامد أبو زيد، الدكتورة بنت الشاطئ.

عبد الجبار يشترط صحة الإسناد وملاءمة الخبر لمعايير المعقولية على غرار معاصره البغدادي.

ولذلك أعطوا للعقل دوراً أولياً وسابقاً على الشرع، وجعلوا الدليل السمعي تابعاً للدليل العقلي ومترتباً عليه..

الاختيار أول من قال بها معبد الجهني في البصرة وغيلان الدمشقي بدمشق ويونس الأسواري.

الإنسان فاعل محدث مخترع ومنشيء على الحقيقة دون المجاز.

المردار قال: الله لم يرد المعاصي إلا المردار، فإنه حكى عنه أنه قال إن الله أرادها بأن خلى بين العباد وبينها.

العدل الإلهي والفكر الحر لتمكين الحرية للإنسان في تصرفاته المحاسب عليها.

وتحدثوا عن اللطف الإلهي والتوفيق والعصمة والهدى والهداية.

الشيطان ليس له سلطان والدليل ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ (إبراهيم: 22).

الغائية في الصلاح والأصلح ـ وفق العدالة الإلهية.

الحسن والقبح ذاتيّان في الأفعال..

ألفرد فون كريمر في كتابه: مباحث حضارية في ميدان الإسلام: حريةالاختيار تفويض بدل حرية الاختيار عند مونتغمري.

قول منسوب إلى علي كرم الله وجهه: إن حرية الإنسان تقوم في منزلة وسط بين الجبْر والتفويض[1].

يوحنا الدمشقي: الأفعال المفوضة إلينا ليستْ هي من أفعال عناية الله ولكنها أفعال عزمنا المستولي على ذاته وأفعالهِ.

الجويني: خلاصة كلامه إذا وجب كون ما سيقدر عليه العبد مقدراً لله تعالى مع كونه مقدوراً له المستحيل انفرد العبد باختراع ما هو مقدر للرب تعالى. (مجبور في قالب مختار)[2].

الماتريدي: لا شيء في هذا الوجود إلا وهو مخلوق لله سبحانه وإثباته الخلق لغيره شرك صريح والثواب والعقاب تابع للاختيار، خلق الله في العبُد الخير والشر، الحق والباطل، الظلم والنور، والعبد هو يختار أحدهما ويثاب على الخير ويعاقب على الباطل، فأبو حنيفة لا يؤمن بالجَبْرِ ولا ينفي الاختيار.

---

(1) كلام رائع للجويني، ص97.

(2) كلام رائع للجويني، ص97.

تحقيق حديث افتراق الأمة

إن علم الرجال يهتم بنقد سند الحديث، وعلم الدراية يهتم بنقد الحديث، النموذج الأبرز للأحاديث التي تعتمد على فقه القطيعة والتكفير ما رواه الترمذي في سننه بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله على سلم: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قال: ومن هي يا رسول الله، قال: ما أنا أعليه وأصحابي)[1].

وفي مسندالإمام أحمد 3/ 10 أخرجه عن أنس بن مالك وعلق عليه في مجمع الزوائد 1/ 189 بالقول: وفيه عبد الله بن سفيان العقيلي لا يتابع في حديثه.

وقال العجلوني في كشف الخفاء 1/ 150 ورواه الشعراني في الميزان من حديث ابن النجار وصححه الحاكم بلفظ غريب: ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة، وفي رواية الديلمي: الهالك منها واحدة.

ولكن ابن الجوزي أورده بهذه الصيغة الأخيرة في الموضوعات 1/ 26 من ثلاثة طرق وقال: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله، قال علماء الصناعة وضَعَه الأبرد وكان وضاعاً كاذباً.

ابن حزم: كلها في النار حاشى واحدة، لا يصح هذا الحديث عن طريق الإسناد.

---

(1) سنن الترمذي، 4/ 34.

ابن الوزير في كتاب العواصم من القواصم يقول: إياك أن تغتر بزيادة كلها في النار إلا واحدة فإنها زيادة فاسدة ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة.

إن زيادة: كلها في النار إلا ملة.. هي زيادة غير ثابتة. (العلامة صالح المقبلي اليماني).

وقال الذهبي: محمد بن عمر الليثي لم يحتج به منفرداً ولكن مقروناً بغيره.

وقال في بعضه مجاهيل كما يظهر من كتب الحديث.

الشيخ حسن السقاف: رأى أن الحديث باطل سنداً ومتناً.

علامات الوضع والاضطراب:

1 ـ متن الحديث مضطرب جداً.

بعضها قال ثلاثة وسبعون وبعضهم قال اثنان وسبعون.

2 ـ الاختلاف في عدد الفرق الناجية أو الهالكة بعضها (72) الهالكة أو (71) الهالكة وبعضهم يذكر أن الهالك فرقة واحدة والباقي في الجنة.

3 ـ تحديد توصيف الفرقة الناجية (الجماعة) (ما أنا عليه وأصحابي).

وقالت المعتزلة والشيعة: قالوا هم الفرقة الناجية وبقيت الزنادقة الهالكة فقط.

قال عبد الرحمن بدر بداوي، في كتابه «المذاهب الإسلامية» ص33 المذاهب الإسلامية: أسانيده كثيرة استوفاها الحافظ الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف وتعدد رواته كأنس، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمر.

وقال: لايمكن أن يكون هذا الحديث صحيحاً (العدد المحدد 71/ 72/ 73 أمر مفتعل لا يمكن تصديقه ولأن كل فرقة أعطت دلالة عليها في ختام الحديث.

قال الشيخ حسين الخشن في كتابه الإسلام والعنف: مخالفة الحديث للكتاب والسنة.

1 ـ إن القرآن الكريم جعل هذه الأمة خير الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فهذه الأمة أوسطها وأعدلها وأفضلها فمعنى الحديث باطل بصريح القرآن الكريم.

الألباني يصحح الحديث ويتهم بعض الحنفية الهلكى برد الحديث.

عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

وزيادة (اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة).

ورواية الزيادة: (وواحدة في الجنة هي الجماعة).

ورواية الزيادة: (كلها في النار إلا السواد الأعظم).

هذا الحديث بدون زيادة رواه أبو داود (4596) كتاب السنة باب شرح السنة والترمذي (2642) كتاب الإيمان: باب ما جاء في افتراق الأمة، وابن ماجة (3991) كتاب الفتن وافتراق الأمم، وأحمد (2/ 332) والحاكم (1/ 128) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وابن حبّان في صحيحه (1834).

الزيادة وردت من حديث معاوية بن أبي سفيان مرفوعاً، ورواه أبو داود (4597) والدارمي (2/ 241) كتاب السير: باب في افتراق هذه الأمة، وأحمد (4/ 102) والحاكم (1/ 128) والآجري في الشريعة (18) وابن بطَّةَ في الإبانة (2/ 108) وصحح الحديث الشاطبي في الاعتصام (3/ 38).

حقيقة البابية

مقدمة:

يئس الاستعمار من القضاء على الإسلام بكل طرق التبشير أو زعزعة العقيدة في نفوس المسلمين أو شراء الضمائر أو إفساد المجتمع أو نشر العلمانية المضادة للإسلام لكل شرائح المجتمع ويقول المتعصب اللورد كرزون: إن أمواج التبشير تضرب عبثاً على حائط الإسلام الصخري الذي لا يهدم، حيث إنَّه نظام شامل لكل ناحية، ولذا عملوا لنشر كل الوسائل لإيجاد مفاهيم جديدة تلغي الجهاد وتحطم روح الكفاح ضد الاستعمار وخاصة في المستعمرات البريطانية.

وقد عملوا بموجب هذه الحكمة التي تقول: تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها. وحاولوا السيطرة على الجيل الجديد وتوجيهه توجيهاً خاصّاً ينقطع عن تراثه وهويته وعقيدته ونشر روح الإباحية.

البابية مؤسسها علي محمد رضا الشيرازي ولد عام 1235هـ الموافق 1819 ميلادي تتلمذ على كاظم الرشتي وادعى النبوة أعدم في 1849م.

وأثناء دعوته ادعى الربوبية وهو من كبار تلاميذ الإحسائي والرشتي وأنكر وحدانية الله وأنكر نبوة محمد ﷺ أنه خاتم النبيين كما أنكر وصاية علي كرم الله وجهه، ثم ادعى أنه الإمام المنتظر ثم سمى نفسه الباب في حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها، يعني نفسه أنه الباب وجاء بكتاب سماه البيان وهو عنده خير من القرآن، انتشر في إيران وأعلنوا إلغاء الشريعة الإسلامية وساعدتْ على انتشاره قنصليات الروس والإنجليز.

عقائدهم:

يعتقدون بالباب أنه المجدد أو المهدي المنتظر وكل اعتمادهم على الرؤيا ويفسرون القرآن تفسيراً تأويلياً باطلاً لا يعتمد على التفسير اللغوي.

وأنه نبي يوحى إليه وهذا كله في كتاب الإيقان للميرزا حسين الذي سمي بالبهاء وكتاب البيان هو الذي أنزل على الميرزا علي محمد وفيه أخطاء لغوية كثيرة.

دعوتهم:

تعتمد على الإباحة الجنسية والدعوة للسفور والتبرج ـ وهاجمت نظام تعدُّدِ الزوجات وقرة العين زوجة (الملا محمد الملاتقي) آمنتْ بالبهاء الميرزا حسين البهاء وظهرت في مؤتمر بلاشت عارية وطالبت النساء بخلع ملابسهن.

إن وراء هذه الحركة الجاسوس الروسي (كيناز دالكوركي) الذي أسلم وتزيا بزي أهل العلم بلحية كبيرة وعمامة كبيرةوعباءة ومسبحة كان يدرب البابيين على القتال ويحرض الناس على الثورة ضد جيش إيران.

وكان هذا الجاسوس يعطي رواتب لجميع البابيين ومنهم الميرزا حسين علي البهاء ثم أسلم منوجهر خان الأرمني الروسي ليساعد البهائيين.

ثم خلفه جورجين خان وبهذا نجد أن الحكومة الروسيةاتخذت من الميرزا علي الباب مؤسس الحركةالبابية صنيعةً لها.

ثم أمرت الحركة اليهودية اليهود في إيران بالانضمام إلى هذه الحركة ودخل أحد أحبار اليهود وهو الياهو والحبر لازار وكانت تدعو إلى وحدة الأديان والإنسانية ودافع عنهم اليهود وعلى رأسهم جولدزيهر.

ملاحظات عن البابية:

1 ـ الذين اتبعوا الباب هم يمثلون الاحتكار والربا والجشع في المجتمع الإيراني.

2 ـ التقلب من الربوبية إلى ادعاء النبوة إلى الموعود ثم إلى المهدي.

3 ـ نسخ الشريعة الإسلامية.

4 ـ إنكار المعاد وبعث الأموات.

5 ـ دعوة إلى وحدة الوجود فالكون هو مظهر الله وذاته.

6 ـ رقم (19) سر من الأسرار المقدسة لا يتم نظام العالم إلا به.

7 ـ فرض على النساء الزواج الإجباري بعد 11 سنة والأرملة يجب أن تتزوج بعد (90) يوماً.

8 ـ الطلاق يمكن أن يراجع الرجل زوجته 19 مرة.

9 ـ توزيع التركة من (60) 9/ 60 الزوجة والزوج 8/ 60 الأب.. إلخ.

البهائية

مؤسسها الميرزا حسين علي المازنداني.

وادعى أن الباب ما كان إلا مبشراً به وداعياً له. ألف كتاباً سماه الأقدس وادعى أنه أوحي إليه من الله. هرب إلى عكا وهناك أنشأ مركزه..

ولد 1233هـ وسجن في طهران وتحت ضغط السفارة الروسية والبريطانية نفي إلى بغداد عام 1269هـ، مات 1892م، ووصى إلى ابنه عباس سماه (عبد البهاء) وادعى الألوهية.

والبهائيون يصرحون بأن الميرزا حسين ربهم وادعى أن الحركة البهائية حركة تجديدية لم تقم إلا على إصلاح المجتمع الإيراني ثم ادعى أنه المسيح الموعود ونفى المعجزات عن المسيح وادعاها تأويلاً.

إعلان السلام العالمي بين الأديان:

وقد كتبوا في بيوتهم (البهائيون) بهاء الله إلهي الأبهى، يؤمن بوحدة الوجود والحلول والاتحاد.

كتابه الأقدس ينسخ كل ما سبق والشريعة الإسلامية لا تصلح لهذا الزمان.

خليط من الأقوال من كل الأديان وليس لها شريعة جديدة وإنما نسخت كل الشرائع السابقة ولم تأت بشريعة جديدة، مخالفات للقرآن في أمور كثيرة:

1 ـ إن التوراة والإنجيل لم يعترهما أي تبديل.

2 ـ المسيح صلب بعد أن أمسكوا به.

إن الأديان بأوضاعها الراهنة سببت البغضاء ثم يدعون للخروج من الأديان كلها والإيمان بأفكار الميرزا حسين دينهم دين واحد وهو دين الحب، دعوة إلى طاعة كل الملوك والرؤساء وعلى المرأة أن تساير الموطن التي تقيم فيه ولا مانع من خروج المرأة بالمايو.

البهائية واليهودية العالمية:

كانت اليهودية وراء الميرزا ثم ساعدت تلميذه ونقلته بعد حصاره إلى عكا وكل ذلك ليدعي أنه المسيح وجاعلين حق اليهود في فلسطين وأعلن عبد البهاء في الدعوة لهذا التجمع اليهودي الصهيوني: في تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة.

ثم يقول: فانظروا الآية تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة ويمتلكون الأراضي والقرى ويسكنون فيها ويزدادون تدريجياً إلى أن تصير فلسطين جميعاً وطناً لهم.

في كتاب مفاوضات عبد البهاء: إن البهائية وجه من وجوه هذه المحاولة اليهودية للسيطرة على فلسطين وبعد موت الميرزا شوقي أفندي اجتمعوا وانتخبوا الصهيوني الأمريكي (ميتسون) ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم.

وجاء في بيان جبهة العلماء في الأزهر ما نصه: ولقد تزلف البهائيون إلى اليهود ومالؤوهم على العرب والمسلمين وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطناً قومياً لهم.

البهائية والإنكليز:

الإنكليز حاولوا نصرة البهاء حسين ودافعوا عنه وأنقذوه عن طريق القنصل البريطاني في بغداد (أرنولد بركميال) وأعطي وسام العضوية البريطانية من درجة فارس من لدن ملك الإنكليز لقاء خدماته الجليلة أثناء الحرب الكونية وقال عن إنكلترا: إن مغناطيس حبكم هو الذي جذبني إلى هذه المملكة، ويقول ابن سعيد: ويعتمد الإنكليز على هؤلاء البهائيين في أعمالهم السرية ببلاد العرب ويثقون بهم لما خبروه من إخلاصهم.

خلاصة هذه الدعوة:

1 ـ إلغاء الجهاد (محو حكم الجهاد من القرآن).

2 ـ إلغاء الشريعة كلها.

3 ـ نشر الإباحية التي فضحها محمد حسين أواره صاحب كتاب (كشف الحيل) بعد رجوعه من البهائية إلى الإسلام.

4 ـ يعمل على التسريع في تجميع اليهود ولإقامة دولة لهم في فلسطين.

5 ـ تجميع البهائيين ليكونوا جواسيس للإنكليز واليهود والروس ثم الآن لأمريكا.

6 ـ تمزيق المسلمين وإيجاد الخلافات بينهم وإضعاف روح الدفاع عن الوطن ضد المستعمرين فهم طلائع المستعمرين في كل البلاد العربية والإسلامية.

7 ـ العمل لاستغلال بعض آراء الصوفيين في الحلول والاتحاد ووحدة الوجود لإظهار الحركة بأنها حركة روحية صوفية في ظاهرها لجلب العامة من الناس.

8 ـ الدعوة إلى وحدة الأديان في كل مؤتمراتهم.

9 ـ ظهرت كتب جديدة تدعو لمفاهيمهم بشكل خفي للكاتب السوري نيازي عز الدين في كتبه وذلك في إبطال الجهاد والهجوم على السنة وعلى التراث والفقه الإسلامي والاعتماد على الرقم (19).

مفهوم القضاء والقدر
عند الفرق الإسلامية

قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (الأنبياء: 23).

قضية القضاء والقدر عند الإباضية:

(وندين بأن القدر خيره وشره كله من الله). كتاب الديانات 43 عامر الشماخي المفهوم اللغوي للقدر، لسان العرب 18 تفسيراً.

قضى: حكم، يسر،علم، ودبر وقسم.

الماتريدي أبو منصور قال: وتقدير الله الخلق وتيسيره كلاً منهم لما علم أنهم صائرون إليه من السعادة والشقاء وذلك أنه علم منهم قبل خلقه إياهم فكتب علمه الأولي السابق فيهم وقدره تقديراً.

القضاء: الحكم (30 معنى) حكم، فصل، أحكم، أمضى، خلق، أتم قدَّر.

قالوا: المراد بالقدر التقدير والقضاء الخلق ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ (فصلت: 12).

أي خلقهنّ.

القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

ويعتبر الشراح اللغويين أن لفظ القضاء والقدر ألفاظ مشتركة ذات اللفظ الواحد والمعاني الكثيرة.

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: إنك لن تجد ولن تؤمن وتبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله.

الجامع الصحيح عندهم ومسلم وفي تتمة الحديث قال عبادة بن الصامت يا رسول الله: كيف لي أن أعلم خيره وشره قال: تعلم أنّ ما أخطأك لم يكنْ ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك فإن مت على غير ذلك دخلت النار.

أحاديث توجب الإيمان بالقدر والرضاء به.

أحاديث تبين أن كل شيء بقدر وأنه في علم الله الأزلي.

أحاديث تنهى عن الخوض في القدر (القدر سر الله فلا تفشوا سر الله).

أحاديث تتوعد من يخوض في القدر (ما كان كفر إلا كان مفتاحه تكذيباً بالقدر).

عند الإباضية (الجامع الصحيح للربيع بن حبيب).

قال أبو بكر رضي الله:يقول في شيء سئل عنه: أقول برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان.

سئل ابن عباس عن القدر فقال: الناس فيه ثلاثة منازل، من جعل للعباد في الأمر مشيئة فقد ضاد الله في أمره ومن أضاف إلى الله شيئا مما ينتزه عنه فقد افترى على الله إثماً عظيماً، ومن قال: إني رحمت بفضل الله فذلك الذي سلم له دينه ودنياه جميعاً.

يقول الغزالي: فلذلك أمسك عمر لما سئل عن القدر فقال للسائل: بحر عميق لا تلجه، ولـمَّا كرر السؤال قال: طريق مظلم لا تسلكه ولما كرر ثالثاً قال: سر الله قد خفي عليك فلا تُفتِشِهِ. كتاب الأربعين من أصول الدين قال رسول الله: أفرُّ من قضاء الله إلى قدرِهِ..

في حوار سيدنا علي كرم الله وجهه مع شيخ يحاوره: لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتماً لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد

والأمر والنهي ولم يكن لائمةٌ على مذنب، ولا محمدة لمحسن مقالة عبدة الأوثان وجند الشيطان، وأعداء الرحمن.. وهم قدرية الأمَّة ومجوسها.

قال علي كرم الله وجهه: إن الله تعالى أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يُطَعْ مكرهاً، ولم يرسل الرسل عتباً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار[1].

وبذلك نفى للشيخ الجبر نفياً مطلقاً..

أما معاوية وأنصاره فقد اعتبروا القضاء ضرباً من الجبر لإقناع الناس بوجوب طاعتهم مبينين أن المنكر لأفعال الخليفة ظالم..

قال معاوية: إنما أنا خازن من خزان الله، أعطي من أعطاه، وأمنع من منعه الله، فقام أبو الدرداء فقال له: كذبت يا معاوية والله إنك لتعطي من منعه الله، وتمنح من أعطاه. وكذّبه أيضاً عبادة بن الصامت[2].

ويقول معاوية: لو لم يرني ربي أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإياه ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيره.

ولذلك عبد الله إباض في رسالته لعبد الملك رفض أن الله قام مع معاوية وعجل نصره وبين أن ذلك من باب الابتلاء وضرب مثال فرعون والذي حاجَّ إبراهيم إن مرجع الخوض في القضاء والقدر إلى سوسن النصراني الذي أظهر الإسلام بصحبة معبد بن عبد الله الجهني الذي ظل التابعون يحذرون منه حتى

---

(1) الإباضية، ص411.

(2) القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال، ص144.

قتله عبد الملك بن مروان ومحمد الجهني أخذ من غيلان الدمشقي فقال بالقدر خيره وشره من العبد وانتهى أمره بالقتل..

أما القول بالجبر فيرجع إلى جهم بن صفوان قال الذهبي: الفعل المبتدع هلك في زمان صغار التابعين وأخذ المذهب عن جعد بن درهم.

أما جابر بن زيد فموقفه من القدر موقف الصحابة ولم يؤثر عنه تحليل خاص للقضية وأكد على الحديث: عليٌّ العمل رغم أن كلاً ميسر لما خلق له..

إن الإباضية نفوا المعاصي عن الله ﷻ..

المعتزلة قدرية لأنهم نفوا عن الله خلق الشرور وزادت المعتزلة وهم قدرية نفي خلق الخير عن الله ﷻ..

المناظرة بين أبي عبيدة وواصل بن عطاء:

قال واصل: أنت (لأبي عبيدة)، قال: نعم، قال: أنت الذي بلغني أنك تقول: إنّ الله يعذب على القدر، قال أبو عبيدة: ما هكذا قلت ولكن قلت لكن الله يعذب على المقدور، فقال أبو عبيدة: وأنت واصل بن عطاء، قال: نعم، قال: أنت الذي بلغني أنك تقول إن الله يعصى بالاستلاب، قال: فنكس واصل رأسه فلم يجب بشيء ومضى أبو عبيدة، وأقبل أصحاب واصل يلومونه ويقولون: كنت تتمنى لقاء أبي عبيدة فسألته فخرج وسألك فلم تجب، فقال واصل: ويحكم بنيت بناء من أربعين سنة فهدمه وأنا قائم فلم أقصدولم أبرح مكاني..

القدر من خلق الله والمقدور من كسب الإنسان عند الإباضية.

أبو حمزة الكوفي من الإباضية الذين برئ منهم أبو عبيدة يقول: السيئات من العباد، وعرفوا القضاء والقدر (الإباضي) جاء في كتاب السؤالات: القدر

هو انتهاء الأمور إلى أوقاتها، وارتجاعها إلى مقدورها، عمر بن خليفة السوفي: القدر معناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عندَه سبحانه وتعالى وعلى خدمات مخصوصة فهي تقع بحسب ما قدره سبحانه وتعالى، كتاب الديانات الماتريدي، القضاء هو الأمر الإلهي الأزلي، كتاب التوحيد 306.

القدر هو تحديد الله أزلاً كل شيء بحده الذي سيوجد به من نفع، وما يحيط به من زمان ومكان..

القدر: عند الأشاعرة: إيجاد الأشياء على قدر مخصوص ووجْهٍ معين أراده تعالى فيرجعه عندهم لصفة لأنه عبارة عن الإيجاد وهو من صفات الأفعال الماتريدية (صفات الذات) لاتصاله بالعلم.

القضاء: عند الأشاعرة (منه صفات الذات).

عند الماتريدية (صفة فعل).

فالقدر حادث والقضاء قديم عند الأشاعرة ولا كذلك عند الماتريدية شرح جوهرة التوحيد، ص113.

أورد محمد أطفيش: القدر هو إيجاد الله الأجسام والأعراض والقضاء هو العلم بها في الأزل فهو صفة ذات أمَّا إثباتها في اللوح المحفوظ فهو صفة فعل.

يجب أن تبين النتيجة النهائية وهي العلاقة بين القدر والمقدور والقضاء والمقضي.

الجبر والاختيار:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ (الشورى: 30).

قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ (الكهف: 29).

قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: الآية: 286.

الآيات التي توحي بالجبر: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: 29)، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: 22).

حديث عن الإباضية ولا أدري أصحيح أم لا قال رسول الله ﷺ: سيكون قوم في هذه الأمة يعملون المعاصي فيقولون هي من الله قضاء وقدر فإذا لقيتموهم فأعلموهم أني بريء منهم، فقال رجل منهم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله متى يرحم الله العباد؟ ومتى يعذبهم؟ فقال يرحم عباده إذا عملوا المعاصي فقالوا هي منا ويعذب الله عباده إذا عملوا بالمعاصي فقالوا: هي من الله قضاء وقدر فالطاعة والمعصية هما من خلق الله ومن العباد عمل، مفهوم الكسب عند الإباضية.

آراء الإباضية نسبة الأفعال إلى العباد دون الله.

قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ (المائدة: 30).

قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ (يوسف: 18)، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة: 109).

قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: 17).

الإباضية يخرجون الآيات من باب الكسب.

المعتزلة اعتمدوا على آية: (يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله)، المعتزلة اعتمدوا بأن خلق الإنسان فعله.

﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ جاءت في الأنعام 101، والرعد 16، وآل عمران 62، والمؤمنون 62، والله خلقكم وما تعملون قال أبو عمار من الإباضية يدل على أفعال العباد لا على الأصنام كما ذهب ذلك المعتزلة.

الجبرية (استشهدوا بأن الإنسان مجبر على الكفر) في قوله تعالى: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (النساء: 155).

الإباضية قالوا: أي طبع على قلوبهم بكفرهم الذي اكتسبوه واختاروه.

الإباضية يوردون في بحث المشيئة أن لله مشيئة الأمر ومشيئة الخلق بل هي مشيئة وإرادة.

والهداية عندهم هداية بيان وهداية توفيق.

محمد أطفيش قال: وإضلال الله خذلان وهدايته توفيق ولا إجبار وهما أزليان ولا يتخلفان.

يضل من يشاء بالخذلان عن الهدى لاختيار الضلال بالكسب الاختياري ويهدي من يشاء بالتوفيق إليه الاختياري المهدي وكلا الاختيارين مخلوق لله تعالى.

ومذهبهم: للعبد قدرةٌ مؤثّرة بإذن الله ﷻ مخلوقة له تعالى ولا واجب على الله ﷻ وتوفيقه لمن يشاء فضل وإحسان، البداءة ممن زعم أن الله جبر العباد على الطاعة والمعصية وهم الجهمية وأشياعهم الكسب منزلة الجبرية المطلقة والقدرية المطلقة.

الكسب عند الأشعري مضطرب هكذا يقول الإباضيون لأن الله خلق قدرة العبد وخلق معها الفعل فالإنسان قد منحه الله قدرة كاسبة ليس لها تأثير في خلق الفعل وفي هذا الكسب المخلوق من الله فهذا يؤدي إلى الجبر.

الماتريدي الفعل لله خلقاً وإيجاداً وللإنسان كسباً واختياراً.

الإباضية: يدلك بأن أفعال العباد اكتسبوها وعملوها ولم يجبروا ولم يضطروا إليها.

قال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمون، ومعناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من أكساب العبد وصدورها عن تقدير منه[1].

المعتزلة: يعتقدون أن الإنسان هو الذي يخلق أفعال نفسه الاختيارية وذلك ليثبتوا صفة العدالة والتنزيه لله ﷻ.

يقول د. سعيد: إن الله هو الخالق للفعل الإنساني أي هو الخالق للعناصر التي يتكون منها الفعل[2].

إيجاد العناصر التي لابد منها للفعل من الله لا يعني إيجاد الفعل ذاته.

يقول د. سعيد: الحقيقة الكلية تتمثل في ملكة القدرة على الإرادة والاختيار اللَّذين متعه الله بهما[3].

يقول الدكتور سعيد: إن الإرادة الجزئية هي عبارة عن تعلق الإرادة الكلية بجانب معين من الفعل والترك صادرة من العبد اختياراً وليست مخلوقة لله تعالى لأنها ليست من الموجودات الخارجية بل من الأمور الاعتبارية، ككون الفعل طاعة أو معصية أو من قبيل الحال المتوسطة بين الوجود والعدم.

الماتريدي: أصل ملكة الاختيار مخلوق من قبل الله في العبد.

قال الدكتور سعيد عن ملكة القصد التي تتمتع بها إنما هي نعمة خلقها الله فيك ومتعك بها أما ممارستها بالتوجه إلى جزئيات الأمور فمن كسبك المنسوب إليك[4].

---

(1) النووي على صحيح مسلم 1/ 154.

(2) مسير أم مخير، ص49.

(3) نفس المصدر، ص53.

(4) نفس المصدر، ص57.

الكسب الذي يقول به الأشعري خلاف الماتريدي الذي يقول بالاختيار.

فالكسب هو القصد والعزم ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم. رواه البخاري.

قال الدكتور سعيد: إذن من المعلوم أن دور الآباء في مجيء الأولاد وخلقهم إنما هو التحري والقصد، وليس الإيجاد والخلق ولذلك نسب إليهم من ذلك القصد والعزم وعبر عنه بالكسب ولو قلت بل إن دور الآباء هو الإيجاد والاستيلاء لكان هذا باطلاً من القول لا يؤيده علم ولا يقر به دين[1].

ورد على من قال الكسب ليس فقط القصد والعزم بل هو الفعل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: 30)، ونسب الكسب إلى الأيدي في آيات كثيرة فقال: إنها محاثر عقلي صرف الكسب إلى الأيدي، العبد مختار في أفعاله، وغير مختار في اختياره[2].

أي لسنا مختارين في الاختيار الذي متعنا الله به أي لسنا مختارين في التمتع بهذه الملكة الكلية التي تسمى الاختيار أو المشيئة أو حرية القصد[3].

ابن رشد يهاجم الأشاعرة بالكسب فيقول: فإذا كان الاكتساب والمكتسب مخلوقيْن لله سبحانه فالعبد لابد مجبور على اكتسابه[4].

---

(1) مسيّر أم مخيّر، ص60.

(2) المحقق الكرماني الألوسي، 29/ 167.

(3) مسيّر أم مخيّر، ص92.

(4) مناهج الأدلة.

الخوارج

أقسام: الحرورية، الشراة، والمارقة، المحكمة، الأزارقة.

يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان ﷺ، ويقولون بإمامة علي ﷺ قبل أن يحكم وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري.

رجالاتهم: نافع بن الأزرق، عبد الله بن وهب الراسبي.

العجاردة: خمسة عشرة فرقة:

الميمونية/ الخلفية.

الحمزية.

الصفرية/ زياد بن الأصفر.

البهيسية/ الشرب حلال.

عبد الله بن إباض يقول عن عبد الرحمن بن ملجم هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: 207).

الخوارج يقولون بخلق القرآن، لا يؤمنون بعذاب القبر، عذاب أطفال المشركين.

الخوارج عند الإمام الشهرستاني في الملل والنحل: كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجاً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان.

أشهر الخارجين على علي ﷺ الأشعث بن قيس الكندي ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي..

وقالوا لما حكمت الرجال لا حكم إلا لله.

وفيهم قال الرسول ﷺ: تحقر صلاة أحدهم في جنب صلاتهم وصوم أحدهم في جنب صيامهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم.

وأول من بويع بالإمامة منهم: عبد الله بن وهب الراسبي.

الأزارقة: حاربهم المهلب بن أبي صفرة تسع عشرة سنة ولما مات نافع بن الأزرق بايعوا قطري بن فجاءة المازني، يكفرون علياً ﷺ.

قال عمران بن حطان عن ابن ملجم وهو فقيههم:

يا ضربة من منيب ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس ﷺ وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار جميعاً.

أسقطوا الرجم عن الزاني إذ ليس في القرآن ذكره، الكبائر تكفر كفر ملة خرج به عن الإسلام جملة ويخلدون في النار..

النجدات العاذرية (نجده بن عامر الحنفي وقيل عاصم من اليمامة)، عندهم استحلال دماء أهل العهد والذمة وأموالهم قال من نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها.

ومن زنى وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك وغلظ في حد الخمر تغليظاً كثيراً.

وأجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، البيهسية إلى بيهس الهصيم بن جابر هم قدرية فليس لله في أعمال العباد مشيئة.

العجاردة عبد الكريم بن عجرد وافق النجدات في بدعهم وهم يشكون أن سورة يوسف من القرآن.

الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الإخوة والأخوات وجوب قتال السلطان وحده ومن رضي بحكمه وكل من طعن في دين الخوارج.

الإباضية: عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد انتشارهم، في عمان وشمال إفريقيا وسواحل مدغشقر والجزائر وتونس وليبيا.

ولم يبقَ منهم إلاَّ الإباضية والإباضية ينفون كونهم من الخوارج عن النبي صلى الله وسلم قال: سيكون من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميَّة ثم لا يعودون فيه هم شر الخلق والخليقة. أخرجه مسلم.

الخوارج عقائدهم مختلفة:

فمنهم من يؤمن بالقضاء والقدر.

ومنهم من يؤمن بأن الإنسان يخلق أفعاله.

ومنهم من لا يؤمن بالشفاعة وعذاب القبر.

ومنهم معتزلة يقولون بخلود العاصي في النّار.

ومنهم من يقول بالمنزلة بين المنزلتين.

وأكثرهم يقولون بخلق القرآن.

وأكثرهم يقولون بأن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة.

ومنهم من يلعن علياً كرم الله وجهه وبعض الصحابة..

الإباضية والخوارج يختلفون بالأسماء والصفات ومنهم على قول المعتزلة.

يقولون بإمامة أبي بكر ﷺ وعمر ﷺ..

ولا يقولون بإمامة عثمان ﷺ وعلي ﷺ..

ومنهم من يقول بالإمام من قريش ومنهم من يقول الأمر شورى..

وقد تأثر بعض التكفيريين بهم فأمروا الخوارج بالخروج على السلطان وقتل كل أعوانه ومن يعمل معه..

وبعضهم استباح دماء وأموال كل الذين لم يبايعوهم وخالفوا مذهبهم..

والخوارج في هذا العصر هم المكفرة، وبعض الجهاديين الذين اعتمدوا على كتبهم وآرائهم وجعلوها حجة فكفروا الأمة وقتلوا المسلمين..

عقيدة الإباضية المعاصرة:

الإمام الأول للإباضية جابر بن زيد.

الثاني أبو عبده مسلم بن أبي كريمة.

الإباضية المعاصرة تبرأ من الخوارج..

يعتبر د. فرحات الجغبري: الخوارج من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: 46).

الإباضية المعاصرة يسمون أهل الاستقامة، السالمي.

اعتبرهم أحمد أمين في ضحى الإسلام: أول من تكلم بديمقراطية حقّة لا ترى الأمير إلاَّ كأحدهم..

يقول أبو زهرة في كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية 1/ 91: الإباضية هم أتباع عبد الله بن أباض وهم أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً فهم أبعدهم عن الشطط والغلو ولذلك بقوا.

إمامة عبد الله بن وهب الراسبي أدرك النبي ﷺ وشارك في فتح العراق...

اعتمدوا على قول الله تعالى في الخروج على السلطان: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: 121).

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: 36).

المعاصي كلها كبائر وشرك وكفر..

يعتبر الجغبري أصول الإباضية المعاصرة: (التوحيد، القدر، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأسماء، والصفات والأمر والنهي والولاية والبراءة والأسماء والأحكام)[1].

الخالق خالق الكلام، صفات الفعل ليست أزلية، صفات ذاتية فقط وصفات فعلية فقط وصفات ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار..

يقاربون المعتزلة بصفات الأفعال..

التأويل في الآيات المتشابهة.

الشافعي: آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل إمساك[1].

الزمخشري:

لجماعة سَمُّوا هواهم سنة ... وجماعة هم لعمري مؤفكة

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شُنعَ الورى فتستروا بالبلكفة

(1) المواقف لابن يحيى، 2/ 366.

الخوارج المعاصرون
الإباضية

سموا أنفسهم بأهل الاستقامة، ويسمَّون بأهل الدعوة أو جماعة المسلمين.

قال أبو زهرة عنهم: هم أتباع عبد الله بن إباض وهم أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو ولذلك بقوا[1].

يعتبرون أنفسهم أهل تقييد لا أهل تقليد.

الصحابة عندهم عدول يهتدى بهم ونمسك عما شجر بينهم كما يحكى عن السيد عمر بن عبد العزيز أنه قال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا.

يقولون بأن أبا بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة.. حديث.

ويؤكدون على أنهم ليسوا خوارج المهم ألا تقولوا خوارج لأن الله حرم التنابز بالألقاب ويقول ابن حزم في الملل والنحل 2/ 112 وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة الإباضية أصحاب عبد الله بن يزيد الإباضي الفزاري الكوفي.

الأمور التي يؤكدون عليها:

1 ـ التوحيد.

2 ـ القدر.

---

(1) تاريخ المذاهب الإسلامية، 1/ 91.

3 ـ العدل.

4 ـ الوعد والوعيد.

5 ـ المنزلة بين المنزلتين ـ ألاَّ منزلة بين المنزلتين.

6 ـ والأسماء والصفات.

7 ـ الأمر والنهي.

8 ـ الولاية والبراءة.

9 ـ والأسماء والأحكام.

رجالاتهم جابر بن زيد ـ الربيع بن حبيب ـ عبد الله بن إباض ـ عبد الله بن يزيد الإباضي الكوفي..

ينفون المهدي المنتظر.

البراءة من الفرق الضالة ـ الصفاتية والشيعة والأزارقة وأصناف الخوارج والمعتزلة والجهمية.

صفات الله ذاتية غير زائدة على الموصوف وكذلك صفاته الفعلية القائلون بأن القرآن مخلوق هم المعتزلة والإباضية والشيعة.

وسائل المعرفة عندهم الحس والعقل والشرع.

معرفة الله لا تنال بالتفكير ولا بالاضطرار وإنما تنال بالاكتساب والتعليم وذلك يصح بعد مخبر ومنبه على ذلك..

ندين بأن الله خالق كلامه ووحيه ومحدثه وجاعله ومنزله[1].

نفي رؤية الله ﷻ..

---

(1) عامر الشماخي، كتاب الديانات.

الإمام شورى..

الأشعري يقول: إن أسماء الله لا يقال إنها غير الله، وهو قول الإباضية الماتريدي: إنَّ من الأسماء ما هو غير المسمى ومنها ما هو عين المسمى وهي ترجع إلى الصفات.

الصفات ذاتية، العالم صفة ذاتية..

قادر بذاته القدرة الأولية تتعلق بها لا يجب وجوده ولا عدمه تعلقاً صلوحياً بمعنى أنها في الأزل صالحة للإيجاد والإعدام على وفق تعلق الإرادة الأزلية فيما لا يزال تعلقاً تنجيزياً الكلام كونه تعالى متكلماً بذاته.

والقرآن كلامه ﷻ وفعل من أفعاله (خالق الكلام).

صفات الله ثلاث:

صفات ذاتية فقط.

صفات فعلية فقط.

صفات ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار.

يخالفون الأشاعرة الصفة النفسية الوجود الذاتي..

الصفة السلبية: القدم، البقاء، مخالفة الحوادث، القيام بالنفس، الوحدانية.

صفات المعاني وهي الصفات الذاتية عند الإباضية: العلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام.

صفات معنوية العليم المريد، القادر الحي السميع البصير المتكلم.

عنده الواجب في حق الله/ الواجب الفعلي هو الضروري في العقل كوجود الصانع وحسن العدل وقبح الظلم..

الواجب في حقه تعالى هو ما يترتب على ثبوته له كمال وعلى عدمه نقصٌ ومحال..

المتشابه/ الاستواء ـ المجيء ـ اليد ـ الوجه ـ القرب..

فلسفة الإباضية في فهم ما دل ظاهره على التجسيم من القرآن والسنة واضحة غاية الوضوح تعتمد على سياق النص وعلى ما في اللغة من المجازات والاستعارات فهم يهتمون بالتأويل..

الأحناف: معلوم بأصله مجهول بوصفه..

الشافعي قال: آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل،واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوضِ فيه كل الإمساك..

الإيجي: الوجه وضع للجارحة ولم يوضع لصفة أخرى بل لا يجوز وضعه لما يعقله المخاطب فيتعين المجاز والتجوز عما يفعل.

الاستواء يعارضون المشبهة بمعنى الاستقرار ويخالفون التوقف كما قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعةوالإيمان به واجب.

وعندهم في جامع الصحيح للربيع بن حبيب:

قال جابر بن زيد: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فقال: ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه لا على ما قال المنددون: إن له أشباهاً وأنداداً تعالى الله عن ذلك.

الرازي: أن نقطع بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه[1].

---

(1) التفسير الكبير، 14/ 15.

الأشاعرة طريقة السلف أسلم يعنون لما فيها من التوقف وطريقة الخلف أعلم يعنون لما فيها من العلم حيث بينوا المراد به.

الإباضية لم يزل مستولياً على العرش وغيره بالقهر والغلبة، استحالة الرؤية لله تعالى في الدنيا وفي الآخرة..

ابن حزم: وأن الله تعالى يراه المؤمنون يوم القيامة بقوة غير هذه القوة[1].

إن الله موجود وكل موجود يصح أن يرى ينتج أن الله يصح أن يرى.

رد الإباضية أن الأصوات موجودة والروائح واللمس والذوق.

قال الغزالي: إن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتمُّ وأوضح من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة، وهو مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة.

قال الغزالي: لابد من تقوية بصر الإنسان كي يرى الله..

المعتزلة: الرؤية بالحاسة السادسة يوم القيامة..

---

(1) المحلى، 34.

الصلة بين المعتزلة والشيعة

اشترك الطرفان الشيعة والمعتزلة في الحكم العقلي للنص فلابد من تحرير العقل من النقل عند الطرفين ولا ينسون أن العقل كان أولاً ثم بعده جاء النص وعكس الحملة ليس صحيحاً أبداً بعض الشيعة يضعون النص المقدس الوحيد هو القرآن الكريم.

والمعتزلة لا قدسية لشيء مخلوق فإن عارض النقل حتى القرآن يؤولون النص القرآن بما يطابق عقولهم.

واستمدوا أقوالهم من الآية الكريمة: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك: 10).

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: 43).

وقال أيضاً: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (النور: 61).

يجب فرز التراث وما طابق العقل قبلناه وما خالفَ العقل من التراث الإنساني من تفسير وفقه وتاريخ وسيرة وأحاديث ضعيفة أو موضوعة رفضناه (المعتزلة).

فالعقل هو مجموعة أنظمة معرفية معقدة متشابكة مع بعضها لمعرفة قوانين الحياة والعقل ليس مصدراً وإنما المصدر للشرع الإلهي الدائم المقدس للإنسان هو كتاب الله ﷻ.

إن الأقلام المحدثة تثير موضوع حول قاعدة (لا اجتهاد في مورد النص) فيها غموض فهل النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة كالنص ظني الثبوت ظني الدلالة.. ويعتبروها وسيلة لاغتيال العقل.

واتخذ هؤلاء فهم الصحابة وآل البيت فهماً تاريخياً للإسلام لا يسحب على غيره من المجتمعات.

في نفي مصدر السنة اعتمد على حديث قال رسول الله ﷺ: (أطيعوني ما دمت معكم فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه) مسند الإمام وصحَّحه الألباني. (الأحاديث الصحيحة رقم 1472).

المعتزلة مختلفون في مدى تقديرهم لمواهب العقل.

فالنظام (يرى أن الإنسان العاقل يتوصل إلى معرفة الخالق).

قبل ورود الشرع ينظر العقل[1].

العلاف يذهب أبعد من النظام في تقديره قوة العقل إذ قال إن معرفة الله تعالى ومعرفة الدليل الداعي إلى معرفته بضرورة العقل. (الحواس أو القياس كلها سببية).

أما ثمامة فقد كان أكثر من العلاف نفسه تطرفاً لأنه اعتبر المعارف كلها ضرورية جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب قالا من قصر في المعرفة يستحق العقوبة أبداً.

والعقل يميز بين الحسن والقبيح قبل ورود الشرع ما عدا العبادات فهذه سبيل إدراكها السمع لا العقل.

ولتحقيق العدالة بحكم العقل نفوا القدر فكانوا دعاة الحرية والإرادة في الإسلام أدى بهم حتى إن عمرو بن عبيد بن باب أدى به إلى رد للأحاديث النبوية وتحامله على بعض الصحابة كعلي وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم.

---

(1) أصول الدين ص256 والملل والنحل ج1/ 65 ـ 66.

ولذلك نظر النظام إلى الأحكام الشرعية فأبطل خبر الواحد لأنه لا يوجب العلم الضروري.

وأنكر الإجماع واتهمه البغدادي بأنه قصد إبطال أحكام فروع الشريعة بإبطال طرقها ويختلفون بالإمامة مع الشيعة.

ويقول عن قتل عثمان ﷺ إما أن يكون يستحق ذلك وعندها فقد زالت عدالته وجب فسقه وإما أن يكون غير مستحق لذلك وعندها فقد فسق الصحابة لتركهم الدفاع عنه.

لقد ناقض المعتزلة مبادئ قدموها وهي حرية الاعتقاد فقامت فتنة في قتل كل من خالفهم وعذبوا وسجنوا كل مخالفيهم.

لقد اجتمعت كلمة أهل السنة والشيعة ضد المعتزلة.

وكفر المعتزلة بعضهم بعضاً أبو هذيل العلاف كفر النظام في كتابه الرد على النظام.

الإسكافي كفر في أمور كثيرة وجعفر بن حرب (توبيخ أبي الهذيل) كفر فيه أستاذه الراوندي والمعتزلة. ترك الاعتزال وناصر الشيعة.

وله كتاب (الإمامة) وفضيحة المعتزلة لابن الراوندي.

إن سبب ضعفهم انشقاقهم وعدم توحيد صفوفهم.

ثم جاء الأشعري وناظرهم وقطع أدلتهم.

إن المعتزلة ذهبوا بعيداً في تقدير العقل والاعتماد عليه حتى أهملوا النقل وتركوا الحديث وتحاملوا على المحدثين وكذبوهم وأولوا المتشابه من آي القرآن الكريم تأويلاً لم يقرهم أهل السنة عليه.

الأشعري كما يقول الغزالي: (لا نرى معاندة بين الشرع المنقول وبين الحق المعقول)[1].

في ظل البويهيين تآخى المعتزلة والشيعة وارتمى المعتزلة في أحضان الشيعة فاجتمع الشيعة والمعتزلة ضد السنة واستفادوا من خبرتهم وجهودهم.

الشيعة لم يكن لهم مذهب كلامي فاقتبسوا عن المعتزلة أصول الكلام وأساليبه حتى إنَّ ابن بابويه القمي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري اتبع في كتابه العلل طريقة المعتزلة الذين يبحثون عن علل كل شيء.

ولذلك قال آدم متز: إن الشيعة من حيث العقيدة والمذهب ورثة المعتزلة[2].

والمقدسي نظر في كتب الفاطميين الشيعة في شمال أفريقية فوجد أنهم يوافقون المعتزلة بإنكار إجماع المسلمين حجة وقولهم الحجة في قول الإمام المعصوم وقلة اعتداد المعتزلة عموماً بالأخبار المأثورة.

الإسكافيّ كان يتشيع لعلي ﷺ.

ويقول الذهبي: إن الشيعة والاعتزال تصادقا في حدود سنة 34هـ وتراضياً.

الصاحب بن عباد اتخذ الاعتزال عن أبيه وكان غالياً فيه داعياً له ونصر المعتزلة عندما صار قاضي القضاة.

لقد اجترأ المعتزلة على لعن الأشعرية والشافعية وأهل السنة جميعاً في عهد عميد الملك وزير لطغرلبك، ثم انتهى دورهم بصدور أوامر نظام الملك

---

(1) الاقتصاد في الاعتقاد، ص2.

(2) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ص102.

الوزير الجديد ولكن في خوارزم نشر الأصبهاني محمود بن جرير المذهب وكان من تلاميذه الزمخشري ومن ثم تبنى فكرة المعتزلة عبد الجبار الخوارزمي.

الرافضة الشيعة اعتنقوا مذهبهم وساروا على أصولهم.

والزيدية في اليمن يوافقون المعتزلة في أصولهم كلها إلا في مسألة الإمامة.

قال المقبلي: (إن الزيدية في هذا الجيل من اليمن معتزلة في كل الموارد إلا في شيء من مسائل الإمامة).

إن كلام المقبلي إن الزيدية يعظمون المعتزلة كثيراً ويضعونهم في مصاف الأئمة وخاصة أبو علي الجبائي وولده أبي هاشم[1].

قال جمال الدين القاسمي: استمر الشيعة على الاعتزال إلى يومنا هذا، إن المعتزلة اليوم كفرقة أهل السنة والجماعة من أعظم الفرق رجالاً وأكثرها تابعاً لأن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة كذلك شيعة الهند وفارس والشام والزيدية في اليمن[2].

المعتزلة الجديدة مدرسة فكرية شكلها المستر أحمد خان سيد أمير علي.

يرى رجال هذه المدرسة أن الإسلام الصحيح دين العقل.

لاسيما أمير عليكاره وآغاخان أمير الإسماعيلية.

نقل الذهبي في ميزانه لسبعة وعشرين معتزلياً ممن روى عنهم الشيخان.

النظام يرى أن حجة العقل تنسخ الأخبار.

الأشعرية النقل هو الأساس وأن العقل خادم للنقل ووسيلة لإثباته والبرهان على صحته.

---

(1) العلم الشامخ، ص108.

(2) تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص42.

يقول الغزالي: (المعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن كالمتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان)[1].

ابن المرتضى في كتابه «المنية والأمل» خلط في الطبقات للمعتزلة بين المعتزلة والشيعة لأن المؤلف شيعي.

نقاط الاتفاق والخلاف بين المعتزلة والشيعة:

- الإمامة.
- صفات الله ﷻ الذي ذكرها الأشعري في مقالات الإسلاميين في وصف الله وبين فيها الخلاف بين المعتزلة والشيعة.
- الشيعة مرتكب الكبيرة نسميه كافر نعمة فاسقاً.
- المعتزلة تعتبره منزلة بين المنزلتين.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اختلفوا فيه.
- حديث: (ليس لعين ترى الله يعصى أن تطرف حتى تغير أو تنتقل) قالَ به المعتزلة: الشيعة قالوا لا يقوم به إلا الأئمة.
- عند المعتزلة واجب بوجود إمام أو لم يوجد.
- في شرح الأصول الخمسة قال هي من فروض الكفايات لبعض المعتزلة تغييرها فرض عين.
- المعتزلة والشيعة قالوا بأن الاستطاعة التي يكون بها الفعل هي قبل الفعل بوجوده في الإنسان.
- القدرية أخذها غيلان الدمشقي من الحسن بن محمد بن الحنفية.

---

(1) الاقتصاد في الاعتقاد.

إذن الشيعة والمعتزلة مذهب واحد في نفي خلق الله للأفعال.

أخذ فكرة القدر من سوسن وكان من نصارى العراق ثم أسلم.

نسب المستشرقون أن يوحنا الدمشقي حسب قول سيل أن اصطلاحات العدل وحرية الفعل كلها من آثار المسيحية، ونفى الدكتور عبد الرحمن بدوي أي تأثير للمسيحيين لأنهم لم يكونوا يتكلمون بحرية الرأي.

اشترك الزيدية والمعتزلة في صفات الله.

إن الله عالم قادر حي بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة.

الشيعة قالوا عالم بعلم محدث.

الشيعة اختلفوا مع المعتزلة فرقتين في خلق القرآن أو قديم.

قال هشام بن الحكم وأصحابه يزعمون أن القرآن لا خالق ولا مخلوق وبعضهم قال غير مخلوق لأنه صفة والصفة لا توجب.

الفرقة الثانية أنه مخلوق محدث.

الشيعة إن الله قادر أن يُقدر عباده على فعل الأجسام والألوان والطعوم والأراييح وسائر الأفعال.

المعتزلة محال أن يقدر الله عباده عليها إلا الحركات.

لا جبر ولا تفويض بل أمرين/ لعلي رضي الله تعالى عنه.

الإنسان يملك إرادة الفعل وإرادة الترك كما يبرهن على ذلك الواقع الموضوعي لكل حركاته وممارساته وفعاليته[1].

الشيعة لا يؤمنون بالإجماع كمصدر من مصادر الشريعة.

---

(1) التشيع، ص314.

اشتركوا بعدم الرؤية لله في الدنيا ولا في الآخرة.

اشتركوا بعدم الأخذ بالحديث إلا المروي عن المعصوم وأما المعتزلة فيؤلون الحديث الصحيح وبعضهم يرفض الأحاديث كلها.

والمعتزلة لم يأخذوا بأخبار الآحاد.

الأحمدية والقاديانية..
في ثوبها الجديد

إن الأمة العربية والإسلامية تعيش اليوم إرهاصات نهضة حديثة تتواكب معها منطلقات علمية واقتصادية ودينية ترتكز على أسس واقعية، وضمن كل ما يحدث على الساحة العربية والإسلامية، تظهر معالم المؤامرة لتفتيت القوى، وتمزيق الكلمة، وإشعال نار الفتن وعند ظهور الحركة القاديانية في منتصف القرن الماضي بتخطيط ودراسة دوائر الاستعمار البريطاني في الهند للعمل المبرمج لتدمير وحدة الكلمة، وإيجاد شرخ بين أفراد الأمة مع عملية إنهاء معتمد ومدروس، ظهر غلام ميرزا المدعوم من الحكومة البريطانية ليدعي النبوة، وظهرت الردود العلمية، والحوارات الجادة فهبط من ادعائه للنبوة إلى كونه المسيح الموعود بعد الفشل الذريع الذي لحق به ادعى أنه المهدي المنتظر والغاية الكبرى من كل هذه الدعاوى الباطنة التمزيق والشرخ وإضعاف هذه الأمة وإشغالها بأمور جانبية تبعدها عن أسس النهضة، ومنطلقات المستقبل الواعد الخير. وإن الدعم الذي نجده للقاديانية والأحمدية في بريطانيا وأوربا وأمريكا وأفريقيا والمحطة الفضائية التي تبث بكل اللغات على مدار الأيام ليحكم علينا أن نتوقف لنناقش النتائج التي حققتها:

من أهم هذه النتائج التي تحققت من هذا الدعم:

1 ـ انتشار الحركة وتزايد عدد المنتسبين إليها بالإغراء المادي والمعنوي.

2 ـ الشرخ والتمزيق والانقسام في العمل الإسلامي بمحاولة استمالة العديد من المسلمين الجدد إليها لجهلهم بالإسلام الحقيقي.

3 ـ الدعوى إلى إبطال الجهاد ضد الاستعمار واليهود حيث أوجدوا مركزاً كبيراً لهم في فلسطين المحتلة لاستمالة الشعب الفلسطيني للحركة والتعاون مع اليهود، والهجوم على كل المجاهدين الذين يحركون العمل الفدائي لاسترداد الأرض المسلوبة.

4 ـ تكفير المسلمين الذين لا ينتسبون إليهم، ويعتبرونهم عصاة لله ولرسوله، بعدم إيمانهم بالمسيح الموعود غلام ميرزا أحمد وهذا يكفي لتحطيم وحدة الصف والكلمة.

5 ـ إظهار تفسيرات جديدة للقرآن الكريم تتواكب مع عقائدهم وأفكارهم وتخالف كل الثوابت والحقائق العلمية التي أجمعت عليها الأمة.

6 ـ إلهاء الأمة بالخلافات الجانبية، وإبعادها عن العمل الجاد لنهضة عربية إسلامية حقيقية، وهذه من أكبر الأهداف للمؤامرة على العالم العربي والإسلامي لإبقائها في حالة استهلاكية لمنتوجات الغرب وسوقاً لمصانعهم وبذلك يحققون تجهيل وإضعاف هذه الأمة.

7 ـ تكريس موضوع المهدي المنتظر وإظهار مكانته وقيادته، وإحياء أفكار قديمة ميتة لإبعاد الوعي العربي والإسلامي عن الفكر العلمي والواقعي وفي هذا الأمر تتم المؤامرة على عدم تفعيل العقل العربي والإسلامي للحداثة والمعاصرة والنهضة، والعجب كل العجب أن يعاد نشر هذه الأفكار من جديد وعلى الساحة العربية وتسمح وزارات الإعلام بإصدار أمثال هذه الكتب ونحن نتطلع إلى الألفية الثالثة التي نصبو فيها إلى ازدياد

الوعي العلمي، وإبعاد الخرافات، والشعوذة، والضلالات وكتب السحر، والجن، والشياطين، والأساطير.

حيث أعلنت المجامع الفقهية في العالم العربي والإسلامي موقفها واضحاً وصريحاً ببطلان هذه الحركة القاديانية والأحمدية والبهائية، فرابطة العالم الإسلامي قد أعلنت موقفها الصريح، والأزهر قال كلمته، وجماعة كبار علماء الهند وباكستان أصدروا كتباً بالرد عليها ومن ثم نرى إحياء لهذه الحركة في هذه الأيام، وانتشار كتبها من جديد فلا ندري ما هو الدافع، وما هي الغاية، ولماذا يسمح لهذا الفكر الظلامي الجامد والخرافي أن يظهر بلباس جديد ودعوة فردية وجماعية على ساحتنا العربية والإسلامية.

ومن هذا المكان أدعو كل الأمة والعاملين في الفكر، والعلم، والنشر ومن بيدهم القرار إعادة النظر بأمثال هذه الكتب ودراستها وتحليلها والرد عليها لتعي الأمة دورها الحقيقي في الوعي المستقبلي وما يخطط لها، وكل ذلك يتم ضمن مؤامرة كبرى لازدياد الشرخ والتمزيق وشرذمة الفكر الناضج العلمي الذي بدأ يتنامى في أمتنا العربية والإسلامية.

دراسة موجزة عن الأحمدية (القاديانية):

قيل للأحنف بن قيس: إن المختار بن عبيد يزعم أنه يوحى إليه فقال: صدق وتلا قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ (الأنعام: 121).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ (الأنعام: 93).

وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة: 3).

والباحث في التاريخ الإسلامي يلمح أنه يبتلى بأناس لهم نفوس نزاعة إلى الغواية، والضلال وحب الرئاسة والشهرة وتزداد حالتهم سوءاً إلى أن يصلوا إلى ادعاء النبوة أو أنهم المهدي المنتظر أو المسيح الموعود أو غيره.

والعديد منهم قد ظهر كمسيلمة الكذاب، وسجاح، والأسود العنسي، والحارث بن سعيد، وإسحاق الخرس، ثم ظهر في الهند غلام ميرزا أحمد مبتدع القاديانية.

ولد غلام ميرزا أحمد عام 1838م ـ 1252هـ وتعلم ثم عين نائب المندوب السامي في (سيلكوت) وفي سنة (1876م) مرض والده فزعم غلام ميرزا أحمد أنه نزل عليه وحيٌ من الله بأن أباه سيموت بعد الغروب.

واستهجن المسلمون دعواه، ثم أصدر بياناً بأنه المسيح المنتظر، ثم انتقل إلى دلهي داعياً إلى نحلته فواجهه العلماء بالإنكار، ثم عاد إلى لاهور عام 1892 وناظر بعض العلماء، ولم يبينوا لنا نتائج هذه المناظرات، وفي عام 1898 وضع لأتباعه قانوناً بمنع الزواج ممن لا يصدق بنبوته، وبنى مسجداً في قاديان، وفي سنة 1901 أعلن مبدأ التفريق بينه وبين المسلمين، ثم أصدر مجلة سماها مجلة الأديان عام 1902 لنشر مذهبه، وفي عام 1907 أقامت حركة وطنية في البنجاب فانحاز غلام ميرزا أحمد إلى جانب الحكومة وأذاع منشوراً دعا أتباعه إلى موالاة الحكومة ومساعدتها على إخماد الحركة الوطنية، وبدأ يدعي الوحي من الله وقال: بل هي حقائق أوحيت إليّ من رب الكائنات.

وجاء في كتاب البشارة الإسلامية الأحمدية: إنَّ أحد دعاتهم أبو العطاء الجلندهري كلم الله أحمد يعني غلام ميرزا أحمد بجميع الطرق التي يكلم بها أنبياءَه، لأن الأنبياء في وصف النبوة سواء، وهو دجل محض وكذب وافتراء لأنّ

ادعاءه مخالف لما ذكره محمد ﷺ خاتم النبيين، فقد ذكر في صحيح البخاري أنّ رسول الله ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي). وفي حديث آخر قال في نهايته: (فأنا اللَّبِنَة وأنا خاتم النبيين)، وفي رواية مسلم: (فأنا موضع اللَّبِنَةَ جئت فختمت الأنبياء).

وعلى هذا انعقد إجماع المسلمين بأنه انتهت به النبوات وأصبح بمنزلة المعلوم من الدين بالضرورة. وقال ابن كثير في تفسير (وخاتم النبيين): قد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال.

وقال الألوسي في تفسيره: وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه.

واعتمد ليوهمك وجماعته أسلوب المباهلة وانتصر عليه العلامة مولوي ثناء الله، ثم أرسل له دعاء إن كان على الحق أن يميت المولوي ثناء الله، وإن كان على الباطل أن يميته فأماته الله بعد سنة من هذا الدعاء عام 1907، والرسالة كانت عام 1325هـ ومات في العام نفسه.

أما الأستاذ المولوي ثناء الله فقد عاش طويلاً بعد ذلك، ومما جاء في كتاب الاستفتاء أورد خطاباً له من الله قال الله تعالى: أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، أنت منى بمنزلة عرشي، أنت مني بمنزلة ولدي.

ومما ذكر في كتب صدرت من غلام ميرزا أحمد وجمعها الشيخ المولوي: (قال الله إن أمرك إذ أردت شيئاً أن تقول له كن فيكون).

ومما صدر من الكتاب كتاب أحمد رسول العالم الموعود ورد فيه يخاطب أتباعه فليذكروا دائماً أن الحكومة الإنكليزية هي رحمة وبركة لهم،

فهي الدرع التي تقيكم، إن الإنكليز خير ألف مرة من المسلمين الذين هم أعداؤكم.

وعلى أتباعي أن يقدروا هذه الحكومة الإنكليزية ويظهروا لها شكرهم واعترافهم بالجميل بالولاء وحسن الطاعة وقد نشر هذا الكلام في كتاب (تعاليم المسيح المنتظر).

ومما نقل عن الدكتور زكي كرام والأمير شكيب أرسلان أنه قرأ في بعض كتب غلام ميرزا أحمد أنه يحمد الله حيث ولد تحت راية إنكليزية وبعيداً عن المسلمين.

ومن ثم بعد موت خليفته نور الدين انقسموا إلى فرقتين، قاديان ورئيسها محمود بن غلام أحمد وهذ الشعبة تعتبر غلام ميرزا أحمد (نبياً مرسلاً).

وأما الفرقة الثانية فهي الأحمدية وبدأت تتظاهر بأنها فرقة مسلمة تؤمن بالله وبكل القرآن الكريم ولها تفسيرات خاصة، وتدعي أن غلام ميرزا أحمد (المهدي المنتظر) وهو مصلح ومجدّد لا نبي وهم الآن يحاولون التظاهر بكل دعوتهم أنهم مسلمون يؤمنون بالله وبالقرآن الكريم ومذهبهم في الفقة مذهب أبي حنيفة، وذلك حتى يبينوا للناس مظهراً جديداً، وأنهم جماعة إسلامية متوحدة، وهذا ما ظهر في كتاب آخر صدر في دمشق وسماه (النبأ العظيم) للقادياني محمد منير إدلبي وصدر كتاب آخر بترجمته اسمه، (فلسفة التعاليم الإسلامية) لغلام ميرزا أحمد.

وأن يظهر من ارتباطهم بالحكومة الإنكليزية مركزهم الكبير هناك والإذاعات والمحطة التلفزيونية الصادرة بعدة لغات، وقال خليفة القاديانيين في احتفال كبير بعد دخول الإنكليز إلى بغداد وبيت المقدس: إن

رقينا وتقدمنا متوقف على رقي الحكومة الإنكليزية وتقدمها، فحيثما اتسعت رقعتها، تيسر لنا ميدان جديد للدعوة وصار لهم أكبر مركز في الشرق الأوسط في حيفا.

ولقد صدر هذا الكتاب بموافقة وزارة الإعلام في سورية تحت رقم / 44131/ تاريخ 4/ 3/ 1999 وسماه صاحبه (النبأ العظيم) ومؤلفه محمد منير إدلبي، يقع الكتاب في (375) صحيفة ضمن سلسلة الذين يجهلون الإسلام (5).

وتحت العنوان دون هذه العبارة (النبأ العظيم ـ دراسة تحليلية من القرآن والحديث الشريف والكتاب المقدس تثبت ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام بالبرهان العلمي والمنطق السليم).

يبدأ كتابه بالهجوم على اليهود وفسادهم وقتلهم الأنبياء ويؤكد أنهم هم (المغضوب عليهم) في ص11، ثم ينظر إلى العالم الإسلامي بنظرة سوداوية ويستشهد بحديث: (يوشك أن يأتي الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء منهم تخرج الفتنة وفيهم «تعود» مشكاة المصابيح) كتاب العلم (وهو ضعيف).

وهو مما أخرجه في المشكاة وضعفه المحقق لوجود رجل فيه قد شاخ وخرف.

واستشهد المؤلف بآية: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء: 141).

وبين حالة المسلمين اليوم وأنهم ليسوا مسلمين (بالإجماع) ولم يخصص أحداً ولهذه الآية توضيح في مجلة كلية الدعوى العدد / 16/ رداً على موضوعه الذي استشهد له.

وهاجم العلماء وقال كلهم جهالات وبدعات وموائد وموالد واستفاض، ص17.

ومن المضحك المبكي أن فسر الأمر (القرآن) وأنه سيعرج بعد ألف سنة من بعثة الرسول ﷺ واستشهد ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: 6).

وجعل الأمر هنا القرآن وأنه سيعرج بعد ألف سنة والرازي فسر الأمر الإلهي بالأوامر والعروج للأعمال ولا ندري كيف يعرج القرآن وليس أي دليل على قوله لأن كتاب الله هو الأزلي الأبدي إلى أن تقوم الساعة ثم في ص25 يحدد (1300) زمن المتنبأ به عن بلوغ المسلمين ذروة ضلالهم بسبب بعدهم عن كتاب الله ليهيِّئ لنزول المسيح الموعود أو المهدي المنتظر أو النبي ميرزا غلام أحمد.

ثم يستشهد بآية: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الجمعة: 3).

(وآخرين منهم) تعني من فارس، أي إنَّ الإيمان الحق سوف يرتفع من بين الناس يعرج إلى السماء وأنه لن يعود إلى الأرض حتى يأتي به رجل من قوم سلمان الفارسي، أي رجل من فارس، وهذا مصداق لحديث شريف: (لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناوله) صحيح مسلم على زعمه.

ويبرهن على أن القرن الثالث عشر من بعثة رسول الله ﷺ فيه تتحقق النبوءة، ويكون زمن بعثة الإمام الموعود الذي يعيد الإيمان من الثريا وهو عجمي.

ويقول الإمام الرازي: (وآخرين منهم هو عطف على الأميين، وقال مقاتل يعني التابعين من هذه الأمة لم يلحقوا بأوائلهم، وفي الجملة معنى جميع الأقوال فيه كل من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة والمراد بالأميين العرب، والآخرين سواهم من الأمم، وقال بعض المفسرين هم الأعاجم يعنون بهم غير العرب أي طائفة كانت)، فمن أين أتى بهذا الدليل لإثبات نبوءة أو مجيء النبي الموعود أو المهدي أو.. يستشهد بحديث ضعيف (ستفترق أمتي....) ص31 ـ 32.

ثم بعد هذا الافتراق سوف يأتي الإمام الموعود ليحيي العالم من جديد في ظل المهدي الروحي الذي سيفتح له العالم بنوره وهديه ورحمته؟ ومات ولم يتحقق له أي شيء؟.

ويرد على المهدي في ص47 ويستشهد بحديث (ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله ﷻ رجلاً منهم يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً)، وأحاديث المهدي كلها ضعيفة، ويتناقض مع نفسه فمرة يقول من الفرس ثم يستشهد بحديث منا أي من العرب.

ويستشهد بقول الشافعي أنه من أهل بيت النبوة والمهدي فارسي من سمرقند وليس من بيت النبوة؟.

ولا يفرق بين فيج أعوج وثبج أعوج. ويقول بفيج أعوج ويهاجم العلماء ويقول في الصحيفة 62: (العلماء قد صاروا بجهلهم هم فاتنة الشر التي أوصلت الخراب حتى إلى المساجد (إلا مساجدهم 6000) وفتنت الناس عن دينهم الحق).

ويقول بأن هذا المسيح الموعود يرد الدين وهو فاتح الدنيا وغلام ميرزا أحمد لم يرد الدين في الهند وباكستان وإنما أوجد فتنة ولم يفتح الدنيا إلا للإنكليز.

ثم بدأ بالدليل على ظهور المهدي بشهادة الخسوف والخسوف في رمضان، وبين في ص116 الحديث: «إن لمهديِّنا آيتين لم تكونا منذ خلق السموات والأرض ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه». الدارقطني.

ثم يأتي الاستشهاد بالتناقض أن الخسوف تم في 13 رمضان والكسوف في 28 رمضان وهذا دليل على كذب دعواه من أدلتهم.

ومما يدلنا على اهتمام الانكليز بهذا الداعي الكذاب أن الدكتور كرامر مدحه في ص126 وقال عنه في ص126 ميرزا غلام أحمد شخصية فريدة.

ويبدأ بالانحراف الواضح في ص139 بأن الله يحدثه ويوحي الله إليه ويعلمه حقائق الإسلام والكتاب وأن جعله الله الإمام المهدي المنتظر الذي ينتظره المسلمون جميعاً ليملأ الأرض بالإسلام عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً (ومات ولم يحقق ذلك) ثم يعود ليؤكد آية الخسوف والكسوف بآية: (فإذا برق البصر وخَسَفَ القمر وجمع الشمس والقمر).

في رمضان وهذا دليل نبوة المسيح الموعود الكذاب؟ ويفسر الآية ص65 بأنها آية من آيات براهين ظهور المهدي الموعود؟.

ويأتي بدليل جديد ويتلوه شاهد منه، ومن أهله وهو الإمام المهدي المنتظر.

ومن ثم يستطرد في شرح صدق نبوته من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ (الحاقة: 44-46).

وعدم قتله دليل على صدق نبوته ولكن الآية دليل على أن الرسول لم يتقول على الله أي حكم من هواه وإنما اتبع ما أوحى الله إليه وليس فيها أي دليل على صدق النبوة أو عدم صدق النبوة.

ويقول ميرزا غلام أحمد (كذلك شرفني بمكالمته ومخاطبته).. أي بالوحي ص193 والله ﷻ هو الذي أنبأه ليبشر الناس بها، ص193.

ويؤكد بأن دعوته ستنتشر وتملأ الدنيا ص197 وبشائر له ولجماعته بالعلو والنصر والتوفيق.

وفي الكتاب كلام كثير يظهر فيه أنهم قد عادوا إلى الإسلام الصحيح كاملاً، وإذا لم نؤمن بغلام ميرزا أحمد كنا مكذبين ببيان رسول الله ﷺ ونكون قد عصينا الله ورسوله، والكتاب في الحقيقة هو تطور في حركة الأحمدية ليظهروا للناس أنهم من أمة محمد وأنهم مؤمنون بالقرآن والإسلام كله، ولم يرد على سؤال جاءه من المناظر بأنه مات في المرحاض على وجهه، ويهاجم الدكتورمحمد سعيد رمضان البوطي في كل ما قاله عنهم في كتابه كبرى اليقينيات الكونية.

وأختم كلامي بأنها تطورت لتشكك الناس بالحقائق التي تؤمن بها وتدعي الإسلام والإيمان ولا تؤمن بالجهاد وأبطلت الجهاد نهائياً ضد الإنكليز واليهود، والجهاد بالدعوة والكلمة فقط، لأن المسيح الموعود سيكسر الصليب ويمنع الخنزير ويوقف الحروب وقد أوقفها هذا المدعي الكذاب رغم كون إسرائيل تتعدى علينا وعلى مقدساتنا وأخذت أرضنا فكيف نبطل الجهاد تحت راية دولتنا لاسترداد حقوقنا.

دراسة عن كتاب
فلسفة تعاليم الإسلام

الكتاب صدر بتقديم محمد منير إدلبي لميرزا غلام أحمد القادياني، وتصدّر الإهداء إلى رئيس المحافل القاديانية في سورية الذي رحل عن هذه الحياة مصراً على انحرافه.

ويظهر الكتاب بأنه بيان وتوضيح في مؤتمر الأديان ليحاول إيهام الناس أنه الوحيد المدافع عن الإسلام والقرآن والنبي محمد ﷺ.

وفي الصفحات الأولى وضح اعتماده على القرآن الكريم بعبارة غامضة: «لكي لانتوسع فيما إليه (أي محمد ﷺ) من سلطة التمثيل (الأسوة) بحيث تنشيء من عنده كتاباً جديداً، وهو هجوم مبطن على السنة».

وفي عنصرية حاقدة يحاول الهجوم على العرب حيث قال في ص37: (لأن الأمة التي بعث نبينا محمد ﷺ منها كانت أكثر الأمم همجية، ولم يكن قد بقي لديها شيء من الآداب الإنسانية، ونسي وتناسى صفة الكرم والجود والمروءة والوفاء والشجاعة وحلف الفضول وإغاثة الملهوف وغيرها من القيم التي كانت منتشرة في هذه الأمة العربية).

وفي فهم خاص للمعاني يفسر بعض الكلمات بشكل يدل على جهل تام فقال الكافور مشتقة من الكفر.

وفي تفسير السائل والمحروم، فسر المحروم من قوة النطق، والمحروم كالكلاب والهررة والعصافير كما فسر قوله تعالى: (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) أي عليكم ألا تنفكّوا منهمكين في مواساة القوم بدون كلل وملل،

ليبعد موضوع الجهاد بأي وسيلة، لأن الجهاد معطل في عقيدته ونظرياته وفلسفته.

ويظهر بشكل جلي أنه يؤمن بوحدة الوجود بقوله: (الذات اللطيفة والكامنة في كل شيء كمون النار في الشرر) وهي نظرية الحلول والاتحاد.

ويحاول إسقاط أهمية الدليل العقلي لوجود الله ﷻ، ومن أجل الوصول إلى غاية في نفسه أنه خاطب الله وكلَّمه وتوصل إلى قمة الكشف والوحي أكد أن الإنسان الكامل يصل في حالة القرب من الله إلى الوصال والمكالمة والمخاطبة، ص76.

كما يتبين من عباراته في ص84، أنه يؤكد وجوب الحسن على الله، وبهذا يظهر بأنه معتزلي بوجود الأصلح على الله وذلك بقولهِ (استوجب عملهم هذه كنتيجة له فضلاً من الله تعالى هو أنه يهديهم سبيله حتماً) وأهمل المشيئة الإلهية.

ثم يخالف المعتزلة ويؤكد أن الصالحين وهو منهم يتشرفون في هذه الدار برؤية الله ﷻ. (ويشعر القارئ بأنه قد رأى الله ﷻ) وفي فهم خاطئ يفسر قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (البقرة: 26). قال: إن الله قد شبه هنا الإيمان بالجنة التي تجري من تحتها الأنهار، وفي هذا التشبيه فلسفةٌ عليا.

ثم يعود ليؤكد فكرة وحدة الوجود بأن الإنسان يتحد بالله اتحاداً كاملاً ليصل إلى فكرة الاتحاد والحلول التي يقول بها النصارى عن المسيح عليه السلام، ليصل إلى أنه هو المسيح الموعود الذي اتحد مع الله ﷻ.

ويخالف العقيدة بشكل واضح بقوله في ص100: (كلمات الله التي فاضت من فم الله سبحانه وتعالى) وهذه صفة لم تذكر في القرآن، ولا يجوز

إضافة أي صفة لله لأن الصفات موقوفة على ما جاء في القرآن أو ما جاء به الرسول ﷺ وحياً.

وبشكل مضحك يفسر ويحلل كلمة برزخ بأنه برزوخ.

وبتفسير باطني إشاري يفسر قوله تعالى: (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) فسرها بقوى النفس السبعية والبهيمية والواهمة.

كما يؤكد أن النعيم في الجنة روحاني وليس مادياً مطابقاً لآراء المسيحية في ص109 ثم يؤكد أن الجنة والجحيم ليستا شيئاً مادياً جديداً من الخارج بل هما من آثار الحياة الروحانية وظلالها.

ثم يعود ليفسر القرآن من عنده بأن ناقة الله التي جاءت لقوم سيدنا صالح عليه السلام، إنما هي النفس البشرية.

وفي ص133 وبعد مقدّمات بأن الوحي لم ينقطع بعد محمد ﷺ قال: (وإننا ولا ريب بحاجة إلى الوحي المباشر حتى نكتسب العرفان الكامل)، والله سبحانه وتعالى قد (ترك لهم باب المكالمة والمخاطبة مفتوحاً أيضاً) ويستشهد بقوله تعالى: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ فيقول إن عباد الله الصالحين يتلقون الوحي من الله عندما يصيبهم الخوف والحزن، وأن الملائكة يتنزلون عليهم ويطمئنونهم بأن لهم البشرى في الحياة الدنيا، والأولياء يتلقون البشارة بالوحي والمكالمة في الحياة الدنيا، وكل هذا مقدمة ليعلم الناس أنه قد تلقى هذه البشارة مكالمة من الله مباشرة.

وفي ص135 يؤكد أن الوحي مكالمة القادر القدوس مع عبد من عباده الأخيار، لأن الوحي الإلهي يستلزم أن يكون هناك حوارٌ بين الله وعبده فيقول: (العبد يسأل ويسمع الجواب من الله كلاماً لذيذاً فصيحاً) وهذا مخالف للقرآن

الكريم حيث الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: 51).

وفي ص138 يورد حديثاً لا أصل له وينسبه إلى الرسول ﷺ (من رآني فقد رأى ربه).

وفي ص138 يدعي أنه تشرف بالمخاطبة والمكالمة من الله ﷻ جهاراً.

وفي ص140 يقول: (لم يرد الله أن يوصد باب الوحي في المستقبل فيهلك العالم لأن أبواب وحيه ومكالمته سبحانه مفتوحة إلى الأبد).

ملاحظات هامة:

1 ـ حاول المقدم لهذا الكتاب أن يغير الكثير من عبارات غلام ميرزا أحمد، وهي محاولة ترقيع وتحريف وتسويق لفكر القاديانية الجديدة المسماة بالأحمدية، فإذا قُبِل هذا الكتاب عرضت أفكارهم الحقيقية بشكل كامل.

2 ـ الكتاب استند على أقوال الكثير من الصوفيين أمثال ابن عربي والحلاج، وابن سبعين، والسهروردي المقتول، والجيلي، في الكشف والإلهام لفتح باب موصد وهو الوحي المباشر، وهذا تكذيب للقرآن الذي ختم الوحي بمحمد ﷺ.

3 ـ الكتاب جاء بأسلوب جديد خداع وبأنه مع القرآن الكريم ولكن يفسر القرآن بالتأويل الشخصي، غير معتمد على دليل لغوي صحيح، ولا على ما جاء في كتب التراث، واعتمد على التفسير الإشاري الصوفي، وعلى التفسير الباطني الإلهامي الكشفي، ويوهم الناس أنه مع النبي محمد ﷺ.

4 ـ يحاول إقناع القارئ بأن غلام ميرزا أحمد قد عاش تجربة روحية عالية توصل فيها إلى المكالمة والمخاطبة، وقد تكلم مع الله في جلسة واحدة عشرات المرات،

وهو يسأل والله يحاوره ويجيب عن أسئلته. وأضمر في بداية الأمر أنه هو المقصود، ثم كشف عن غاياته في نهاية الكتاب بأنه قد وصل إلى درجة الوحي الكامل مع الله مباشرة، وهذا يخالف القرآن بشكل صريح.

5 ـ لقد انحرف كثير عبر تاريخ التصوف، وتوهموا أنهم قد وصلوا إلى الكشف والإلهام والوحي. وفي دراسة كاملة حول هؤلاء وُجِد أنهم قد توصلوا إلى إشراقات نفسية كما للبوذيين والبراهمة وغيرهم عبر المجاهدة للنفس فاتصلوا بأرواح شيطانية (أو حديث النفس) ويحسب الواحد منهم أنَّه يكلم الله وهو يكلم قوى روحانية شيطانية يتوهم، فيها ما يتوهم ويصرح بأمور تخالف الشريعة والعقيدة.

6 ـ إن غلام ميرزا أحمد قد مر بتجربة طويلة ادعى فيها الألوهيَّة، ثم النبوة، ثم إنَّه المسيح الموعود، ثم المهدي، وبدأ الأحمديون يُسوِّقون للناس بأنه وليٌّ من أولياء الله الصالحين وهو من المجددين، وأدلى الأحمديون المنشقون عن القاديانية بأفكار تخالف ما جاء في كتبه الأولى التي وضح فيها أموراً تخالف الإسلام والقرآن والعقل.

7 ـ في نهاية الكتاب حاول مجدد هذه الطريقة أن يقنع الناس بفكرة غلام أحمد ميرزا في إبطال الجهاد، وأن الله قد يتدخل للدفاع عن المظلومين بشكل من الأشكال.

8 ـ إن ظهور غلام ميرزا أحمد ما هو إلا مخطط استعماري بريطاني النزعة والدعم، لتمزيق المسلمين وسلخهم عن تراثهم وعن ثوابتهم وعن القرآن والسنة.

المصادر والمراجع

1 ـ الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي — محمد إبراهيم الفيومي
2 ـ الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية — عبد الفتاح أحمد فؤاد
3 ـ تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين — علي مصطفى عرابي
4 ـ مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية — محمد سيد المسير
5 ـ حقيقة الخلاف بين المتكلمين — علي عبد الفتاح المغربي
6 ـ الشيعة والسنة — د. محمد شريف الصواف
7 ـ معالم المدرستين — الشيخ مرتضى العسكري
8 ـ الحيدة والاعتدال في الرد على من قال بخلق القرآن في الرد على أبو الحسن عبد العزيز الكناني بشر المريسي المعتزلي
9 ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد — لإمام الحومين الجويني
10 ـ الأسماء والصفات للبيهقي — تحقيق محمد زاهد الكوثري
11 ـ تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريق الماتريدي — للنسفي المعهد الفرنسي ـ دمشق
12 ـ التوحيد وإثبات صفات الرب — لابن خزيمة
13 ـ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه — لابن الجوزي
14 ـ شرح العقائد النسفية — للتفتازاني
15 ـ شرح الفقه الأكبر — لملا علي القاري
16 ـ عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة (العقائد النسفية) — للنسفي
17 ـ كبرى اليقينيّات الكونية — د. محمد سعيد البوطي ـ دار الفكر ـ دمشق
18 ـ المعتمد في أصول الدين — للخبيلي
19 ـ الإبانة في أصول الديانة — للأشعري
20 ـ شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (أشعرية الجوهرة للشيخ إبراهيم القاني) — أحمد الصاوي
21 ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة — أبو المظفر الإسغرايني
22 ـ شذرات الذهب — لابن العماد
23 ـ الشامل في أصول الدين — لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني
24 ـ الإرشاد في الأصول — لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني
25 ـ الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية — لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني
26 ـ غياث الأمم في الإمامة — لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني

27 ـ مغيث الخلق في اختيار الأحق	لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني
28 ـ اللمع في أصول الدين	لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني
29 ـ رسالة في إثبات الاستواء	لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني
30 ـ تهافت الفلاسفة	للغزالي
31 ـ تهافت التهافت	لابن رشد
32 ـ الاقتصاد في الاعتقاد	لابن رشد
33 ـ المنقذ من الضلال	لابن رشد
34 ـ فضائح الباطنية	للغزالي
35 ـ قواعد العقائد	للغزالي
36 ـ شرح المواقف في التصوف	للقاضي عضد الدين الأيجي تحقيق الشريف الجرجاني
37 ـ شرح فصوص الحكم	لابن عربي
38 ـ معالم الطريق إلى الله	أبو العلا العفيفي
39 ـ التصوف الخالص	أبو العلا العفيفي
40 ـ التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين	د. محمد شيخاني
41 ـ مواكب السالكين	الأستاذ جمعة الفزاني
22 ـ الرسالة القشيرية	للقشيري
43 ـ التصوف	د. زكي مبارك
44 ـ اللمع	لأبي سراج الطوسي.
45 ـ لمع الأدلة	للأشعري
46 ـ شرح العقائد النسفية	للتفتازاني
47 ـ نشأة الشيعة والتشيع	محمد باقر الصدر
48 ـ الشيعة والتصحيح	الدكتور موسى الموسوي
49 ـ الحقيقة عند الغزالي	د. محمد سليمان الدنيا
50 ـ عقائد السلف	د. النشار والطالبي
51 ـ المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية	عيسى بن مانع الحميري
52 ـ أساس التقديس	للرازي
53 ـ خلق أفعال العباد	للبخاري
54 ـ فصل المقال	لابن رشد
55 ـ الرد على الجهمية	للإمام أحمد بن حنبل
56 ـ الرد على الدهريين	جمال الدين الأفغاني
57 ـ شرح العقيدة الطحاوية	ابن أبي العز

58 ـ عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي	د. أبو الخير محمد أيوب
59 ـ العقيدة والفكر الإسلامي	د. محمد هشام سلطان
60 ـ العلم يدعو للإيمان	كرسي موريسون
61 ـ قصة الإيمان	نديم الجسر
62 ـ فلسفتنا	محمد باقر الصدر
63 ـ في علم الكلام	د. أحمد محمود صبحي
64 ـ توحيد الخالق	عبد المجيد الزنداني
65 ـ الله يتجلى في عصر العلم	جون كلوفر مونسما
66 ـ الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية	سليمان بن عبد الوهاب
67 ـ الفرقة الوهابية في خدمة مَنْ	السيد أبو العلى التقوى
68 ـ المسايرة في علم الكلام	الكمال بن الهمام
69 ـ أثر الجويني على الفلسفة الإلهية عند الغزالي	رباب عبده سليمان أحمد
70 ـ إلجام العوام عن علم الكلام	للغزالي
71 ـ رسائل إخوان الصفا	
72 ـ التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة	أبو بكر الباقلاني
73 ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة	لابن القيم الجوزية
74 ـ الدرة المضيَّة في الرد على ابن تيمية	تاج الدين السبكي
75 ـ تنزيه القرآن عن المطاعن	القاضي عبد الجبار
76 ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل	القاضي عبد الجبار
77 ـ تأويلات أهل السنة	أبو منصور الماتريدي
78 ـ نشأة الفرق	الشيخ محمد حمزة ـ دار قتيبة ـ دمشق
79 ـ اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو الجهمية والمعطلة	ابن قيم الجوزية
80 ـ التوحيد	للماتريدي
81 ـ العقيدة الماتريدية	د. علي أيوب رسالة دكتوراه
82 ـ فضائح المعتزلة	لابن الراوندي
83 ـ المتكلمون في ذات الله وصفاته والرد عليهم	د. صابر طعيمة/ مدبولي ـ القاهرة
84 ـ الفرق بين الفرق	البغدادي
85 ـ مذاهب الإسلاميين	د. عبد الرحمن بدوي
86 ـ إسلام بلا مذاهب	د. الشكعة
87 ـ عمر والتشيع	حسن العلوي
88 ـ الاعتصام	الشاطبي

89 ـ تلبيس إبليس	لابن الجوزي
90 ـ تبين كذب المفتري	لابن عساكر
91 ـ الموافقات	للشاطبي
92 ـ الفصل في الملل والنحل	لابن حزم
93 ـ الملل والنحل والأهواء	للشهرستاني
94 ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين	لأبي الحسن الأشعري
95 ـ شرح الأصول الخمسة	القاضي عبد الجبار
96 ـ مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية	محمد سيد المسير
97 ـ الفتاوى	ابن تيمية
98 ـ منهاج المسلم	ابن تيمية
99 ـ حركة الخوارج	لطيفة البكاني
100 ـ موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية	عبد الحفيظ المكي
101 ـ براءة الأشعريين 1/ 2 من عقائد المخالفين	أبو حامد بن مرزوق ـ بدون تاريخ
102 ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال	أبو الوليد بن رشد ـ تحقيق د. حمدي سمارة.
103 ـ أصل العدل عند المعتزلة	هانم إبراهيم يوسف
104 ـ إلجام العوام عن علم الكلام	أبو حامد محمد الغزالي
105 ـ الكليني	
106 ـ الاقتصاد في الاعتقاد	الغزالي ـ تحقيق د. إنصاف رمضان
107 ـ اللمع	لأبي سراج الطوسي
108 ـ موقف الأمة الإسلامية من القاديانية	لجنة من علماء رابطة العالم الإسلامية.
109 ـ نقض أوهام المادية الجدلية	د. محمد سعيد البوطي
110 ـ الإنسان مسيّر أم مخيّر	د. محمد سعيد البوطي
111 ـ فلسفتنا	الشهيد محمد باقر الصدر
112 ـ العقيدة بين الوحي والفلسفة والعلم	د. السائح علي حسين
113 ـ الشيعة والسنة	إحسان إلهي ظهير
114 ـ السلفية	د. محمد سعيد البوطي
115 ـ الوهابيون	لويس دوكوارنس
116 ـ الحق الدامغ	الشيخ أحمد بن حمد الخليلي
117 ـ الأصول من الكافي	للكليني
118 ـ الإمام جعفر الصادق	المستشار عبد الحليم الجندي
119 ـ الحشيشية	برنارد لويس ـ ترجمة وتحقيق د. سهيل زكار.

المحتويات

الإهداء 5
تقديم 7
المقدمة 13
أسباب نشوء وظهور الفرق الكلامية 23
أسباب اختلاف الفِرق 29
أسباب الاختلاف 33
الإمامة والخلافة 43
مظاهر الاختلاف بين أشهر الفرق الإسلامية 47
الشيعة الإمامية (الإثنا عشرية) الجعفريّة 53
عمر والتشيُّع ثنائية القطيعة والمشاركة 75
القرامطة (من سواد الكوفة إلى البحرين) 83
الإسماعيلية 93
دراسة كتاب (مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلين) 101
أسباب نشأة المعتزلة والفرق الأخرى 109
الأشعرية والماتريدية 133
التصوف 139
التصوف عند الشيخ أحمد كفتارو 159
السلفية 171
دراسات إيجابية وسلبية عن المعتزلة 183

العدل عند المعتزلة 199
تحقيق حديث افتراق الأمة 207
حقيقة البابية 211
البهائية 215
مفهوم القضاء والقدر عند الفرق الإسلامية 219
الخوارج 229
الخوارج المعاصرون (الإباضيّة) 235
الصلة بين المعتزلة والشيعة 241
الأحمدية والقاديانية في ثوبها الجديد 249
دراسة كتاب (فلسفة تعاليم الإسلام) لميرزا غلام أحمد 261
المصادر والمراجع 266
المحتويات 270